

رواية

صفعتا واحدة ربما تكفي

معاذ جابر

مقدمة :

إلى الذين يسعون إلى تغيير أنفسهم في ظل هذه الأوضاع الصعبة
وإلى الذين

لم تسنح أمامهم فرص للتغيير ، إلى الذين نشأت أرواحهم وأفكارهم
بين

خرابات الأسقف وتهتك الجدران ، عليكم المواصلة في طلب شيء
حتى يتحقق ودون الاستسلام

وعليكم عدم الخضوع أمام أي شيء كان، وفي ثنايا صفحات هذه
الرواية سترافقكم فتاة اسمها شهرزاد

لتسرد عليكم مشوارها العريق والذي كان يحث على عدم الخضوع
والاستسلام أمام ما يسمى بالأهداف.

هذا الكتاب مزيج من الأحداث الصعبة، على القارئ أن يتمعن
النصوص جيداً.

الإهداء:

إلى أمي قبل أي شخص آخر وإلى كل فتاة في المنفى بعيدة عن أسرتها، وإلى كل الأشخاص الذين رافقوني في مشواري هذا وكانوا يقومون بتحفيزي على الاستمرارية فيما أنا عليه، أتوجه بالشكر والتقدير لكم على كل الدوافع المعنوية التي ساعدتني ولو بأميالٍ قليلةٍ لأستطيع ملامسة ذلك الحلم الذي علق بداخلي حتى يومنا هذا.

الساعة الثانية بعد منتصف الليل، إنه اليوم التاسع والعشرون من أكتوبر عام ألفين وأربعة، الهدوء يملأ المكان، لا صوت يعلو فوق صوت نباح الكلاب ،

الجميع نائم، والنوافذ مغلقة، والبرد قارص، والسماء صافية مزينة بالنجوم، وشهرزاد هاجدة على تلك النافذة تفكر في أشياء كثيرة، تحاول إيجاد حل لها، تجد حلّ لمشكلة، ترى نفسها قد وقعت في مصيبة أخرى، عثرات في كل مكان، البؤس يتشكل في ملامح الوجه ، إعلان النفيير في أجفان العين ، صداد شديد وشعور أشبه بالغثيان ، تفكر شهرزاد في ما الذي سوف تفعله حيال كل هذه الأشياء التي تدور في ذهنها، إنها الآن عالقة في نفسها .

أن تتخلى عن تلك الأسرة البسيطة وعن دفاء حنان أمها، أو عن ذلك التلفاز الذي تشاهد عليه أفلامها اليومية، أو تلك الطاولة التي تقرأ عليها الكتب والروايات بشكل يومي، أو أن تتخلى عن أبيها الذي نهش السرطان جسده وأنهكته حقن الكيماوي وباتت ملامحهُ بالزوال،

جميع الطرق صعبة ومغلقة، ليس أمامها خيار لتستطيع أن تجد وسيلة تساعدُها في حل تلك المشاكل .

تحاول النوم هذه الليلة وفي صباح اليوم التالي ستحاول إيجاد حلول أخرى لكل هذه المشاكل، لربما تحدد فيه مستقبلها ومستقبل عائلتها ولو كان بالبعد والفقد فهي من أجل أسرتها،

مستعدة لإفناء حياتها وطموحاتها التي كانت ترسمها يوماً بعد يوم.

في صباح اليوم التالي، استيقظت شهرزاد من نومها وكأن شيئاً ثقیلاً بحجم السماء راسخاً فوقها، تلك هي الأشياء التي كانت تفكر بها قبل غفوتها بلحظة نهضت من فراشها وذهبت تقف أمام المرأة لترى وجهها كعادته معلنا حالة من البؤس الشديد والخوف الذي كان ينتابها في عدم حصولها على ما تريد، وخوفها الزائد على أسرتها وتلك الأم الحنونة والأب الذي انهكه المرض، وكل الأشياء التي ستترك أثراً عما قريب.

الآن هي جالسة وحيدة مقيدة مبعثرة بين أربعة جدران، حالة من الفقد في قاع بئر عميق قديم مهترئ تسكنه العفاريات ولا يجراً أحد على القدوم إليه أو المشي بجانبه.

لحظة صمت تسود المكان.

تتكلم شهرزاد مع نفسها: يبدو أنه علي اتخاذ القرار الآن، ليس لدي الوقت والأيام تفتى أمامي، أظن أنني فكرت كثيراً، وكل لحظة تمر علي دون اتخاذ القرار الأخير، هي حواجز وعثرات ستواجهني وأنا في طريقي إلى ذلك الطموح الذي رسمته منذ صغري.

من الآن سأبدأ بالتخطيط جيداً والبدء بالعمل الأفضل، ومحاربة كل حالات الخوف والتشتت، فأنا خلقت أمام حرب طاحنة وغفير من الدماء وأشلاء أراها تتلاشى من أمام عيني، ولن أكتفي

بالوقوف للنظر على هذه الأشياء وأنا مكتفة الأيدي، بل سأبدأ
بالسعي للوصول مهما كلفني الأمر وسعاً.

التاسعة مساءً، ذبذبات في الأذنين، شروق في العين، جفاف في
الشفاه، قشعريرة في جميع أنحاء الجسم، نشفان في الريق، التثاؤب
يحتل المكان، برود في الأطراف، خمول وكسل في النهوض من
الفرش لأعداد الطعام، وشهرزاد جائعة الآن جائعة بسبب هذه
الأشياء التي حلت عليها هذا المساء،

تنهض من فراشها ذاهبة إلى المطبخ لإعداد وجبة خفيفة وسريعة،
لكيلا تصاب بالخمول أكثر من اللازم، وأكثر من هذا الخمول
الذي هي عليه

بعد تناول الطعام:

جلست مستلقيةً على الأرض تحديق في السقف بكل انتباه وأدراك،
إنها غرفتها منذ تسعة عشر عاماً ولكن لأول مرة ترى شعاع الضوء
بهذا الشكل، ترى أشياء تخرج منه على أشكال علامات استفاهم، لا
تستطيع التحديد أو إن كان هذا من مدى تأثير الضوء على
عينها أو أنها أطالت التركيز كثيراً.

الأمر لا يهم كثيراً، تنهض من على الأرض متوجهة نحو والدها
المنهك المستلقي على الكرسي المتحرك والذي ليس بيده الحيلة
لفعل شيء، ما إن وصلت عنده وهي تبتسم تقترب منه لتمسك
بيده وهي تقول : طمني عن حالك يا والدي فأنا منذ فترة لم أراك

جيدا، فأنت تعلم أن أحلامي كثيرة وأود تحقيقها وأنت بجانبى ولك الفضل على كل شيء يا أبى، وأنا أفعل كل شيء من أجلك وأجل هذا الواقع الذي نمر فيه والذي بدوره يأكل القوي الضعيف وينهش من عظامه ولحمه قبل الموت، بانتهاء حديثها، وسوء حالة والدها وتدهور وضعه الصحي، ليستطيع الرد عليها وهو يهز برأسه والابتسامة على وجهه الهزيل والمتعب.

بعد مرور شهر على هذا الحال وعلى زيادة الجهد والعمل على الأفضل من أجل الإرساء على بر النجاح.

الآن أشعر أنني قد بدأت حياةً جديدةً وعلى التركيز أكثر من أي وقت مضى، وأعلم أن الوصول إلى هدفي يحتاج إلى جهدٍ وعملٍ شاق.

بعد دقائق تذكرت شهرزاد أنه عندها موعد اليوم في غضون الساعة الرابعة عصراً، مع وزارة التعليم ويجب عليها مقابلة المسؤول من أجل أن تعرف في أي يوم موعد سفرها وموعد بدء المنحة الدراسية وهي مشتتة كثيراً بهذا الخصوص، وكونها المرة الأولى التي ستواجه فيها أموراً كهذه.

الآن تتوجه إلى خزانها، باحثةً بين الرفوف على ثوب أنيق، لكن للأسف جميع ثيابها ليست من النوع الباهظ الثمن، فهي ستضطر الآن إلى أن ترتدي أي شيء أمامها دون التدقيق كثيراً على موضوع المظهر.

بعد تقليب طويل وهي تختار ثياب وتعاود إرجاعها إلى مكانها بطريقة غير مرتبة، تكاد أن تصيبتها حالة اليأس بشأن هذا السياق، إلى أن قررت أخيراً أن ترتدي أي نوع تجده أمامها دون التفكير طويلاً والتخطيط والنظر لتناسق الألوان وما شابه ذلك

الآن تبدأ بارتداء الملابس وهي على عجلة من أمرها تنظر إلى الساعة والوقت يداهما، أمام المرأة تقف قليلاً لتفقد ملامحها الشاحبة ووجها الجميل لكنه هزيل بعض الشيء ومرهق.

بعد الانتهاء من كل شيء لتكون قد تجهزت بالشكل الكامل، تخرج من المنزل دون أن تخبر أحدا فأمها في العمل وأبوها يجلس على كرسيه المتحرك وإخوانها الصغار يلعبون في الحي، تقف على الأسفلت منتظرة مرور سيارة عمومية لتصعد بها وتتوجه إلى وزارة التعليم. وهي تنظر يميناً ويساراً تتوقف سيارة بداخلها سائق عشريني، يفتح النافذة وهو يقول إلى أين تريدان الذهاب؟ شهرزاد: إلى وزارة التعليم السائق مجدداً: حسناً هيا اصعدي.

تصعد بسرعة ليكمل السائق قيادته، بعد مرور ما يقارب العشرين دقيقة يهدأ محرك السيارة ويقف السائق أمام وزارة التعليم ، تنظر من النافذة ، تفتح الباب وتتوجه نحو الوزارة بعد أن دفعت الإيجار له

داخل الوزارة، تسير ببطء وهي تتلفت من حولها باحثة عن مكتب الاستقبال، (الريسبيشون). لم تطول حكايتها في البحث لتجد

فتاة حسناء المظهر تجلس خلف مكتب خشبي مغلق بالزجاج الشفاف وفيه نوافذ صغيرة للحديث والاستفسار، نحو الموظفة، لتسألها عن الطابق الذي يوجد فيه الموظف المسؤول عن المنح الدراسية.

تقف مباشرة خلف الزجاج وهي تضع يداها عليه وتبدأ بالسؤال مع الموظفة: مرحباً من فضلك أريد التحدث مع الموظف المسؤول عن المنح الدراسية؟

الموظفة: إنه في الطابق الثاني، شهرزاد وهي تبسم شكراً لك.

تسير نحو المصعد لتضغط على السهم الموجه للأعلى وتنتظر، يفتح باب المصعد لتصعد بداخله، وتختار الطابق الثاني، يغلق باب المصعد ويبدأ بالصعود. تشعر بالدوار لكونها المرة الأولى التي تنتقل فيها بين الطوابق دون الصعود من خلال الأدراج. يتوقف المصعد لتخرج منه بحالة جيدة.

تسير خطوات قليلة داخل الممر لتكون قد وصلت خلف باب المكتب الذي بداخله موظف المنح الدراسية، تطرق الباب وتنتظر الموظف من الداخل يقول: تفضل بالدخول. تفتح شهرزاد الباب وتدخل بحالة من الخجل والخوف.

شهرزاد: مرحباً يعطيك العافية

الموظف: أهلاً وسهلاً تفضلي كيف يمكنني خدمتك

شهرزاد : لقد أخبروني سابقاً أنه قد حصلت على منحةٍ دراسيةٍ في جامعة أوكسفورد واليوم هو موعد المقابلة من أجل أن تعلموني ببعض المتطلبات التي علي فعلها قبل إجراء أمور السفر.

الموظف: حسناً، هل لي ببضعِ ثوانٍ من وقتك لأقوم بالكشف عن اسمك؟

شهرزاد: حسناً خذ وقتاً، وهي تبتسم وتنظر إلى السقف.

الموظف: صديقتي أنت موعد سفرك في غضون أسبوع ويجب أن يكونَ جواز سفرك جاهز ويلزمك أيضاً صورة عن شهادة الثانوية وأربع صور شخصية لكي نحول معاملتك واسمك للجامعة.

شهرزاد تحاول إخفاء ملامح البؤس عن وجهها لتقول : حسناً شكراً لك وسأقوم بتجهيز هذه المتطلبات ، استطيع المغادرة؟

الموظف : نبقى على اتصال، بالطبع تفضلي بالمغادرة.

خلف الباب تسير شهرزاد والغصة في صدرها والدموع تسيل بغزارة، صداً وتوتر بسبب الظروف التي تعيشها وأيضاً ليس بحوزتها الكثير من الوقت ولا مال ولا حتى جواز سفر لأنها لم تفكر بالهجرة من قبل، ومع كل تلك الأحداث يزداد تعلق بهدفها خارج الوزارة تقف على الإسفلت المنقح بالخدلان واليأس، تكاد عيناها أن تغرق من شدة الدموع وكأن العالم أغلق أبوابه أمامها، لكن لا بأس فقد

بقي هناك أمل وليس عليها الاستسلام ولا خيار أمامها سوى المحاربة في ظل هذه الظروف.

تنتظر مرور سيارة تعيدها الى المنزل ، تقف في شارع طريقه مزدحمة دائماً ولا تنقطع منه السيارات، وهي تسير وتراقب مرور الحركة، تؤثر بيدها لتتوقف إحدى السيارات العمومية، تصعد بها دون الحديث مع السائق لأن بداخلها ركاب.

تقرر الآن بطلب مبلغ من المال من إحدى صديقاتها أو أحد أقربائها، ومع العلم أنها كانت جيدة في التعامل مع الجميع حوار داخلي بينها وبين نفسها: إذاً كيف علي أن أبدأ بفتح الموضوع ، لم أعتاد يوماً أن أضع نفسي في مواقف صعبة وكيف سأقنعهم أنني بحاجة ماسة للمال مع العلم أنني لا أريد إخبار أحد بأني سأسافر، لحظة صمت تجول أرجاء المكان، أظن أنني وجدت الحل؟

تحرياتها، تأخذ قراراً نهائياً لإجراء مكالمة فورية على إحدى صديقتها وأسمها مريم.

شهرزاد: تطلب رقم الهاتف ليبدأ بالرنين في هذه اللحظات ولم تنتظر طويلاً لتكون سارة قد استجابت لاتصالها.

مريم : ألو من معي؟

شهرزاد: مرحبا كيف حالك أنا شهرزاد؟

مريم: أهلا وسهلا، بخير وأنت؟

الفتاة: بخير، لكن صدقاً أنا بحاجة لك الآن.

مريم: إن كان بإمكانك تقديم المساعدة فسوف أفعل؟

شهرزاد: بكل صراحة ينقصني مبلغ من المال لإتمام أمرٍ معين ومهم؟

مريم: أنا آسفه حقاً لكن ليس لدي مال في هذه الفترة ووضعي المادي مستاء وتمدني

الفتاة مع نفسها: يا إلهي إنها المرة الألف التي يكسر فيها خاطري ولن أتعلم!!، لا عليكِ عزيزتي شكراً لك، تغلق سماعة الهاتف.

بعد مرور نصف ساعة، شهرزاد داخل المنزل وبين أسرتها.

وبخيبة ظن كبيرة، فجأة بوسط هدوء عارم وجميع العائلة جالسة تسودها حالة من الصمت التام .

جرس المنزل يقرع لعلها ساعة الضرج!

جميع من في المنزل أصبحوا يتبادلون نظرات غريبة وعلامات رفع الحاجب بدأت تزداد كثيراً. نهضت الأم لتفتح الباب لأنها خائفة على أطفالها من أن يكون شخص مضطرب خلف الباب، تقرر الأم أن تضحى بنفسها وتذهب لتفتح الباب.

الأم: من هناك خلف الباب؟ أنا سارة صديقة شهرزاد، تفتح الأم الباب.

سارة: أنا صديقة ابنتك يا خالتي

الأم: تفتح الباب بنظرة تعجب.

سارة: كيف حالك يا خالتي أين شهرزاد؟

الأم: إنها في الداخل تجلس في غرفتها منذ أن عادت من المدينة، لكن ما مناسبة الزيارة المتأخرة.

سارة: في الحقيقة يا خالتي أنا مدينة لابنتك بمبلغ من المال وفي كل يوم أقول، سوف أعطيها المال ولكن النسيان يغشاني، ولم أستطع أن أصبر ليوم غد.

الأم بحالة تعجب: تفضلي حبيبتي أعطيها المبلغ وألقي السلام عليها لأنك منذ فترة لم تزوريها.

سارة: لا يا خالتي بصراحة أشعر بالخجل الشديد منها لأنني تأخرت عليها كثيراً وكنت أشعر أنها بحاجة للمال.

الأم: كما تشائين عزيزتي.

سارة: تفضلي المبلغ وأبلغها سلامي لها نيابة عني وهي تعلم من أين هذا المال؟ إلى اللقاء.

أغلقت الأم باب المنزل وعادت متوجهة إلى شهرزاد نحو غرفتها، تقرع الباب، لتقول شهرزاد بصوت خافت: ادفع الباب وادخل لا أحد غريب.

الأم: الشخص الذي كان على الباب أرسل سلامه إليك وأعطاني مبلغاً من المال، كان مدين لك فيه.

شهرزاد: من هذا وأي دين؟ لا أذكر أنني قد أعطيتُ أحداً مالاً من قبل

الأم: لا أدري! لكن المهم أنك بحاجة إلى هذا المال

شهرزاد: لا أعلم يا أمي إلى متى سأظل سائلة في هذا الطريق ولا أرى سوى علامات استفهام.

الأم: لا عليك يا عزيزتي أنا أقف بجانبك والنجاح ليس بهين.
شهرزاد: سأعدك بنجاحي.

الأم ينتهي الحوار عندها: إن شاء الله بنيتي، والله يكن معك في الأيام القادمة،

خرجت الأم من الغرفة وبقيت شهرزاد كعادتها بين أربعة جدران والتفكير يجتاح المكان وسلسلة الأفكار تزداد تشويشاً لمحاولة إيجاد حل لكل مشكلة.

تجلس على سريها بحالة استلقاء وهي تحاول الهروب من هذا العالم بالنوم لبضع ساعات قليلة، يصعب الأمر عليها قليلاً لكنها لم تستطع الثبات لساعات أكثر ذبلت أجفان عيناها، فلم تجد نفسها إلا وهي بحالة من الركود.

لا شيء يقال والساعات تمر حتى طلوع الصباح وإشراق الشمس من جديد،

دون جدوى مرت ساعات الليل الطويل والآن تستيقظ من نومها وهي بعجلة من أمرها، ويذكر أن بحوزتها مبلغ من المال. تجلس قليلاً لتفكر بما عليها فعلة لتتذكر أن أمامها أسبوعاً حافلاً لتجهيز كل المتطلبات ومن ضمنها جواز السفر.

تنهض من فراشها وهي تترك عينيها بيدها، متوجهة نحو المغسلة لتغسل وجهها وتنظف أسنانها وتخرج إلى مكتب إصدار الجوازات.

تنتهي الآن من تغسيل وجهها وتنظيف أسنانها ولم يتبق سوى أن ترتدي الملابس وتباشر بالخروج قبل أن يغلق المكتب أبوابه ، فهو لا يعمل طوال اليوم بل لساعات محددة.

تقف أمام الخزانة وهي تعلم ما بداخلها، تفتح الباب دون الحاجة الماسة إلى تفكير طويل بما عليها ارتدائه، تنتشل ما جاء أمام عينيها وتبدأ بارتدائه، مجدداً أمام المرأة بإعجابها الكبير بمظهرها وهي تبتسم وتقول: سوف أسرق قلوب الرجال بهذا المظهر.

تكاد أن تصاب بالجنون. تخرج من غرفتها وتسير داخل المنزل متوجهة إلى الباب الرئيسي لتظهر على الشارع وعلى الأسفلت مجدداً تحت تأثير حرارة الشمس التي لا تُقهر تنتظر مرور السيارات العمومية. لم يطول انتظارها وإذا بباص كبير يتوقف لينزل أحد الأشخاص منه، تلوح شهرزاد بيدها ليبقى واقفاً حتى تصعد فيه.

تركض كالأطفال الصغار نحو الباص، تصعد داخله وتقول
للسائق: أوصلني إلى مكتب إصدار الجوازات من فضلك.

السائق وهو يبتسم: حسناً.

ما زالت تقف لم تجد مكاناً يناسبها لتجلس فيه، وبعض الأشخاص
هنا مدخنون فهي تفضل البقاء بجانب النافذة.

تخرج حقيبتها لتدفع الإيجار، الجميع ينظر إليها بحالة تعجب!
تمد يدها نحو السائق وتقول: تفضل من فضلك.

السائق ينظر إليها بحالة من الدهشة !: أنت غريبة عن هذا البلد؟
شهرزاد: في الحقيقة لا لكنني لا أخرج بتاتاً فهذا العالم لا يناسبني
والأشخاص هنا غريبون ولا يلتزمون بالقوانين فأنا أقضي وقتي في
قراءة الكتب.

السائق: حسناً هذا شيء جميل، ويا بنيتي الباص هذا يعمل على
حساب الحكومة فأنا أتقاضى راتباً شهرياً ولا داعي لدفع الإيجار،
وها أنت الآن أمام مكتب إصدار الجوازات تفضلي بالنزول.

تسودها حالة من الصمت ولا تعرف ماذا ستقول، تنزل من الباص
لتكون في المكان المطلوب .

شهرزاد: يعطيك العافية.

الموظف: تفضلي.

شهرزاد: أريد أن أصدر جواز سفر؟

الموظف: أعطني بطاقتك الشخصية لو سمحت واستريح هنا .

شهرزاد : تفضل .

بعد انتظار دام لساعات متواصلة .

الموظف يقوم بالمناداة على أسماء الأشخاص الذين قدموا لإصدار

جوازات، بمناداته على شهرزاد .

ترد عليه بنعم وتنهض من مكانها متوجهة نحو الكاونتر الخشبي .

الموظف: أريد أن أقول لك بأن عملية إصدار الجواز استكملت

وتفضلي جواز سفرك

شهرزاد: شكراً كثيراً لك. وهي تمسك بيدها ثمن تكلفة إصدار

الجواز لتعطيها للموظف قائلاً لها: شكرا لك تفضلي باقي

الحساب

خرجت شهرزاد من المكان وهي بحالة من الفرح والسرور، وتشعر

وكأنها عصفورة كانت مقيدة منذ زمن، وقد أصدر بحقها قرار

الإفراج بعد عناء طويل .

لم تكتمل هذه الفرحة، تعبر الشارع وإذا بسيارة تضربها بقوة

كبيرة... لقد فقدت كل شيء الآن.

لقد دُعست أحلام شهرزاد ودعست شهرزاد، الدماء تسيل من كل

مكان والكدمات كثيرة، تفقد وعيها الآن وينطفئ العالم في عينها

على شكل مجرة سوداء .

هرعت الناس إلى المكان وصاحبُ السيارة أصبح يقلب يديه على خديه، ظن منه أنها قد فارقت الحياة لكن وجهها الملطخ بالدماء وملابسها الممزقة تدل على أكثر من ذلك.

بعد انتظار دقائق، وصلت الإسعاف إلى المكان وحاول الطاقم إسعافها ميدانياً لكن الجروح أعمق بكثير مما ظنوا، يتوجهون مباشرة إلى المستشفى .

تفقد وعيها ويتحول لون عينيها إلى الأبيض، الأمور ازدادت خطورة، داخل الإسعاف يقدمون لها الإسعاف الأولي إلى أن وصلوا الآن داخل المستشفى، يدخلون بها بسرعة كبيرة بعد أن قاموا بأخذ جميع بياناتها وفتح ملف علاج باسمها .

تم تحويلها إلى غرفة العمليات. إحدى الممرضات تفتش أغراضها للبحث عن بطاقتها الشخصية والوصول إلى عائلتها لإخبارهم عن حالتها وعن وجودها بأمانٍ في المستشفى .

إحدى الممرضات بعد عناء في البحث، توصلت إلى رقم والدة شهرزاد، ستحاول الاتصال حالاً .

المرضة: تطلب رقم الأم الآن وجارٍ الاتصال .

تستجيب الأم للمكالمة: مرحبا شهرزاد .

المرمضة: نحن من المستشفى نود أعلامك بأن ابنتك قد تعرضت لحادث دهسٍ وحالتها مستقرة وفريقنا يقدم العلاج اللازم لها لا داعي .

الأم: حالة من البهت والسهيان وذبول في العينان مع صدمة في ملامح الوجه !

أنت تكلميني من الحلم أم أنني أحلم ؟

ابنتي ذهبت لإصدار جواز كيف حصل كل هذا؟

المرمضة لا أعلم حقاً، فقط أردت أخبارك واطمئنانك عن حالتها.

الأم : حسنا أنا قادمة الآن! ترتدي الأم ثيابها وهي تخفي ملامحها الحزينة عن وجوه أولادها وزوجها.

بعد نصف ساعة، وصلت المشفى المكان مخيفاً حقاً الأشياء هنا مؤلمة للغاية

ذهبت الأم إلى مكتب الطوارئ لكي تستدل على مكان تواجد ابنتها.

الأم: دون قول مرحبا، أين ابنتي ؟ نبرة صراخ وفرع

الموظفة: ما هو اسم ابنتك لكي أستطيع أن أوصلك إليها.

الأم: شهرزاد.

الموظفة: نعم صحيح هي في غرفة رقم 401، الطابق الرابع قسم الجراحة.

الأم: بحالة ذعر تتوجه نحو الطابق الرابع باحثة عن الغرفة التي تقيم فيها ابنتها، تصعد على الدرج بوضعية ركض.

وصلت إلى المكان، غرفة 401 قسم الجراحة

داخل الممرات رأت وجهاً غريباً يشبه وجه ابنتها ملطخٌ بالدماء يسير مع طاقم أطباء على سرير متحرك. أصابتها حالة من الضعف، صدمت من الموقف وباتت تنظر إلى ابنتها والدموع تنهمر بغزارة، بقيت تسير خلفهم إلى أن وصلوا غرفة العمليات والتي يمنع فيها تواجد المرافقين.

الأم تصرخ عليهم إلى أين أنتم ذاهبون بها ما الذي يحدث؟

إحدى الممرضات: لا تقلقي عليها الأمور تسير بالشكل السليم ونحن نتعامل مع المريضة بأفضل حال. ستخضع الآن لعملية جراحية ستستغرق ساعتين، عليك بالدعاء لها فالبكاء لا يفيد في شيء.

بعد ساعتين متواصلات خرج الطبيب من غرفة العمليات، الأم ذهبت تركضُ إليه بوجهها الهزيل

أخذت تتنهد على نفسها وتسترد أنفاسها، طمني يا طبيب ماذا جرى معك داخل الغرفة وكيف حال ابنتي ؟

الطبيب: حالتها مستقرة وعمل طاقمنا بكل قدراته وسوف تتحسنُ عما قريب، لكن تحتاج إلى قسطٍ من الراحة.

الأم : سوف تعود كما كانت بأفضل حال ؟

الدكتور: إن شاء الله.

الأم أصابتها هستيريا من الحزن والألم الذي حل على ابنتها فجأة ولم تستطع السيطرة على نفسها، جلست قليلاً، وأصبحت تفكر في زوجها لو أنه علم أن ابنته تعرضت لحادث سيرٍ ماذا سيحل به؟ سيمرضُ فوق مرضه مرضاً نفسياً، لا تعلم ماذا عليها فعله غير أنها الآن أصبحت في مأزق، داخل نفسها بحديث قصير والحزن ينتابها: من الآن فصاعداً علي إيجاد عمل آخر غير الذي أعمل به، فابنتي الآن ستبقى فترة طويلة داخل المستشفى وسأحتاج إلى المال لأدفع تكاليف العملية، حقاً الأمور مزرية للغاية، كن معي يا الله.

بعد مرور شهرين والأم تعمل في مجالين استطاعت تسديد المبلغ للمستشفى واستعادت شهرزاد عافيتها قليلاً وبدأت تتذكر أشياء كثيرة،

عندما استيقظت من غيبوبتها قالت: أين أمي؟

كانت أمها فوق رأسها تدعو لها وتتلو القرآن عليها، ظنت شهرزاد أنها قد سافرت وحققت أحلامها، فمن بعد خروجها من مكتب إصدار الجوازات لم تعد تذكر شيئاً من الحادث والصدمة التي تعرضت لها.

دوامه أفكارٍ برأسها وكثيراً من الأشياء، تقريباً لم يتبق شغف تجاه أي شيء لكنها ستظل تقاوم وتظل مستمرة في هذا الطريق مثابرة

على أحلامها وستعود أقوى من جديد والحادث الذي تعرضت له هو عبارة عن فترة قيلولَة وراحة .

شهرزاد بينها وبين نفسها (ابتسامَة وتفكير بشكل جميل، أنا الآن فرحة جداً ولو أنني عانيتُ وأعاني من أجل أن أصل للهدف الذي أريده، لكنني الآن أحاول الصعود إلى أول درجة وأتعثر، وكلُّ عشره أتعلمُ منها وأعلمُ إنني سأصعدُ عشر درجات بدل كل درجة تعثرت بها في بداية طريقي .

شهرزاد: الآن أنا قد مللت من جو المستشفى المحيط بي أريد أن أُغيرَ نفسيتي ولدي الكثير من الأشياء يجب إنجازها وتهيئ نفسي له .

الأم: عليكِ بالصبر وأن لا تتسرعي وسوف تنجزين جميع الأعمال لكن، لا عليكِ سوى التفكير جيداً وجهزي خططك اللازمة من أجل أن تعودي للمواجهة أقوى من كل مرحلةٍ مررت بها وكانت صعبة أو سهلة لكن المهم أنك تعلمت وتلقنت دروس عديدة .

شهرزاد: شكراً جزيلاً يا أمي، لكن هناك أناس تحاول أن تغريني بنصائحها المنحطة، وأنا كثيراً ما تستفزني هذه الأشياء .

الأم : لا تستمعي لكلامٍ عابرٍ من أناسٍ عابرون، أنت التي لديها هدفاً وطموحاً وليس الأشخاص العابرين، أنت التي يجب أن تتعب وليس هم، يجب أن يكون وقتك للشيء الذي تريدينه، ومن الممكن أن تفشلي ويتكرر الفشل من أجل أن تحفظي مسار الطريق أكثر من

مرة ويسهل عليك التسلق إلى القمة التي تريديها، مهما واجهتك
عشرات ستكونين قد تأقلمت.

في رأس شهرزاد ذلك الشيء الذي اصطدم بها بقوة قطارٍ تحاول
الرجوع إلى ذلك الطريق التي كانت تخطو آخر خطواتها عليه
قبل أن تصطدم المركبة بها وترطمها في الأرض وتهزُّ جمجمتها
وتمحوا أفكارها، لقد تاهت كثيراً، لم تعد تذكرُ جيداً تلك اليد
التي كانت بجانبها فترة غيابها عن الواقع، فترة نسيانها وفقدانها
من بين نفسها، لقد نسيّت لمساتِ أمها، لا شيء بات يذكرها بكلِ
الطرق التي كانت تسلكها بحبٍ وشغف، هي لا تعلمُ شيئاً لكن
عقلها يريدُ استرجاع ذلك الشخص الذي كان يسكن فيه سابقاً

الشخص الذي كان لا يفكرُ كثيراً ويجدُ الصواب بسرعةٍ، ذلك
الشخص الذي وضع أحلاماً كثيرةً ورسم طرقاً طويلةً ومسارات
مجهولة، وأهدافاً تحتاجُ إلى جهدٍ وتفكيرٍ، ذلك العقل الذي يثقُ
بنفسه، يعرفُ كيف يوجه ذلك الجسد الذي هو مرهقُ الآن،

المستلقي بين أربعة نُخوت وأربعة جدرانٍ وسقف واحد، ويتأمل في
ذلك الشعاع النابغ من داخل اللمبة، ذلك السقف المعلق المزينُ
بلوحات من الجبس، مكانٌ يسكنه أناس يرتدون سترًا بيضاء، حوارُ
العقل والروح لا يهدأ بداخلي، خلافات وانتقاضات لا أدري لمن
أنصت؟ وجسدي أيضاً مرهق لم أشف تماماً.

تعبتُ مما يدورُ بداخلي، فقط الآن أريدُ حل لتلك النزاعات التي
تعموم داخلي؟

وذلك البرّيش المتصل بيدي اليمنى، الذي يغذي تلك الأوردة
التي هلكت من العقاقير السائلة؟

لا أعلم لماذا تعطى الستر البيضاء لمن لا يستحق؟

أو أنهم لا يعلمون كيف يقدم العلاج بالكامل ليستعيد المرء
عافيته!، وأن يتخلى عن كل الأشياء التي تشعره بأنه بحاجة أحد.
أنتم لا تعلمون ما شعور المرء وهو مقيدٌ ولا يعلم متى ستعود له
عافيته أو أنه سيبقى معلق هكذا لا يعلم مصيره سوى أن يبقى
هكذا يبتلع العقاقير والسوائل الكيماوية؟ سئمتُ وسئمتُ روعي
جداً، أريد فقط الخروج إلى الحديقة التي توحى بالأشياء التي
بداخلي، الأشياء الطبيعية التي ليس لها شأنٌ بالهرمونات ولا
العقاقير أو إن كانت قوتها وجمالها وازدهارها ونضارتها من وراء
الهرمونات فأنا لا أريدُ الخروج إليها.

أفضل الجلوسَ هنا في وجه أولئك الذين يرتدون الستر البيضاء،
أخفُ من تلك الحديقة المشبعة أزهارها بالهرمونات.

وأريدُ أن أقول لك يا أيها " الصبر " أنا لستُ أيوب، لا أحد بجانبني !
لماذا؟

لا يهم سأخرج للتجول إلى تلك الحديقة التي يملأها الورد
والخضار، تلك الحديقة التي أرى نفسي وحيدةً فيها كشجرة
صبار لا يطيقُ أحدٌ قربها، لأنهم يظنون أنها مؤذية! ومليئة
بالأشواك.

لا يهم كل هذا أو بالأحرى تخدرت مشاعري كثيراً ولم أعد أشعر
بأحد كالسابق، النسيان يستوطن داخلي.

جميع أفكارى باتت متعلقة بنفسي أنا، وبذاتي وبكل الأشياء التي
تُهَمُّني.

عندما وصلتُ عند بوابة الحديقة، كان هناك شخصٌ غريب المظهر
والثياب ولا يرتدي سترَةً بيضاء، سألته بتعجبٍ؟ ماذا تفعل هنا أيها
العجوز!

رد بضحكة استهتار: أنا هنا يا ابنتي من أجل تلك الورد التي جئت
من أجلها، واهتمامي بها، هو الذي يجعلُ الناس فرحين حينما
يدخلون إلى الحديقة، وإن كانت أنفسهم متعبة، فكلُّ تلك الورد
سوف تعطيمهم الراحة والأمان.

بقيتُ هكذا صامتة لم أجدُ رداً أتفوه به لذلك العجوز الذي شاب
شعره وما زال قلبه ينبع بالخير للناس، وأنا لم أتجاوز العشرين من
عمري وقلبي قد امتلأ بالحقد على الكثير من الأشخاص لربما سن
المراهقة مختلف تماماً عن سن البلوغ والاكتفاء من جميع الناس

وعدم الالتفات لهم هل هذا كله لأنني كنتُ مخلصاً أكثر من اللازم؟ أو أن ذلك العجز ترعرع ونشأ بين كل تلك الورود .

حينما تكون وحيداً، مقيداً في ذاتك، ولا تعرفُ كيف عليك أن تشرح للغير معاناتك اليومية، والوحدة القاتلة التي تستدرجك من بين الجميع وتضعك لوحدهك في القاع بعيداً عن صدى الأصوات وحتى ارتطامات البشر من فوقك.

حتى حينما تكون بين الناس تُشعرُك بأنك مقيد ووحيد ولا أحد معك سوى نفسك

شعورٌ يشبه الموت البطيء، أن لا تجد كيف تعبرُ عن مشاعرك في جوف وحدتك أو بمن كان في رفقتك.

شيء متعب أن تَضلَ وحيداً هكذا تائهاً في ما لا ترى منصف لنفسك وللناس رغم الصعاب والتحديات.

ياه ما أثقل ذلك الشعور، أن تكون جالساً وسط حوارٍ مليءٍ بالضجة والتساؤلات، مليءٍ بالنقاشات، وتكون تتحدث وتداول مع الجميع، وفجأة يستوطنك الصمت مع إطالة النظر إلى شيءٍ غير مفهوم وتصاب عينيك بالغباش وانعدام في الرؤية، حينها في تلك الثواني، تكون أنت قد أصبحت في عالمٍ آخر مليءٍ بجميع الأشياء التي

تمنيها في أحلامك وتشعر وأن تلك الأشياء حقيقة، لكن مؤخراً
وبعد دقائق تكتشف أنك تشاهد في سلسلة من حلقات ذلك الحلم
الذي تراه يومياً ولا يتحقق وينتهي عندما يقوم أحد الأشخاص
بوضع يده على كتفك، مع قوله: هل أنت هنا إلى أين ذهبت يا
رجل؟

تتلاشى، تتبعثر تتعثر خطواتك، تمشي تستقيم تترن، تنظر
للسماء تراها مبعثرة، غيومها منثورة، مشققة مثقوبة تعانق بعضها
البعض، يخرج من بينها شعاع الشمس، شعاع شمس، تحرق تُعمي
من يُناظرها، مرصوفة معلقة، لا ترحم ولا تعرف قوي وضعيف،
هي أيضاً تحرق نفسها بنفسها.

ركضت محدقة أمامي، لا أرى الأشياء بوضوح ودقة، وقفت قليلاً
متنهدة على مهلي، لألتقط أنفاسي (شهيق وزفير) وضعت يدي
على قلبي واليد الأخرى على رأسي، أشعر أن قلوباً كثيرة تنبض
بجوار قلبي، هلع...فزعت من أمري ركضت كثيراً لكن لم ألتفت
خلفي .

تزايدت وتسارع في دقات قلبي، لساني خارج فمي وشفاهي مقشرة،
وحالة من النشfan تتمحور في أسفل حلقي، نشfan شديد كأني
لم أشرب جرعة ماء من قبل.

أخذت قليلاً على مهلي ووضعت يداي على ركبتي وأصبحت في
وضعية انحناء سمعت صوت طقطقة في فقرات ظهري، وجهي

يعانق الأرض والعرقُ ينهمرُ على الثرى، أصبحتُ لا أستطيع الوقوف، تعبت كاحلي، وأشعر أنني أركض في نفس المسار ولا شيء جديد، والأيام باتت تترتب كما تشاء، لا وقت لي فيها ولا حق لي عليها، سأبقى هكذا أجاهد ولن أخضع أبداً حتى لو كلفتني نفسي أن ألقى بها في بئر عتيق مليء بالماء، وحينها ستطفو جُثتي على الماء وأكون حينها قد انتهيت من كل هذه الهموم

الصراخ يملأ فراغات المكان، تنهض شهرزاد من نومها بحالة من الفزع وكأنها رأت كوابيس عديدة لا تتناسب مع سوء حالتها في هذه الأوضاع.

الآن أن عدتُ من جديد، هائمة معريشة من داخلي، أحاولُ أن أعود إلى رشدي، أن أعود كما كنت قوية لا أحتاج أحداً والمشكلة أن الاعتماد على الناس أمر مزعج وأنا لا أريدُ هذا فعلاً.

الوحدة جميلة يا أصدقائي؟ أنا لا أخاطبُ أحداً ولم أضع علامة السؤال لأنني أريدُ أن أسأل، لكن عن نفسي أنا تعجبني وحدتي وهدوئي، عالمي الآخر الذي يوجد داخله أكثر من عالم واحد، حياة أخرى بعيدة عن أولئك المتطفلين، العالم الذي أنا به تسكنه أرواح جميلة ونفوس طيبة، والعالم الذي تسكنونه أنتم! عالمٌ قدر دنيء مليء بأرواح الشياطين وفي الدرك الأسفل من العالم الحقيقي.

كلّ منا يذهبُ إلى ما يراه مناسباً لأصله ومعتقداته وحياته الواقعية، والمشكلة تتمحور في الأشخاص الفوضويين الذين يدخلون حياتنا قصاراً، الذين لا يجيدون وسيلة المعاملة بالأصل ولا يأتون للود بصلة، حين تركز همومك على الناس، يجب عليك ألا تنصدمَ من ردود أفعالهم غير المرضية تجاه نفسك وتجاه كل تلك الأشياء التي قدمتها من أجلهم، جزاءك كان الخذلان وليس كما كنتَ تظن، ونصيحتي لكم أن لا تروا الناس من الزاوية التي ترون فيها أنفسكم، حين يتعلق الأمر بكتاب أو مدونة قصيرة أو عبارة ونصوص، يكون الموضوع معقداً ولا يشرح ويعبر عنه إلا بالقلم والورقة، والحديث مع الناس والفضفضة، أصبحوا لا يأتون بجدوى ولا منفعة، تشعر وأنتك تحادث الجدران من حولك، وترتجي لها لكي تفهم ما بداخلك، لكن دون جدوى، الجدران لم تبينَ لكي تصغي لهمومنا ومشاكلنا، بل لكي تعزلنا عن أولئك الأشخاص الذين يتسببون لنا بالهموم والمشاكل، والأحداث التي لا تساوي شيئاً، الناس هنا معقدون جداً يا صديقي، لا يجيدون لغة الإصغاء والمعاملة بالمثل، ولا يفقهون كيف يردون الجميل إلى من كانوا حولهم في شدائدهم، والذين كانوا يساندون الجميع، الآن هم وحيدون لا أحد معهم

يعودون مرة أخرى داخل تلك الغرفة اللعينة، التي أود إحراقها كما حرقنتني من داخلي وجعلتني وحيدة، أسرتني بين نفسي وبين

كل تلك الأشياء التي كنت أسعى لها وما زلت، وسأبقى مستمرة دون تراجع عن كل شيء رسمته في مخيلتي وخططته.

إلى أصحاب الستر البيضاء والسماعات الطبية وتلك الشخصيات التي تعمل في تجارة الأرواح سحراً لكم.

الجميل في الموضوع أنني من الشخصيات التي ليس لديها مدى تأثير بالأحداث التي تدور حولها، ولست من النوع الذي يكثر كثيراً، أنا فقط أفكر في كيفية الانبساط في اليوم الذي أعيشه، وفي الساعات القليلة من بعد الاستيقاظ من نومي

ها أنا مستلقية على ذلك السرير الصاخب، السرير الذي يذكرني بنعش الميت من شدة بياضه، كل ذكرياتي الدنيئة كانت هنا، وكل الأشياء التي أعطتني دروس في الحياة، كانت نابعة من هنا ومن جوف هذه الغرفة وذلك السرير وتلك الحديقة وأولئك الذين يرتدون ستر بيضاء، وسأظل أتحدث عنهم حتى أعود إلى عالمي الخاص.

انعقاد الحاجبين بدأ عندي وكل ما بداخلي يعلن حالة النفير العام، سئمت روحي كثيراً من هذا المكان الذي يعج بالأمراض النفسية، لم البقاء هنا! إن كانت العودة إلى الديار أصعب، فأنا أريد أن أعود بدلاً من الجلوس هنا وتمتع أشياء لا فائدة منها، سوى أن تزيد حالتي أكثر سوء عن السابق.

المشكلة أن أمي تعاملني كطفلة صغيرة ولا تعي أنني نضجت أكثر من اللازم وأن خوفها الزائد علي، سيُسبب لي الإحباط والجنون في ظل هذه الأجواء؟ لا أعلم ماذا أقول لكن لا أريد أن تزيد بي الأمور سوء ولا أحد يشعر بي حينها.

أنا فقط أريد العودة إلى الديار مهما كلفني الأمر، لأنني أشعرُ بحالة جيدة وعلي البدء من جديد والخروج من دائرة الكسل والخمول والتوقف عن تناول جرعات الإحباط.

أظن أنني في هذا المكان أهدر الوقت بلا ثمن، حان وقت الخروج وأن كل هذه العبارات التي تنطق بها شهرزاد من كلام غير منطقي والذي سببه جرعات الدواء التي تحتوي على نسب عالية من المواد المخدرة، والتي تجعل المرء يفقد صوابه ولا يعي ماذا يقول.

حان الآن موعد الخروج من ذلك المكان الذي باتت روحها معلقة فيه، وكان شيئاً ما يدفعها للبقاء مع أنها دائماً بينها وبين نفسها كانت تقول ما هي اللعنة التي حلت علي لتضعني في هذا المكان، لكن شاء القدر عليها.

لكن كل شيء مر بسرعة وكل الأحداث تتداول بسرعة، لا هي شعرت به ولا حتى أمها التي لم تكف عن الدعاء لو للحظة إلا عندما كانت تريد أن تشرب جرعة ماء.

خرجت شهرزاد من المشفى وهي برفقة أمها. الآن في المصعد وهما في حالة من الفرح والشعور بالراحة وشيء ما يدور داخل الطرفين، تشعر وأنه حوار سيدور بينهما.

الفتاة : أشكر الله على وجودك معي يا أمي، دائماً تصنعين الفارق لي وترفعيني درجة.

الأم : لا يا بنيتي، لست فقط أنا بل كل أم لديها أبناء، فهذه هبة من الله، إنك أنت قطعة مني ومن دمي ولحمي، فلا استطيع التفريط بك، لأنني حينها أكون قد فرطت بروحي كلها.

شهرزاد: أنا أعلم منك يا أمي كل يوم وكل لحظة تقضيها بجانبني.

الأم: أنا معك إلى نهاية المطاف فهذا واجبي تجاهك.

شهرزاد: لا أعلم ما هو نهاية المطاف، لكن بما أنك بجانبني فلا شيء يخيفني بعد الآن.

الأم: الهدف من الحياة يا بنيتي هو التعود على الاعتماد والاعتیاد على نفسك وقدراتك لا على الآخرين.

شهرزاد: أنا مؤمنة بالأقدار يا أمي، فأنا سائرة على أبسط الأشياء، فليكن خيراً

وصلت الأم وابنتها خارج المستشفى، الجو مختلف تماماً، حتى نسمات الهواء رائحتها مختلفة، الناس أيضاً بحالة جيدة، شعاع

الشمس يروي قصة التعب الذي مروا به طوال الفترة التي كانوا يتنقلوا فيها من السرير إلى الحديقة، الأيام باتت مسرعةً ولم يشعروا بالوقت .

نظرات غريبة نابغة من جوف عيون شهرزاد إلى تلك الطبيعة والناس الواقعين عليها، في الفترة التي غابت فيها عن الشارع العام، شعرت أنها خلقت من جديد وأنها أضاعت جميع الطرق وكل الإشارات والرموز، وعلامات الاستدلال ، تشعر وأنها تحتاج إلى من يوجهها من جديد

الأمر لم يكن عادي على فتاة تواجه الصعاب وحدها، وتحمل على عاتقها أعباء لا يحتملها شخص آخر أو فتاة أخرى، العيش هنا صعب للغاية، يجب على الفرد أن يضحي بنفسه كثيراً، وأن يحتسي جرعة الصعاب قبل البدء في أي عمل سواء كان فردي أم جماعي.

شهرزاد تسيير جنباً إلى جنب مع أمها، تفكر في كيفية تنظيم وقتها وكيف عليها رسم طريق النجاح من جديد والبدء على أيقونة أخرى، وأن كل الأشياء التي حصلت في السابق ما هي إلا دروس يستفاد منها في المواقف القادمة وفي الأيام التي أجد فيها سندا لي، فوجود أمي على هذا العالم وهذه الأرض والمحور الذي يدور حول الجميع، إن كانت هي بخيرٍ وتستنشق الهواء يومياً وتمارس حياتها

بشكل جيد واعتيادي، فانا سأكون بخير وسأبقى ماضيةً إلى حلمي وشغفي.

شهرزاد بينها وبين نفسها، طريق الأحلام صعبٌ جداً، ومتعبٌ للغاية والتفكير في النجاح يحتاج إلى مجهود كبير وطاقات كثيرة وقدراتٍ عالية، وشخصية من أصحاب اللامبالاة لشيء، لأن الخوف أصبح كثيراً من الأشخاص الذين يعانون من مرض نفسي ولا يجيدون شيء سوى التخريب على غيرهم.

الناس لا يدرون متى يكون المرء هش مليء بخيبات الظنون، يسكنه عالم آخر من الحديث الغير مفهوم والكثير من الكلام المتداول والأحداث المسترجعة بين القلب والدماغ، الأمر ليس بغاية السهولة كما تظنون، والإصرار يحتاج إلى عزيمة وإرادة قويتين.

بعد سفر طويل على الأقدام، وشهرزاد تفكر في أشياء كثيرة تخص حياتها ومستقبلها ومستقبل عائلتها البسيطة، وفي أمها وأبيها الذي ما زال السرطان يلتهم جسده شيئاً فشيئاً، وحقن الكيماوي أهلكت ملامح وجهه وأصبح هزيل مثقب من جميع أنحاء جسده.

لا أدري متى يصبح المرء في حالة من الراحة من جميع الأشياء التي يفكر فيها، متى يصبح ذهنه مستقل ولا يشرد في أفكاره بعيداً وإلى حيث لا يعلم، الأمر مؤلمٌ حقاً، أن تسير مع نفسك وأنت لا تعلم في

أي بلدٍ هي تفكر الآن وأين هي جالسة وما النعيم الذي وقعت به وزادها ازدهاراً واضطهاداً، وكله في الأحلام.

لا بأس فمن يُريد شيئاً حقيقياً، عليه التضحية من أجله ولأجله، عليه نسيان الرفاهية والراحة، يجب عليه أن يفني فتات عظامه من أجل ما يريد، أن يقدم نفسه على راحته، أن لا يعرف لليأس معنى، وأن يبقى يحاول حتى تمل المحاولة منه، أن يبقى صامداً حتى تستلم أشجار الزيتون، أن يُعلم نفسه أن لا شيء هينٌ وأن لا شيء يأتي بسهولةٍ وكل الأشياء تحتاجُ إلى جدارة.

صعدت الأم وابنتها إلى الحافلة، ورائحة معطر الجو تفوح في أرجاء الحافلة، معلنة حالة من الصداع للأُم لأنها تعاني من أزمة بسبب رائحة العطور، تود الآن لو تفتح باب الحافلة وتخرج لاستنشاق الهواء النقي، ومن جهةٍ أخرى سائق الحافلة الذي نظر لها ولابنتها بنظرة غير عادية وسؤال غير منطقي لما يناسب عمله كسائقٍ شريف.

لكن الأم قررت أن تبقى داخل الحافلة جالسة مثابرة مع نفسها، من أجل ابنتها التي انهكت من العلاج داخل المستشفى وانهكت من المسافات التي قطعتها مشياً على الأقدام ، وهي الآن تبحث عن الراحة في العودة إلى ذلك المنزل البسيط الذي تعلمت فيه كل الأشياء البسيطة.

تميل شهرزاد رأسها على كتف أمها على ذلك السند القوي
والحنون التي تعرف أنها لن تنكسر في أي يومٍ من الأيام وهي
مستندةٌ عليه.

الآن وبعد إهدار طويل للوقت وانتظار على أحر من الجمر، سائق
الحافلة يقوم بتشغيلها للانطلاق إلى وسط المدينة ومركزها حيث
هناك تعيش شهرزاد

في الطريق إلى المنزل، الحافلة تسير بشكل سريع، الشوارع هنا
واسعة، لا أزقة فيها، حياة المدن هنا غريبة جداً، لا اتصال ولا تواصل
بين الناس، حتى السلام يستخدم كسلعةٍ للبيع والشراء وبناء
العلاقات التي تزيد من قيمة المرء بين الناس

تسند شهرزاد رأسها على حافة النافذة، الشمس تدخل إلى جوف
المكان، تصيب العين بحالة من الغباش الأسود، الذي يصدع الرأس
لفترة طويلة ويسبب دوار شديد.

تنظر شهرزاد إلى سائق الحافلة، تتأمل التعب الذي يمر به أثناء
عمله، تتأمل الكلمات التي يخطئ الناس فيها كثيراً في حقه،
تتأمل الشيب الأبيض الذي يكسو لحيته وشاربيه وجزء من رأسه.

الحياة صعبة جداً على هؤلاء الأشخاص اللذين لا يعلمون أين هو
مصيرهم، وإلى أين سيصلون وكيف ستكون نهايتهم، هؤلاء
الأشخاص الذين يفنون حياتهم ليلاً ونهاراً من أجل أسرتهم و
أبنائهم.

توقفت الحافلة بعدَ سفرٍ طويلٍ، يفتح باب الحافلة الإلكتروني وتخرج شهرزاد برفقة أمها لتستنشق هواءً نقياً نظيفاً، بدلاً من هواء المكيف الذي أصابها بالصداع.

لحظة التأمل للتعب الذي يمر به سائق الحافلة أثناء عمله وهو ينقل الركاب ليلاً ونهاراً، يفني حياته من أجل عائلته، هو ذلك الرجل الذي يخاف منه الجميع يظنون أنه من يخطف الأطفال، لا يثقون به لأنهم لا يعلمون ما هي الأحمال الموضوعة على عاتقه والتي كسرت ظهره واتعبت كاحليه وهو يفكر كيف سينجزها وهو واقفاً على قدميه وليس بحاجةٍ أحد، وغير هذه الأحمال، ظنون الناس فيه أنه شخص لا يؤتمن له، لكن هو مدركٌ أنه على حسن نيةٍ دائماً وأنه على حب الخير دوماً للناس.

خرجت شهرزاد من الحافلة وهي تعيد جميع الأحداث التي مرت بها طوال تلك الفترة التي كانت تسعى فيها من أجل أحلامها وطموحاتها، ومن أجل ذلك الابتكار الذي كانت تطمح إليه دائماً.

تقول بينها وبين نفسها: لقد توقفت عن مراجعة أول حدث، لأن ذلك سبب لي توتراً شديداً وانتابني شعور الخوف أكثر من أي مرة، وسأبقى ماضيةً نحو أحلامي كما أنا، دون التفكير في الماضي، لأن التفكير في كل مشكلة يخلق مشكلة أخرى بيني وبين عقلي.

أتمنى أن تقابلني أحلامي الوردية الآن، أن ألتقي بكل ما أريد، أن أحقق كل ما سعيت لأجله، أن أشعر بالراحة والأمان، الأمور معقدة جداً، حينما يتمنى المرء شيئاً لا يتحقق، لا أحد يعلم لماذا أو هل هذه حكمة ريبانية، لا بأس إن كان الأمر كذلك، لكن ما ذنب روحي أن ترهق طوال هذه المدة من الانتظار والصبر أن تبقى معلقةً هكذا مثل شخصٍ مجهول الهوية شتقَ منذ زمن طويل واهتراً الحبل حول عنقه وأنكف عنه لكن بعدما فات الأوان، وحبست أنفاسه ولم يستطع أحد الوصول إليه ولم يستطع أن ينجو من ذلك الحبل الثخين الذي التفت على عنقه وحبس أنفاسه لثوانٍ معدودة وحينها كان قد فارق الحياة.

أنا أعلم أنه من يريد شيئاً عليه أن يضي نفسه من أجل ما يريد ويضي حياته ويومه وكل شيء، وأن يلقي نفسه في بئر التضحية وأن يجدف بيديه وكل ما لديه من قوة وأن يبقى يحاول الغوص في جوف هذا البئر الذي تقابل فيه كل الأشياء التي تسبب لك الهلاك.

لكن إن كنت حقاً تسعى لشيء وتريد أن تحققه وتفخر به، عليك البقاء في داخل ذلك البئر حتى تحصل على ما تريد مقابل كل الأشياء التي ضحيت بها، وأولها نفسك. ينتهي الحوار الآن وصراعات العقل والروح، والعودة إلى الوضع الطبيعي ومحاولة الاستقرار الذهني والفكري، للبدء في استقبال حوارات داخلية

أخرى والنظر إلى كيفية التخطيط من أجل هذا المستقبل الطويل، وتلك الطموحات التي تخلد داخلي منذ زمن بعيد .

تقف شهرزاد أمام منزلها الذي ترعرعت فيه وأمام تلك القرية التي نشأت فيها وبين أزقتها الخربة والطريق المعرج.

تنظر إلى أولئك الجيران الذين يقبعون بجوار منزلها، تتأمل جو الراحة والطمأنينة الذي يمرون فيه، تود أن تصبح مثلهم، لكن هي لا تعلم أن الأيام تتقلب وأنه لا أحد يبقى على حاله وأن الفرح والترح يزور الجميع ولا يقف على عاتق أحد.

وأن كل الأشخاص الذين لديهم طموح لهدف ما، يعلمون جيداً أنه عليهم التعب والإصرار والمثابرة إلى أبعد الحدود وعليهم التخلي عن أجزاء كبيرة من حياتهم اليومية، لكي يستطيعون ترك مساحات لتلك الطموحات التي يسعون لأجلها.

تتقدم الآن بضع خطواتٍ إلى الأمام، أمام منزلها، تريد العودة إلى مكان ما لكنها لا تعلم إلى أين، تقف بجانبها أمها التي تحمل على عاتقها تعبَ ابنتها وتعب زوجها الذي انهكته حقن الكيماوي وما زال راقداً في فراشه يصارع مع المرض ويحاول أن يتناساه رغماً عنه.

يطرق باب المنزل من قبل شهرزاد، وإذا بأخيها الصغير يفتح الباب ويقول لهم، الحمد لله على سلامتكم! تفضلوا.

لحظات من تبادل الأحضان لأخيها وأبيها وتنهمر بالبكاء عليهم وعلى الوضع الذي يمرون به.

تجلس مع العائلة وتسألهم عن حالهم وكيف كانوا وهي بعيدة عنهم، يرد الأخ قائلاً لها: لقد كان الوضع في غيابكم سيء وقد عانيت كثيراً وأنا أعمل جاهداً لكي أستطيع أن أحصل على الطعام، وأيضا حقنة الكيماوي باهظة الثمن، وأنت تعلمين أن أبي بحاجة لها كل أسبوع مرة واحدة على الأقل.

عيون شهرزاد باتت هزيلةً جداً، وانتابها شعور الضعف وقشعريرة في أنحاء جسدها، ولم تجد رداً تقوله لأخيها، سوى أن تلتزم الصمت وأن تقوم بالبكاء على ما حصل في غيابها

ترد شهرزاد، وهي في حيرة من أمرها : لا بأس يا أخي فهذه الحياة صعبةٌ على الجميع وعليك أن تضحى كثيراً وتتعب كثيراً حتى تنال ما تريد وحتى تصل إلى مقعد الراحة، أنت الآن ما زلت صغيراً، لكن بنييتك الجسدية تساعدك على المثابرة، فعليك ألا تستسلم وأن تكون رجل هذا البيت دائماً وفي غيابي، وعماً قريب سوف أهاجر أنا من أجل الدراسة، فعليك أن تكون سند هذا المنزل.

الأخ: أنت محقة جداً، هذا ما شاهدته أنا في الفترة القصيرة التي عملت بها في غيابك، ولكن كلامك هذا كان تأكيداً وتوعية لي.

ينتهي الحوار وجو من الهدوء وتبادل النظرات بين شهرزاد وأخيها ،
العيون تبحث عن حضان يخفف على الطرفين ،

تنهض شهرزاد لتحضن أخيها وتميل رأسها على كتفه، وتقول له
كم أنت صغير لكن أنت في نظري رجلٌ وأكثر، أشعر وإنني أسند
نفسي على جبل لا يهتز.

لحظة البعد عن الأحضان وشعور بالقوة والأمان، تذهب شهرزاد
إلى غرفتها، وهي تطيل النظر إلى أشياءها البسيطة إلى تلك
اللوحة المعلقة على الحائط، وتلك الطاولة التي كانت تقرأ
الروايات عليها وتنتهي عليها واجباتها الدراسية، كانت هي بوابة
الذكريات وتجديد الأمل من جديد لكل الأشياء التي واجهتها
ومضت بخيرها وشرها .

جالسة، على ذلك السرير المنهك، وتلك الوسادة المصنوعة من
القطن الخفيف، عيناها تنظر إلى الثقوب التي تنتشر في سقف
الغرفة، تبحث عن روح جديدة لها في هذا المكان لكنها لا تجد سوى
الحيرة والتعجب، بعد جلوس طويل في غرفتها، وإدراكها لأمر
كثيرة، تقول بينها وبين نفسها، على المرء أن يضحي من أجل ما
يريد، وأن كل شخص في هذا العالم يسعى لهدف معين وغاية
محدودة، لكنها غير مرئية وسبلها غير معروفة، وعلى هذا الشخص
أن يبقى مستمراً كما هو وأن يبقى يحاول ويجازف حتى يحقق

غايته، ومهما كانت الطريق صعبة ومليئة بالعثرات، يجب عليه التأقلم معها وأن لا يعتاد على خصوبة الطريق وسهولته.

وإن التجارب الفاشلة التي يكررها الإنسان في حياته، هي خط الدفاع الأول له، عند البدء في عمل جديد، وهي محفزات غير ملموسة، تتلقاها أعضاء الجسد من إفرازات الدماغ وتكراره للعملية نفسها أكثر من مرة.

والآن يجب علي أن أبدأ من جديد، أن أسعى جيداً وأن أجازف مع نفسي حتى أستطيع تحقيق ما أريد وكل الأشياء التي أخطط لها منذ مدة.

شعور الوحدة قاتل يا عزيزي، أن تشعر وأنت مجرد من كل أشياءك وجميع الممتلكات التي حصلت عليها في أحلامك، وكل تلك الطموحات التي تقدم راحتك لأجلها.

أن تجلس منفرداً هكذا بين أربعة جدران ووحدةك المعتاد عليها، وكأس القهوة الذي ترتشف منه رويداً رويداً، وتظهر علامات البؤس على شفاهك من طريقة شريك الخاطئة لتلك القهوة المظلمة.

لتضع مقياسٍ لقدراتك، على ذلك الكوب الذي كنت ترتشف منه جرعات القهوة رويداً رويداً، لكنك كنت تملأ شفاهك بالسواد، وكنت تروث ملابسك، كيف لك أن تخفي أحزانك عن بؤرة هذا الكوكب الذي يسكنه أشخاص غريبون في كل شيء، وأنت على

مقياس جرعة من القهوة لم تستطع أن تحتسيها جيداً وأن تتأني في شربها أو تأخذ قليلاً على مهلك بين الرشفة والأخرى، وتظهر لذلك الكوكب أنك شخص عادي وباستطاعتك فعل الأشياء دون معرفة أحد ودون طلب العون من أحد، وأنت شخص بارع في إخفاء حزنك ولحظات ضعفك.

لكن لا بأس هذه المرة غالباً ما يخطئ المرء في بداية طريقه والطفل لا يولد من بطن أمه، وشهادته الجامعية في يده وكل متاع الأرض، هو خلق كما خلق باقي البشر، لكن تطوير النفس يعتمد على الشخص نفسه وأن الإنسان الذي يطمح لشيء ما، يكن مختلف تماماً عن الإنسان الذي ليس لديه طموح، لأنه في الأول يبحث كثيراً ويحاول كثيراً وكل يوم في روتين جديد وعمل جديد، والثاني لا يريد من هذا العالم شيء، سوى أن يأكل وينام ويبقى بسلام على روتين واحد.

ما هذه الأيام الزجاجية التي أمر بها، كل شيء حاد هنا، وأشياء كثيرة أرى بقاياها تتلاشى وتتبعثر، أريد أن أجمع كل تلك القطع الزجاجية وأن ألقها في بئر عتيق عميق، يسوده الظلام ولا يسكنه أحد، ولا حتى تسكنه الأرواح الطاهرة، لأنني أخاف أن تجرحها قطع الزجاج وتحولها إلى أرواح شريرة.

الوضع سيء هنا، وشعور الألم والصداع يرافقاني منذ مدة، أريد الخروج من جو هذا المكان الذي يسكنني ولا أسكنه، الذي استوطن

كل ما في، ولم يبق شيء أريده من داخلي إلى وقد وضعه خلف قضبان فولاذية.

أنا هنا لأبحث عن السلام، لأحقق أحلامي وطموحاتي، لم تخلق روحي لتوضع في ساحة الحرب، لم يخلق عنقي ليستهان به، ولم يهين الله نعومة أظفاري، لأجرد بها أشلائي وشظايا الدمار التي بداخلي، أنا على يقين بأن خلف كل هذه الحروب، سلامٌ عظيم، وسلامي دائماً لأصحاب السلام الدائم.

عودة مرة أخرى لشهرزاد وهي جالسة على تلك الأريكة وعينها تناظر إلى المدى البعيد الخارج من النافذة، تنظر وتتأمل كثيراً، لا ترى سوى الظلام، وكلما طالت المسافة، زاد الظلام قريباً وعمته.

تقول في نفسها: كم اشتقت لهذا المكان كثيراً، عندما كنت في المستشفى كنت أتمنى أن أعود إلى غرفتي وسريري وأشيائي التي أحبها، والآن ليس لدي أي شعور تجاه هذا كله.

الأمر معقد، ازدحام الأفكار عالقٌ بداخلي، شظايا الدمار بدأت تخدش روحي شيئاً فشيئاً، علامات الضعف ظاهرة على باطن وجهي.

انعدام الرؤيا يلاحقني منذ مدة والشroud الذهني ينتابني في كل حين، وطيفٌ من الأحزان يزورُ مآدبة أحلامي، و يعركس طريق تحقيق الأمنيات، وكل شيء باقى كما لو لم يبق شيء.

باب الغرفة يطرق الآن! يا ترى من سيأتي في وقت كهذا ليطرق
باب غرفتي بهذه القوة ؟

نهضت لترى من خلف الباب، شهرزاد: من هناك؟

-أنا أمك يا عزيزتي أفتحي الباب أريد أن أتحدث معك.

شهرزاد: حسناً تفضلي يا أمي، لكنك قد أزعبتني في هذه
اللحظات.

الأم: لا تقلقي يا عزيزتي، لكن دقائق قلبي تقول لي بأن شيئاً ما قد
حدث معك، أو أن التفكير يلاحق محور عقلك ويصيبك بتشتت
الانتباه في كثير من الأحيان.

شهرزاد: يا أمي، أنت وحدك التي تعلمين بالكم الهائل من الأشياء
الموضوعة على عاتقي، لكنني لا أعلم من أين أبدأ؟

الأم: أعلم جيداً، لكنه عليك التحلي بالعزيمة والصبر، وأن كل
الأشياء التي تسعين لأجلها سوف تتحقق، وفرحة الانتصار سوف
تنسيك مرارة كل شعور سيء مررت به.

شهرزاد: أنا صابرة ومثابرة يا أمي، لكن أريد منك أن تعطيني
طريق البداية من أين والنهاية سوف ترسم نفسها بنفسها.

الأم: حسناً، لكن أخبريني بالأمر التي تودين تحقيقها وتسعين
لأجلها.

لحظة صمت تعم أرجاء المكان، وعناق الأعين بدأ يتبادل وبشدة
وثنايا الابتسامات بدت تأخذ حيزاً كبيراً في الوجه ويجوار الشفاه.

شهرزاد: الأمور التي أريد تحقيقها، هي أن أخترع الشيء الذي
حلمت به منذ طفولتي، وأن أحسن وضعنا المادي وحالتنا التي تزيد
سوء يوماً بعد يوم!

الأم: هو نفسه الاختراع الذي عملت به أنت وزميلتك في المدرسة
عندما كنت في الصف التاسع عشر؟

الفتاة: نعم هو بحد ذاته، لكن الآن حان موعد تطويره والعمل
بأقصى الجهود من أجل أن أحصل على النتيجة التي أريدها.

الأم: أنا سائرة معك يا عزيزتي إلى آخر المطاف، وسوف أقدم لك
الدعم النفسي والمالي وكل ما أستطيع، لكي أراك سعيدة وأنت
تحققين ما حلمتي به.

شهرزاد: سأضل أكرر يا أمي، أن وجودك بجانبني هو المحفز الوحيد
الذي جعلني أبذل أقصى جهدي لكي أستطيع أن أصل إلى الدرجة
الأولى من القمة، وأنت كنت درب الطريق إلى كل مسعى، أشكر
الله على نعمة وجودك.

والآن يا صغيرتي نامي بسلام، ولا تبالي بأمور الحياة بشيء، ولا
تكثرين كثيراً، ودائماً تحلي بالصبر والإرادة، ولا تفكري إلا في
يومك ويجب أن تقضيه بكامل لهفته وتشويقه، وأن التفكير في

المدى البعيد، يخلق لكِ عثرات ومشاكل نفسية، ويسبب توترات وخوف من القادم، وحسم الأمور قبل حدوثها، هو إحدى المعوقات التي تواجهكِ وأنت ماضية في الطريق الصحيح، ستلقين كل هذه الحسابات الدقيقة، على هيئة عثرات يصعب عليك التخلص منها، وقد يحتاج الأمر، أن تبدأي العمل من جديد.

خرجت الأم من الغرفة وأغلقت الباب خلفها، وبقيت الفتاة لوحدها، تحتوي بعض من الكلمات المبعثرة.

تقول شهرزاد بعد هذا الحوار مع أمها: أنها ولأول مرة تجرب شعور الفضفضة الحقيقية، وتفرغ المشاعر المتراكمة والمنتهية صلاحيتها منذ زمن، وأن هذا الحوار كان مع الشخص الحقيقي والذي لا يرتدي الأقنعة أمامي، ويفضلني عن نفسه في كثير من الأمور، الأم هي العون الوحيد لابنتها، وأقول لكل فتاة، إن ضاقت بك الدنيا في يوم من الأيام، فاتجهي لأمك فهي المرسى والسبيل، ولن ترفض أن تعينك في أي شيءٍ تطلبينه سواء لمصلحتك الشخصية أو العامة، فهي لن تقبل أن ترى قطعة اللحم التي أنجبتها، تبكي دماءً على شيءٍ بسيط لم تستطع تفاديه وتجاوزه.

الآن ترقد وحدها كالعادة على ذلك السرير اللعين، الذي يحمل فوقه الكثير من الذكريات المؤلمة، وترسبات خيبات الظنون عليه، والحوارات النفسية اللا منتهية، التي كانت تحصل كل يومٍ باستمرار.

هذه الوسادة المثقبة، التي يخرج القطن منها، في كل ثقب ترى جرح عميق، أعمق من الثقب الذي يبرز القطن منه.

عقارب الساعة قاربت على الثانية من منتصف الليل، الهدوء يعم المكان ولا صوت يعلو على صوت رنين الإبرة، الناس في الخارج فرحون وأنا أشعر بأن العالم سوف ينتهي غداً، أشعر بأنني فاشلة جداً، لأن العالم سينتهي وأنا لم أحقق شيئاً واحد مما أريد.

طفح الكيل الآن، الظلام يخيم على عيني، والندبات في قلبي تزداد أكثر وأكثر، وتسارع في النبض، صداع شديد ورغبة في الانحلال عن هذا العالم، وترك كل تلك الأشياء خلفي، لكنني أنا لدي شغف في المقاومة والإصرار، أكثر من الانحلال وترك كل شيء، وبالرغم من أن عائلتي متمسكة بي، فأنا سأظل أقاوم حتى آخر رمق.

تحاول شهرزاد أن تنام وهي ما زالت مستلقية على سريها والظلام من حولها ولا ترى آثار النور من بين شقوق الستارة، الذبول يصيب عينيها، تتثائب وهي تحدد في السقف دون شعور أو استشعار بما حولها لتكون الآن في نوم عميق.

ها قد غاب ظلام الليل وعمته، ليخيم الصباح بإشراقاته الجميلة وزغردت العصافير والبلابل، والبدء من جديد بنفس جديدة وروح مرحة متهيئة للعمل بكل شغف وامتنان.

تستيقظ شهرزاد، لتذهب عيناها إلى ثقب النافذة وتناظر شعاع الشمس الذي يمدّها بالطاقة والنشاط. (تقول في نفسها يبدو أنه يوم جميل ورائع، سأحاول الاتزان فيه قدر الإمكان)

تنهض من فراشها متجهة إلى المغسلة لتنظر في نفسها بالمرآة، ولتأمل التفاصيل التي لم تكن تراها منذ زمن، تشعر أنها فارغة من كل الأشياء، وليس لديها ما يعكّر مزاجها ونشاطها .

تغسل الفتاة وجهها جيداً، وتذهب لتلقي نظرة على إخوانها وأمها وأبيها، لتلقى أنهم نائمون وأن الصباح في أوله والساعة لم تتجاوز الثامنة، شعرت بالسرور لأنها اليوم لم تستيقظ على المنبه وهذا الشيء قد زادها نشاطاً وإيماناً بقدراتها وعزيمتها، رغم مرارة الأيام التي تعيشها .

الجميع نائم، يرقدون بسلام، ليس علي إزعاجهم أو إحداث أي توترات في أرجاء البيت، يبدو أنني لن أعود إلى النوم فالأفضل أن أذهب وأعد فطور خفيف يحافظ على توازني في هذا اليوم .

تذهب شهرزاد إلى المطبخ، لتعد فطور خفيف أو وجبة سريعة لتستطيع قضاء هذا اليوم بحيوية ونشاط .

تقوم بإعداد قطعة من الخبز المحمص لتضع عليه المربى مع الزعتر والزيتون، وتبدأ بشحن نفسها بالطاقات الإيجابية .

الآن تبدأ بمضغ الطعام، على تأنٍ ومهلٍ، بعد غضون دقائق قليلة وهي قد أوشكت على الانتهاء، تتذكر أن عليها ترتيب الكثير من الأمور والبدء في خوض مرحلة التحديات من جديد وركوب سفينة الأمل والشرع في بحر تحقيق الأحلام، لئلا تنجو من موجات الفشل والخذلان.

هو الآن ماذا أفعل! لقد انتهيتُ من الفطور وقمت بترتيب غرفتي وخففت القليل من أعباء البيت الموضوعة على ظهر أُمي.

الهدوء يسود المكان، ودوامة التفكير تحاول اجتياح مخيلتي، لكنني أقول داخل نفسي (حاولي تذكر موقف جميل ليشوش على الوسواس الذي يحاول العبث في جو الراحة الذي تشعرين به)

أقف الآن مسترخية على مهلي وأضع يدي اليمنى عند فك وجهي الأيمن، وأصبعي الأوسط داخل فمي، أقضم رأس أصبعي بعنف، لأرى أنني قد تسببت بنزيف في إصبعي والدماء تسيل بلطافةٍ، وغزارةٍ، لكن ذاكرتي مخربشة ولا أذكر قط أنني قد وضعت إصبعي في فمي لأسبب هذا الألم كله، دائماً أتجنب عدم إيذاء نفسي،

لكنني أظن أن الوسواس الذي كنت أتحدث عنه وأحاول نسيانه، استطاع أن يتقمص دور الشخص الجيد ليتسول إلى محور عقلي.

ياحضار شهرزاد لقطعة قماش تقوم بتنظيف الدماء من على إصبعها لتعقم الجرح الذي أحدثته في يدها وهي خارجة عن نطاق اللاشعور بالنفس. وحالة استثنائية لا تحدث إلا مع الأشخاص

الذين يحملون على عاتقهم أحمال كبيرة وفي نفوسهم من الكلام الذي لا يشرح ولا يعبر عنه، إلا بالبقاء والصمود وطلب المستحيل من أجل تحقيقه.

تقول الفتاة مع نفسها: (ما هذا الذي حل بي؟ إصبعي يؤلمني جداً، اللعنة علي أين كان عقلي وأنا أفعل هذا؟، لا أعلم حقاً متى سوف تنتهي نفسي من نفسي .)

ما زالت تقف كما هي، ولا شيء جديد غير أنها تجرد في الدماء، وتوقف النزيف لأنها لا تريد أن تضمد إصبعها، لكي لا تراه أمها أو أبوها، خوف من أن يقلقون عليها كثيراً ويرغمونها على الذهاب إلى الطبيب، وهي لا تحب هذا أساساً.

بعد عناء طويل وصراف الكثير من قطع القماش، استطاعت الفتاة أن توقف النزيف وتخفف من الألم.

تقول في نفسها: (عليّ استغلال لحظة الهدوء هذه التي تملأ أرجاء البيت للذهاب والجلوس مع والدي الذي افتقدت وجوده منذ زمن، وأشعر بالنقصان بدونه).

لحظة الضجر من النفس، وتدني المستوى النفسي والمعنوي، وانعدام الرؤى لأي عمل جديد، سوى البحث عن مكان للراحة والاطمئنان عن أي مرحلة قد مضت،

تتقدم خطوات إلى الأمام، وهي تثق بأن الأمان والراحة والاطمئنان في رؤيتها لأبيها، لطالما انعدمت الرؤى عندها في الفترة الأخيرة.

وصلت عند باب الغرفة وطرقته برقة وحنان: أبي هل أنت في الداخل اسمح لي بالدخول؟ لا أحد يجيب!

تعيد الكرة مرة أخرى، لتتفاجأ أنه لا أحد يجيب!

بدأ الشيطان يأخذ دوره في اللعب في عقل الفتاة، وتخويفها على والدها ولماذا لم يجيب على نداءها له وحتى لم يفتح الباب لها.

بدأت تفكر وتتذكر أن والدها مريض وأنه يحتاج إلى الراحة وتوفير العلاج، لكن بالرغم من ذلك كان يقاوم بقدر المستطاع ويقدر الإمكانات التي توفر العلاج له.

حالة الرعب والذعر تأتي الآن إلى شهرزاد لتوخز قلبها وتشوش عقلها، دقات قلبها تزداد سرعة، افرازات العرق تزداد والهبوط النفسي بدأ عندها وشيء ما يوسوس داخلها بأن مكروه ما أصاب والدها.

مدة انتظار دامت طويلاً ولا أحد يجيب، هنا الأمور ازدادت سوء أكثر من السابق. بعد انتظار طويل، عادت الأم إلى المنزل، لتجد ابنتها جالسة خلف الباب وهي مستديرة وظهرها على الباب، ويدها على وجهها، وتشعر في البكاء على شيء غير معروف.

وصلت الأم إلى ابنتها وهي في حالة طبيعية، لكنها كلما اقتربت شعرت بالذعر والخوف، ودقات قلبها تنذرها بأن هنالك فاجعة أو حدث سيء قد وقع في المنزل.

حوار قصير بين الأم وشهرزاد

الأم: دون إلقاء التحية وهي تلتقط أنفاسها الأخيرة؟ ماذا يحصل هنا، وأين أبوك؟ لماذا الباب مغلق؟

شهرزاد: لا أعلم يا أمي، كل ما في الأمر أنني أردت أن ألقى التحية عليه وأن أطمئنه عني وأطمئن على حالته الصحية.

الأم: لم الذعر، لا تقلقي، لم يجب عليك فقط، لأنه قد تأخر عن حقن الكيماوي، وأصبح لا يستطيع القيام أو الرد على مناداتك له، وذلك المرض انهكه جداً وأصبح لديه صعوبة في النطق، لا تقلقي يا فتاة إنه بخير.

شهرزاد: إذاً هو بخير، لكن علينا فتح باب الغرفة لكي نستطيع الاطمئنان عليه والقيام باللازم من أجله.

الأم: حسناً دعيني أحضر المفتاح.

يكتمل المشهد عند الأم وهي تقوم بفتح باب الغرفة على زوجها لتطمئن عليه.

تدخل الأم وشهرزاد الغرفة الآن، ليجدن أن الأب ملقى على الأرض ولا هو بحاجة إلى دواء ولا حتى إلى طبيب يعالجه، هو فقط كان

يلتقط أنفاسه الأخيرة وهو يقول بصعوبة في النطق: يا فاطمة الأولاد أمانة في عنقك وخصوصاً شهرزاد ابقى بجانبها إلى آخر رمق ولا تجعلها تكف عن السعي وراء حلمها من بعد فراقك لكم.

تنظران إلى الأب بحالة من الهلع، ونوبة من البرود والتشتت في أعصاب الأم وشهرزاد، هرمون الإدراك قد نفذ، والمشهد الذي أمامهم مرعب جداً، ولأول مرة يشاهدون شخصاً ينازع وتخرج روحه من جسده، كما تخرج الشعرة من العجين.

الأب مجدداً يريد أن يقول شيئاً، ولكن يشعر بالثقل على لسانه، ويحاول جاهداً، وإذ بقدرة الله ليجعله ينطق:

الأب : أصغ إلي جيداً يا بنيتي، (يتكلم الأب إلى ابنته ويلتقط أنفاسه بصعوبة) يقول لابنته، منذ وأن كبرتني أصابني هذا المرض الذي أحمد الله عليه، وهو الذي منعتني من أن أتعرف على ابنتي التي أفتخر بها أكثر وأكثر، وأن أعرف ما هو طموحها في هذه الحياة، لكن بعد زمنٍ قصير، سمعت حواراً صغيراً بينك وبين أمك، أنه لديك طموح لشيء معين وأنتك تودين السفر إلى بلاد الغرب وإتمام دراستك وأيضا ذلك الاختراع الذي كنت تتحدثين عنه سابقاً، وما أود قوله أن لا تتوقضي عن السعي والمثابرة والتمسك في هذا الحلم العظيم وعليك الانتماء إليه جيداً وسأبقى فخور بك حتى أن نلتقي في جنات الخلد إن شاء الله.

شهرزاد والدموع قد غسلت بلاط المنزل وأغرقتة، يحمر وجهها تكاد أن تنفجر من شدة الألم، وهي لا تعرف ما عليها قوله سوى حسناً يا أبي كما تشاء المهم أن تعود لنا سالمًا.

يكتمل الحوار هنا ويلتقط الأب أنفاسه لمرّة أخرى، وهو يسعل، ووجهه يتغير إلى اللون الأصفر، وينظر إلى ابنته ولكن يراها على شكل خيال وغباش.

وصيتي لك في دقائق الأخيرة، عليك يا بنيّتي أن تعتني بنفسك جيداً، وبأمك وإخوانك الصغار وعليك أن تتحملي الصعاب كما تحملتها أنا وكما صارعت مع المرض إلى آخر رمق، وأن لا تعريّ للاستسلام طريق ومعنى، وأن تضيئي شمعة أحلامك في درب النجاح، وكثرة السعي توصلك إلى مرادك.

هنا لحظة صمت وتبادل عناق بالأعين والدموع تنهمر من شهرزاد وأمها، وكل ما فيها يرتجف وحالة الذعر الشديدة من المشهد الذي أمامها ومن لحظة الضعف التي اجتاحتها في غير موعدها وأصبحت هزيلة.

ما بين تلك اللحظات كان الأب يلتقط أنفاسه الأخيرة وإذا بملك الموت يزوره، ليأخذ روحه إلى السماء وتبرد أطرافه ويبرد جسده، الآن توقفت دقائق قلب الأب وانتهى الحوار وفارق الحياة وصعدت روحه مع الصديقين إلى السماء كما لو أنه بإذن الله احتسب شهيداً.

هنا تفقد الأم أعصابها وينشف الدم في عروقها وهي ما زالت تنوح بأعلى ما لديها وهي ملقاة فوق جسد زوجها.

تقف شهرزاد فوق أبيها وهي جالسة على الأرض والدموع تنهمر بغزارة، وتريد أن تقول بضع كلمات لكن البكاء غلب عليها وجلست فوق رأسه وهي تقبله ودموعها تعانق جبينه، والنور يخرج من وجهه.

الأم تمسك في يد زوجها، وتقول له: ها قد غادرت هذا العالم وأنت لم تؤذ أحداً وكنت رجلاً صالحاً تحب الخير للناس وتجمع الود دائماً، لقد كنت من الرجال الصالحين، أتمنى أن تكون الآن بأعلى المراتب في جنان الخلد، وهنيئاً لك، وسوف أكمل باقي التعب الذي تركته خلفك وحدي، لن استسلم أبداً وسوف أتحدى جميع الصعاب وكل المحن، سأمضي نحو مستقبل أبنائك، وسأفني راحتي كما فعلت أنت في السابق، سأقدم نفسي في سبيل عمل المستحيل من أجل عيش حياة كريمة ومرضية للجميع، ويهمني أخيراً أن تكون أنت راض عني وسيبقى دعائي يرافق روحك أينما تواجدت.

حالة حزن شديدة عمت أرجاء المنزل وصدمة كبيرة لشهرزاد وهي تحاول تقبل هذا الموقف الذي رحل فيه أبيها عنها وهي في هذا السن من عمرها، وكم من الأثقال سوف تحمل على عاتقها الآن تجمع الأطفال الصغار واقتربت شهرزاد من أمها، واحتضنت الأم الجميع مع سيلان الدموع من عينيها بغزارة، ما هذه الأيام الظالمة،

ما هذا الظلام المندثر، لمن هذه الأرواح الشريرة !؟ من سبب كل هذا الدمار، ومن يريد أن يثأر مني، ولأي درجة كنت أنا قاسية ليحدث معي هذا.

أبي الآن أنت لا تسمعني، لم يكن يسمعني أحدٌ غيرك، الجميع كان مجرد كلام ووهم وخيال، أنت كنت حقيقة، رغم مرضك والهزل الذي كان فيك، والضعف الذي يسكن داخلك، ألا أنك كنت تصغي إلي عندما كنت أريد أن أشكي لك همومي، كنت تسمعني وتتفهمني وتستوعبني، وتخفف آلامي، تلك الآلام التي لا تساوي أمام حقنة الكيماوي شيء.

حقاً كنت مختلفاً جداً، عندما كنت تعبر عن فهمك الشديد لضعفي، كنت تبكي كالأطفال، وأنا أقوم بمسح دموعك بقطعة القماش التي كنت تضعها دائماً على معصمك، وأقول لك، لا بأس يا أبي، سيمضي كل شيءٍ وسوف تتمر كل الصعاب وسوف تراني ابنتك التي تفخر بها أمام الجميع، كنت أقول لك دائماً أنك سوف ترتاح عما قريب وتتعافى جيداً، وأن جميع الآلامك سوف تذهب عنك كالسراب، حقاً كنتُ صادقة لكن لم أقصد في كلامي أن يخطفك الموت فجأةً ولم أقصد في الراحة، أن تحلق روحك إلى السماء وترد عليها زقزقة الطيور، مهلهلةً بحبها الشديد لمرورك من عندها، وذهابك للقاء وجه الله بعد كل هذه الصراعات والنزاعات مع المرض.

أبي أفتقدك جداً.

حقاً يا أبي أنا تائهة الآن، الشرود قد استملك عقلي والهديان
سيطر على عيني، وكل الأشياء أراها أنت.

أنا غاضبة الآن جداً، غاضبة على كومة التراب التي توضع فوقك
وغاضبة على كل الأشخاص الذين سيحملونك على أكتافهم
ويذهبوا بك بعيداً عني، هم لا يشعرون بقلّة حيلتي وضعفي.

لا بأس، عالم الخيال واسعٌ جداً، وملامحك ما زالت في دماغي
وكل الأشياء التي كنت تفعلها، راسخة في ذاكرتي، وكل
صفاتك متعلقة داخلي، إذاً سأحاول أن أراك في مكانٍ آخر، مكانٌ
بعيدٌ عن أولئك الناس الذين ذهبوا بك بعيداً عني، مكان لا
يسكنه إلا الطيبون وأصحاب النوايا الصالحة والأعمال الحسنة.

ربما سأراك للحظاتٍ معدودة والدقائق قصيرة، المهم أنني سأراك
حتى لو في منامي، لو كان ذلك حلماً، لا أريدُ أن استيقظ منه
أبداً.

سأكتب ورقة وأضعها فوق رأسي: وأقول أن رأيتموني أتحدث مع
نفسي وأقول كلاماً غير مفهوم، دعوني وشأني لأنني حينها
سأكون برفقة الملائكة لرؤية أبي.

أتركوني كما رأيتموني.

وصلت الإسعاف الآن إلى المكان، تزف معها الكثير من الأسي والحزن إلى منزل شهرزاد، الجيران هرعوا إلى المنزل، وطواقم الإسعاف صعدت إلى المنزل لكي تصطحب معها جثمان الأب، إلى مثواه الأخير.

الجميع في حالة من الدهشة والاستغراب، والحزن يظهر على وجوه الجيران، ودموع الأم تنهمر بغزارة دون توقف وهي تحتضن أبنائها وتشاهد وجه زوجها لأخر مرة، والألم يزداد تصاعدا في كل مرة تلقي فيها نظرة الوداع على زوجها، ويبقى أمامها كما هو، هي لا تريد أن يذهب من أمامها ولا تريد أن تعذبه في بكائها عليه، لكن هي مدركة تماماً، أن إكرام الميت دفنه.

أحد طواقم الإسعاف يتحدث إلى الأم:

هل كان يعاني من مرضٍ أو ما شابه.

الأم: نعم كان يعاني من مرض السرطان، وكان يتلقى العلاج الكيماوي كل فترة، لكن انتهى أجله لقد قدمنا له كل ما بوسعنا وحرصنا عليه لأن يبقى إلى جانبنا، لكن شاءت الأقدار وما باليد حيلة.

مسؤول الطاقم: ادعوا له بالرحمة وكلنا سائرون على نفس الطريق.

ينتهي الحوار الآن، ويقوم طاقم الإسعاف بحمل الأب على نقالةٍ وتغطيته بقطعة قماش، ليذهبوا به إلى سيارة الإسعاف ومن ثم إلى المكان الذي سيغسل فيه وبعدها يتم الصلاة عليه ودفنه، بوصول طواقم الإسعاف بجثمان الأب إلى سيارة الإسعاف، ليضعوه داخلها ويذهبوا به إلى المسجد ليصلى عليه ومن ثم يذهبوا به إلى مثواه الأخير.

الأم وشهرزاد تقضان بعيداً، ملقيات نظرة الوداع الأخيرة على الأب، وحالة الحزن تستحوذ داخلهم وتتشكل على وجوههم، وقطرات الدموع تسيل من أعينهم، وحالة من الفقد غير المسبوقة وكسرة الكاحل التي لم تسبق وأن حدثت من قبل

تحتضن الأم شهرزاد، وتحاول أن تواسيها بوضع كلماتٍ لتقول لها :
يا عزيزتي لقد عشتُ مع والدك سنينَ طويلةً، ولكنه لم يقلل من شأني أبداً ولم يكن يطيق أن يراني حزينة، وكان يحبني كثيراً
بمعنى الحب الحقيقي، كان يقدم راحته على نفسه من أجلي.

وأيضاً كان يُحبك أنت كثيراً لأنك كنت البنت الأولى له،
ويجلب لك الكثير من الأشياء التي تجعلك سعيدة، وبمجرد تفكيرك في شيءٍ تحبينه، كان يقوم بجلبه لك في أسرع وقت، ليرى البسمة على وجهك.

ولكن بعد فترة من زواجي به، تعرض لحادث سيرٍ وتسبب له الحادث بكتلة سرطانية استقرت داخله لفترة كان على أثرها يذهب إلى

المستشفى لتلقي العلاج لكنه كان يخفي الأمر عن الجميع وحتى عني أيضاً لأنه لا يحب أن يرانا حزينين عليه، كان دائماً تمثال للقوة. ولكن لم يكن العلاج قوياً لدرجة أن يقتل الكتلة التي بداخله، حتى استقرت به على مدار سنين، وأصبحت حالته كما رأيته في الفترة الأخيرة، فقط يأخذ الكيماوي ويرقد في سريره وشعره الجميل يتساقط شيئاً فشيئاً، عاش رجلاً ومات رجلاً.

تصفتن شهرزاد في أمها طويلاً وتقول لها. عانقتيني يا أمي لثلاثين سنة مني جروحي، اللون البنفسجي بات يظهر على ملامح وجهي شيئاً فشيئاً، يوم بعد يوم، منذ أن نضجت وأنا أرى مشاهد مرعبة وحوادث أتحملها رغماً عني، من المعقول أنني ما زلت في فترة المراهقة؟ ولكن المراهقين تمر بهم عواصف الحب والمشاعر واختلاف الآراء والتصرفات؟ وليس أن تدمى أرواحهم تحت التراب ولا يعلم أحد عنهم.

أتعلمين يا أمي، إنني لم أكن أعرف اليأس أبداً، ولم أكن أعتبر كل تلك الأشياء ضمن مرحلة الصعاب، وكنت دائماً أقاوم رغم المستحيل وفوق القدر المستطاع، لكن يصل الإنسان لجميع مراحل الفقد، ويتحملها، لكن عندما يصل الفقد للأب، إذاً المسمى أصبح لا يكتفى به فقط بمعنى الفقد والبعد، المسمى أصبح في حدود الموت والهديان، في حدود أن يفقد الشخص نفسه ولا يدري في أي أرض هو.

الكثير من الناس مقصرون جداً تجاه آبائهم، لا يشعرون في قيمة وجودهم إلا عندما يفقدونهم، في لحظة غير موعودين فيها.

ينتهي الحوار الآن.

ذهبت سيارة الإسعاف بعيداً والأم تركض خلفها وبقيت شهرزاد تقف على نصف اتزان، كانت تركز نفسها على أمها وتحضن شيء عتيد

من ذلك الوسواس الذي يتربص إلى خلايا عقلي، ويقوم بالعبث في أشياء تخص حياتي؟ لا أحد يملك الحق في العبث بأشياء تخصني؟ لا أحد يستطيع أن يحاول إيقاعي في الفخ؟ من يظنون أنفسهم!

الجميع هنا متساوون وكل منا لديه ما يسعى لأجله، وكل منا يضي الكثير من طاقاته لأجل أن يحصل على ما يريد، لا شيء يستحق التخريب، الكل لديه طموح مختلف عن الآخر!

يا من تحاول أن تغير ما بداخلي وتعبث بنشاطي وبديهتي وفطنتي تجاه ما أريد؟ أقول لك أن تزيج نفسك بعيداً عني، وأن تذهب إلى مكان يليق بك وبشراستك؟ الطاقات التي بداخلي أكبر من وسواسك اللعين!!؟

إذا كانت نيتك من الداخل خيراً، فلا تظهر لي خباثتك اللعينة!

عندما يكون المرء راضٍ عن نفسه، لا شيء يستطيع غسل دماغه وإيقاعه بأمور غير الأمور التي يريدها.

لن أصغي إليك يا وسواسي اللعين، ما زلت طفلاً ينمو داخلي، سأعتبرك شيئاً بلا قيمة، لكن إن حاولت العبث مجدداً سأقطع أطرافك وألقيها في بئر تسكنه شياطين أقوى وأشرس منك بكثير، فلن ترى شيئاً يرضيك، حتى لو كانت النتيجة بعدها أن أبدأ بتقديم نفسي وحينها ستري نفسك تطفو على حفر الامتصاص.

قبل أن أبدأ بكل مخططاتي أريد قول القليل من الأشياء لعلها تفيد أحداً غيري، من يقرأ هذا النص فليتمعن جيداً.

تقول شهرزاد : عليكم إدراك الواقع بشدة، يجب عليك كشخصٍ طبيعي أن تدرك مجريات الأمور التي تمر معك بشكل يومي، لا تنتظر من أحد أن يبدأ بتطويرك، وتذكر أنه لا أحد معصومٌ عن الخطأ، وكل منا يسهو وينسى ويخطئ، فلا إله غير الذي خلقني وخلقك.

كل يوم تقضيه داخل غرفتك دون عمل شيءٍ ينفعك، يعني أن تبني عوائق لأشياء كثيرة لا تعلم متى سيأتي يوم وتفضلها، وتتعجب من كمية الأمور التي يجب عليك فعلها قبل فعل أي شيء آخر.

من كل حادثة تحدث معك، وتحدثُ لك خيراً كان أم شراً، عليك التعلم منها والاستفادة من مجرياتها وتحليلها بشكل دقيق،

والعقل البشري قبل نومه بدقائق، يقوم بمراجعة أهم الأحداث التي حصلت معه وأهم الأشياء التي تعلق بها، لا بأس قم بتأجيل نومك لساعة أخرى، لكن أفهم ما الذي حدث معك جيداً في ذلك اليوم حسم الأمور قبل حدوثها وكما تخيلتها في دماغك، يعني أنك تعرض نفسك للمساءلة أمام نفسك، فلا تتعجل كثيراً ولا تحسم أموراً أيامها بعيدة، وأيضاً حدوثها بالشكل الذي تريده سيكون مجهولاً جداً وغير معروف.

لكل مشكلة حل لكن إن فكرت في المشكلة أكثر من مرة، إذا أنت تخلق لنفسك مشكلة نفسية أخرى.

مهما زاد تعلمك للأشياء من حولك، تزيد ثققتك بنفسك، وكثرة الأخطاء تعلمك الأشياء بدقة، كما يقول المثل (التكرار يعلم الحمار).

من هنا تبدأ طريق النجاح وتخفف من مشاكلك النفسية وتحل الكثير من العوائق التي كنت تظن أنها موجودة وأنت ولم تتقدم خطوة واحدة إلى الأمام من أجل إيجاد حل لها إن وجدت.

هنا أكون قد انتهيت وواجهت العديد من الأمور التي واجهتني وأنا ما زلت في بداية طريقي إلى تحقيق حلمي، لكن الآن أنا كفتاة، أجد نفسي أقوى مما كنت عليه في السابق، وأصبحت أطلب أشياء أثقل مني، وأصبحت أرى الطرق بوضوح أكثر رغم أن عند وفاة والدي، أغشيت عيني عن أشياء كثيرة وكسروا كاحلي أيضاً،

لكن لا بأس، هذه كانت رسالتي لنفسي ورسالة الله لي، واختبار لمدى صبري على هذه الأيام، وكما نشاهد في الأفلام دائماً المخرج يضع كل الاحمال على بطل الفيلم، وأنا هنا الآن أرى نفسي ذلك البطل الذي سيشهد له الكثير.

من الممكن أن يكون كل هذا كافياً لكي أتعرف على نفسي أكثر وأن استخدم قواي المخزنة منذ زمن، ربما ذهب الرجل الذي كان يخفف عني الكثير، لكن منذ أن نضجت ويدي تمتد تجاه الأشياء التي أريدها، ورغم الشوكات التي كانت توخزني إلا أنني كنت قوية أكثر من اللازم.

من الجيد أن يختبر الإنسان نفسه في مراحل عديدة، والجميل في الموضوع أن الأشخاص الطموحين هم أكثر الأشخاص رونقاً وانفتاحاً، وأيضاً هم لديهم أرواح جميلة ونفوس تتحمل الكثير، ولا يضعون شيئاً على محمل الجد.

كان هذا كافياً، وجلوسي في غرفتي أصبح يحدث لي الضجيج، غداً سأخرج لكي ابحت عن عمل فأسرتي الآن بحاجة إلى المال وأيضاً أمي لم يعد لديها تلك القوة لكي تعود للعمل من جديد كما كانت، فبعد رحيل والدي، انقلبت الموازين رأساً على عقب.

الوقت يمر دون أن أشعر به؟ من الذي يعبث في عقارب الساعة؟
الأمر أصبحت تتوطد شيئاً فشيئاً؟

الساعة الآن قاربت أن تصبح الحادية عشر ما قبل منتصف الليل،
الوضع مزري للغاية، وأشعر بأنني قلت الكثير من الكلام، وحبر
الكلام بداخلي يجف رويداً رويداً.

أصوات نباح الكلاب تجتاح المكان، الهدوء يتقمص دور المسؤول،
ويبدو أنني أنا الضحية! سواد وظلام، سوداوية الليل تزيد أكثر
فأكثر؟ عروق يدي أصبحت بارزه وبرودة تجتاح المكان رغم أن
الطقس في الخارج كانتم أنفاسه ولا هبوب للرياح ولا نسيم يطل
على الأزهار، ولا حتى غصون الأشجار تتمايل.

تبدأ الحرب مع النعاس، وحالة هستيريا في عدم الخلود إلى النوم
لأن في ذلك رؤية أشياء مزعجة وكوابيس مخيفة وأرى ما لا أراه
في الواقع الذي أعيشه.

أفضل أن أبقى مستيقظة وأن تتورم عيني، ويحتل السواد تحتهن،
لكن لا أريد النوم والذهاب إلى ذلك العالم الآخر الذي يجبرني
على أشياء خارجة عن إرادتي.

بعد صراع طويل، يغلب النوم على شهرزاد لتنام تحت النافذة
المتفوحة في أمل دخول نسمة هواء نقية تغير ملامح المكان، لكن لا
فائدة في ذلك والطقس يصر على حبس أنفاسه وكتمانها.

إنها النجوم الجميلة التي تخبئ داخلها أحلاماً للكثير وذلك القمر
الذي بدوره ينير الطرق أمام الجميع، الوقت يمر والطقس يتقلب
في الخارج. بمرور الكثير من الوقت الفارغ بلا جدوى.

تبدأ الشمس بالشروق، ويبدأ النهار بتحضير نفسه لاستقبال مفاجأة جديدة، ما زالت شهرزاد نائمة وما زال الجو يحبس أنفاسه، حرارة الطقس عالية جداً والعصافير تنتشر في أرجاء الحي وعلى منابت الشجر، وكل من يمشي على الأرض يبحث عن رزقة بكامل جهوده، تستيقظ شهرزاد الآن بعد نوم عميق ودون رؤية أحلام مرعبة ودون أن تغادر عالمها الأصلي إلى عالم افتراضي آخر لا يسكنه أحد، حرارة عالية في أنحاء جسدها، تضع يدها على جبينها لتشعر بمياه تسيل من وجهها، إفرازات العرق في جسمها من كل مكان، تشعر وإنها نائمة فوق كانون شواء!

الملابس مبللة أيضاً والرائحة نفوح وشيء لا يطاق ولا تستطيع احتماله، تنهض من سريرها لتشغل هواء المكيف البارد وتذهب إلى الحمام لتغسل وجهها وتحاول التخفيض من درجة حرارتها، رغم أنها لا تعاني من مرض أو ما شابه؟

لكن كان هذا بسبب تقلبات الجو في الخارج.

بعد أن غسلت وجهها وخفضت القليل من حرارة جسمها، تقوم بترتيب سريرها وتغيير جو غرفتها الذي بات مكرها في آخر فترة مرت بها، كان كل شيء قاسياً والظروف لا ترحم أحد، خرج من غرفتها لتذهب إلى المطبخ وتلقي تحية الصباح على أمها، وباقي إخوانها الصغار، تدخل المطبخ الآن لتجد أمها تعد بفطور خفيف من ما يوجد في المنزل، شهرزاد: صباح الخير يا أمي.

الأم: صباح النور يا حبيبة أمك، كيف أصبحت؟

شهرزاد: أشكر الله دائماً، بخير يا أمي، وأنت؟

الأم: لا تسأليني عن حالي فمن بعد رحيل والدك، أصبح حالي مرتبطاً بك وبإخوانك الصغار وزاد قلقي عليكم.

شهرزاد: لا تقلقي سأبقى دائماً بخير حتى أن لم أستطع، سوف أجبر نفسي على ذلك وسأكون بخير رغماً عن كل شيء.

الأم: دعواتي ترافق دربك دائماً، حين ينقطع اتصالي عنك أو حين تغيبني عن عيني، يبدأ اتصالي مع الله .

شهرزاد: أدامك الله يا أمي فأنت الخير الذي يرسم أمامي دائماً.

الأم: أتمنى أن يكون الحظ حليفك دائماً، وصدق النوايا هو الذي يدل صاحبه على السبيل الصحيح.

شهرزاد: سأكون كما تريدين وأكثر.

ينتهي الحوار الآن، ليبدأ عناق الأعين وتبادل الابتسامات بين الأم وابنتها، تقترب الفتاة لأمها وتقوم باحتضانها وتميل رأسها على كتفها لتقول: مهما تقدمت في العمر يا أمي، فسأبقى طفلة أمامك و بدونك أنا أعترف أنني لا أساوي شيئاً، فأنت دائماً كنت حليفتي وسندي في كل شيء.

ينتهي الحديث، وتجتمع العائلة ليباشروا بتناول وجبة الإفطار البسيطة والخفيفة، زيت وزعتر والقليل من قطع البندورة والخبز

المحفف، تتناول شهرزاد طعام الفطور، وهي كلها ثقه بنفسها، والابتسامات تتشكل على وجهها، وحالة من الفرح تسود المكان، وكل ذلك بفضل وجود أمها بجانبها، فهي كانت دائماً ترشدها في أوقات الصعاب وتسهل عليها الكثير من الأمور المعقدة.

الانتهاء من كل شيء، والذهاب إلى تجهيز النفس والاستعداد للبدء عن بحث وظيفية بسيطة وغير متعبة، لتساعد نفسها وأسرته من خلالها على الكثير من الأشياء فالجميع منا يحتاج إلى المال.

تذهب شهرزاد إلى غرفتها لتغير ملابسها وتجهز نفسها على حال جيد، لكي تذهب لتقابل في عمل جديد ولأول مرة، تشعر أنها بحالة جيدة وأن الأمور ستتغير أمامها، وسوف تشق طريق النجاح بسرعة، مع زيادة عزيمتها وإصرارها على ما تسعى إليه وتريده، أمام خزانها الممتلئة بالملصقات الصغيرة، تقف وهي تبحث عن ثياب للخروج للبحث عن عمل ويجب عليها أن تكون في أشد أنواع الأناقة والترتيب، تنتهي من هذا كله وتبدأ بوضع القليل من الكحل الأسود على عينيها، تخرج شهرزاد، لوحدها وهي تنظر باستغراب وتعجب من حولها، مضى الكثير من الوقت وهي بين الجدران، ومضى الكثير أيضاً وهي تسعى إلى ما تريد، وكل ما مضى كان عبارة عن تجارب ودروس واختبارات يستفاد منها في الأيام المقبلة.

لحظة الوقوف على نيكوتين الإسفلت والبدء في تحريك الأرجل كطفل صغير يحاول المشي لأول مرة بعد أن سقط كثيراً وتعثر

كثيراً، وعذبتة الأيام وضحكات الجميع عليه وهو يسقط ويرتطم في كل مرة يحاول المشي فيها، إلا أنه بعد عناء طويل وبذل مجهود كبير، تمكن الطفل من المشي وهو واثقٌ أن خطاه صحيحة.

لا بأس إن كانت الأيام الماضية قاسية جداً، ولا محالة في وجود العثرات داخل حياة كل شخصٍ فينا، ومن الطبيعي أن يسقط الشخص ويعاود النهوض مجدداً، والمعروف أيضاً، إنه إذا استقامت دقات قلب الإنسان، يكون قد فارق الحياة، لكن إذا لم تستقم وكانت تتشكل على شكل جبال وأهرام وخط مستقيم، فإذا هو في الصحيح وقلبه ما زال ينبض ويخير، وكذلك الحياة تسير بنا إلى حيث لا ندري نحن فقط مخيرين في أمور تخصنا ومسيرين في أمور مرتبطة بأشياء أكبر منا، التسيير على الله والاختيار منا، وكل شخص يختار ويخطئ ويضل يكرر في العملية نفسها حتى يجد الصواب، وعلى الناس أن يكونوا مدركين للأمور من حولهم وأن على كل شخصٍ طموح ويسعى إلى نفسه وبنفسه، يجب عليه أن يكون مدركاً للواقع وأن التتبع وراء الأشياء والتدقيق في تفاصيلها بتمعن، هو السبب في نجاح الشيء وتحقيقه، مهما كان صعب في السابق، فعند تحقيقه يزول كل التعب الذي كان في السابق وكأنه لم يكن، نحن نسير على هذه الحياة خلف مقولة: (نحن أبناء اليوم، والذي فات قد مات، والقادم أعظم).

بأولى خطواتها الآن، تسير مع الشارع جنب إلى جنب، رافعة رأسها إلى السماء وهي تتأمل بعثرات الغيوم والسحب البيضاء، والشمس باتت تظفي عيناها من شدة أشعتها، لتصبح في وضعية إغماض عين وفتح الأخرى، ووضع كف يدها اليمنى فوق جبينها لتشكل مظلة لوقاية نفسها من أشعة الشمس وسطوعها.

تنظر إلى الناس من حولها، وازدحام الأشخاص في الأسواق وحركة المرور العالقة، والأشخاص الخارجين إلى التنزه، وتلك التي برفقة مع خطيبها وآخر يواعد عشيقته، وثمانيني يغازل زوجته السبعينية، وأجواء لا تصلح إلى للترفيه والانبساط، ولكن شهرزاد تتمنى لو أن تعانقها الأحلام التي ترسمها كل يوم في مخيلتها، وأن تنعم بالسلام وراحة البال، وهدوء النفس وطمأنينتها.

بعد سيرٍ طويل ونزف الكثير من العرق وحالة من النشفاًن تسود أسفل حلقها، تتوقف عند موقف استراحة على متن الشارع الطويل، لتبحث عن جرعة ماء تروي فيها عطشها الشديد.

تنظر شهرزاد حولها بتعجب واستغراب وحالة من الدهشة وهي جالسة في تلك الاستراحة، تحاول البحث عن جرعة ماء لترتوي بها،

تلقي نظرات سريعة حولها، الناس كثيرون والمكان لا يلائم البيئة التي ترعرعت فيها، ولم تكن شخصيتها من النوعيات التي تحب الاختلاط، كانت في نفسها دائماً تفضل الوحدة والهدوء والبعد

قدر المستطاع عن بيئة البشر الملوثة والتي تعج بالغبية والنميمة
وحقد الناس على بعضهم البعض.

لحظة من المشي البطيء بين الناس، لتصيب عينها زجاجة ماء
صغيرة، تلتفت حولها يميناً ويساراً، لتتأكد أنه لا أحد يراها،
تتقدم بضع خطوات إلى الإمام، زاد اقترابها من زجاجة الماء، لم
يتبق سوى خطوات قليلة لتلتقط زجاجة الماء وتروي عطشها
الشديد، تطيل النظر في الزجاجة، حان الآن وقت الانقضاء
والتقدم أكثر من السابق، تقف فوقها، وينتابها شعور الخوف
وحالة من قشعريرة في جسدها، تلتقط الزجاجة بسرعة، وتذهب
بها بعيداً دون أن يراها أحد، تجلس على إحدى كراسي الاستراحة،
وتحضر كأساً وتبدأ في شرب الماء لتروي نفسها وذلك العطش
الذي انهكها بسبب مسافة الطريق التي قطعها وحر الجو الشديد.

لحظات قصيرة قبل الخروج من حرب الأفكار الطاحنة، وقبل خلع
أنياب الخوف والذعر من مخيلتها، لا أحد يعلم ما الذي كان
يحدث وما السبب وراء ذلك، لكن لا بأس فلم تكن الحياة عادلة
معي ولو مرة، ولا حتى الأيام لم تكن تسير بجانبني كما أريد، ولا
حتى عقارب الساعة لم تكن تعطني الوقت بدقة، كل شيء كان
ضدي وما زالت الأيام تقلب كل أشيائي كما تريد

أين العدل الإلهي ؟ لا بأس فقد قلت سابقاً نداء الرب هل تسمعني،
لكن لم أجد مجيب، السماء لم تكن تفتح أبوابها لي، أو أنا لم يكن

لدي يقينٌ وراء ذلك الحديث الطويل، الذي كان يحتاج إلى خطاباً لكي ألقيه، اعتقد أن رفعة يداي كانا سبب كافياً لفهم ما أريد، منذ نعومة أظافري وأنا أحاول أن أصعد قمة واحدة كما أريد، لكن الحظ يضع أمامي بعثرات وعثرات مليئة بالهزيمة والخذلان!

ليس لأحد حقٌ علي لكي يستطيع الوقوف في طريقي، فجهودي لن تذهب عبثاً والعرق الذي ذرفته، سأسقيه لكل من راهن على فشل خطواتي وأنا سائرةٌ في هذا الطريق ولن أغير مساري من أجل إرضاء أحد وإشباع غاياته وهو يراني أسقط.

كل تلك الأشياء التي حدثت، كانت في غضون ساعتين أو أقل، من حين أن وقفت شهرزاد على نيكوتين الأسفلت، حتى تلك اللحظة التي غادرت فيها الاستراحة، وأيضاً مرحلة التفكير التي اجتاحت مخيلتها وسلسلة الأفكار التي ازدادت تصعيداً حينما رأت أشياء لم ترها من قبل

حلت ساعة العمل، والرجوع إلى اتزان النفس واعتدالها، وانتشال شعور الخوف من جذوره و أعماقه، لتلقي به إلى قبر مهجور لم يدفن فيه أناس صالحين، بل كانت تموت بداخله الأرواح الشريرة، تعود إلى مشوار السير الطويل والاستمرارية في البحث عن عمل شاغر ليحاول التخفيف عن بعض الأعباء الواقعة على عاتقها، قبل البدء في التخطيط من أجل الأمور المتعلقة بالدراسة.

الشمس قاربت على الغروب، وعقارب الساعة تسرق الوقت دون إشعار أو تنبيه، والنهار يقصر بسرعة، وشهرزاد لا تعلم ماذا عليها أن تفعل سوى أن تواصل السير إلى أن تجد شيئاً يناسبها وتراهن فيه على نفسها، لمواصلة طريق الكفاح وبذل المزيد من الجهود للوصول إلى نقطة البداية.

باتت شهرزاد تمشي سيراً على قدميها، وكاحلها أصبح يوخزها بسبب تلك المسافات التي قطعتها داخل قريتها، وهي تجول وتبحث عن عملٍ شاغر يخفف القليل من أحمالها ومن الأشياء التي تخلت بسببها عن طفولتها وشبابها الذي بات مجهول الهوية، تحمله على عاتقها لوحدها، كسكينة لحام أمضاها على رقبة شاة أمام عينها.

بعد سير طويل ومشى من بين أزقة الطرقات، أوشكت الشمس على الغروب وجاء دور الظلام ليخيم في المكان، وشهرزاد لم تجد الشيء المناسب، تجد نفسها تائهة في وطنها، وفي المكان الذي نشأت فيه، لكنها لم تعتاد يوماً أن تخرج هكذا لوحدها وهي ما زالت في سن مراهقتها وربيعان طفولتها، والتي عند الفتيات الأخريات يكون مختلف تماماً وملئ بالروح الجميلة والمنبعثة بالنشاط والأمنيات الكثيرة، لكن الزمان جار ليكون كما هو عليه الآن.

لا بأس يستطيع الشخص أن يعين نفسه بنفسه ولا يتكأ على أحد، وأن الاتكاء على الناس شيء لا يشعر بالراحة والأمان، فتعود دائماً أن تخدم نفسك بنفسك مهما كانت سبل الناس مفتوحة

أمامك، فلبعض منا لا يخدم أخاه حتى وما زالت بين زقاق الطرقات والبيوت القديمة، ها هو القدر يوقع بها داخل مطعم قديمٍ وصغير داخل القرية التي تقبع فيها، لكنه بعيداً قليلاً عن منزلها. لا بأس إن كان لها نصيب فيه فعليها المجازفة وتحمل المشاق وكل الأتعاب.

تقف شهرزاد أمام هذا المطعم

شهرزاد: أنا الآن بخير لا تقلقي كل الأمور على ما يرام. دعينا نفكر في الحاضر، كنت سأحدث عنه حالياً، اختراعنا كان عن عبارة عن برنامج إلكتروني، يعرف على كل جهاز وبدوره يقوم بعمل برمجة تلقائية بحسب المدة التي يختارها الشخص، وهذا البرنامج يستخدم لجميع الأجهزة الحديثة في المستقبل المشرق.

سارة: أنت عبقريةٌ جداً، سيتحقق كل ما نسعى لأجله بإذن الله، نعم صحيح هذا هو البرنامج، وسنقوم بتطويره حينما نلتقي في منزلك.

شهرزاد: إذاً لا أريد أن أطيل عليك أكثر، اعتن بنفسك جيداً، سنلتقي قريباً وانتظري مني اتصال آخر نلتقي لحسم الأمور، إلى اللقاء.

تنتهي المكالمة الآن لتضع شهرزاد هاتفها بجانبها، وهي توجه قبلتها إلى السقف مع أخذ نفسٍ عميقٍ ثم تخرجه بقوة ويصاحبه ابتسامة النصر.

ما زالت مستلقية، تغمض عيناها تحاول النوم، تقلب نفسها يميناً ويساراً، تسرح في الخيال لتجد الظلام أمامها، تمشي في السليم لتقع في الخطأ، ملامحها تعطي انطباعاً بالهدوء، وما بداخل رأسها لا يرسو على بر واحد رغم الحروب التي تطاحن أفكارها إلا أن ملامحها تدل على السلام التام.

لا شيء سوى أن كل هذا يصعب تفسيره، والأمر بات معقداً في حوزة شخص واحد، حوارات كثيرة وجميعها بعيدة عن الحوار الذي نريده!

أخذت مرة أخرى تقلب نفسها على ذلك السرير يميناً ويساراً، الجو يزداد حرارة والعرق ينزف من كل مكان، جو لا يطاق!
تمد يدها نحو تلك الطاولة الصغيرة التي بجانب سريرها، تبحث عن أداة حادة لكي تضرب بها يدها.

رؤية الدم هو الشيء الوحيد الذي يخلصها من ضيق نفسها، مرة أخرى تمد يدها وهي تحاول الوصول إلى الأداة الحادة،

ما إن أمسكت بها، وإذا بشخص يدفع الباب بقوة ويدخل نحوها متهوراً، ما إن رأت هذا المشهد واذ بها تشق يدها شقاً طفيفاً والدماء صارت تسيل بغزارة، لقد كان ذلك عن طريق الخطأ، لكن لا بأس ها هي تخبئ يدها بين قدميها.

تقف أمها فوق رأسها وهي لا تعلم ما الذي يحدث ومن أين هذه الدماء! ومن الذي ضربها بتلك الأداة الحادة؟ الدم ما زال يسيل وصرخات أمها أصبحت تملأ جوف غرفتها؟ لأول مرة تفعل شيء جنوني كهذا. لربما الضغط يولد الانفجار.

لم يسبق لها وان شعرت بالاختناق بهذا الشكل ولم تطمس روحها قبل هذه المرة! أظن أن هذه المرة الأولى التي تحاول التفريغ فيها عن ما بداخلها، لكن بالطريقة الخاطئة، يبدو أن القاع بداخلي مزدحم وחדش صغير عالق في الأسفل، يدور حوار بين الأم وشهرزاد، ونظراتها لا توحى بالخير! وهي مرتبكة جداً ولا تعلم من فعل هذا! الأم: ما الذي فعلت به بنفسك؟ وما هذه الدماء المملوطة على ثيابك؟ هل هذه دماء العادة الشهرية؟ أم أنك جرحت نفسك.

شهرزاد: يا أمي في الحقيقة لم أكن احسب لموعد قدومها، ولقد جاءتني في موعد غير مسبوق، وأيضاً لم أكن أرتدي الشيء اللازم لحماية نفسي من قذارتها، لذلك الدم لطح يدي حينما شعرت بشيء غريب يسير تحتي، كان ذلك الدم حيث لمست يدي لكي أتأكد من صحته وسلامتي.

الأم: هل أنت متأكدة مما تقولينه؟ ولم هذه الأداة الحادة بحوزتك؟

شهرزاد: في الحقيقة لم أعتد أن أكذب عليك لكن لا شيء يدعو للقلق، غير أنني ارتبكت حينما دفعتي باب الغرفة بقوة، فأنا فزعت

من أمري، شعرت أنك شخص غريب أو لص يحاول الهجوم علي.
فأمسكت هذه الأداة لأدافع بها عن نفسي ولم أدر ما الذي حصل من
بعد ذلك

الأم: أنا آسفة حقاً، فلا استطيع أن ألومك لأنه في الفترة الأخيرة
تعرضت لضغوط كبيرة من نواحي العمل والدراسة وكل الأمور
المتعلقة في حياتك، اعذريني على فعلتي هذه وأيضا كان خطأي
لعدم استئذاني بالدخول فأنت الآن أصبحت في سن البلوغ والرشد.
شهرزاد بوجهها الهزيل: لا بأس يا أمي، فحينما رأيتك شعرت
بالأمان، وستمضي الأمور على ما يرام، لأنك بجانبى دوماً.
الأم: لا أريد أن أطيل عليك أكثر، اخدي إلى نومك وقبل ذلك
اذهبي وبدلي ملابس النوم.

شهرزاد: حاضر يا أمي، ليلتك سعيدة.

تخرج الأم من الغرفة والجو يحتله الهدوء، وشعور بتأنيب الضمير
يستقل في رأس شهرزاد.

تأخذ شهرزاد نفساً عميقاً لتحاول أن تريح نفسها، وتتنهد تنهيدة
طويلة لتنهض من فراشها في وضعية جلوس وانحناء الظهر. تضع
السكينة جانباً والعرق ينزف من بين خصلات شعرها ليستقر على
جبينها. تبدأ في مراجعة نفسها في الشيء الذي فعلته مع نفسها،

وما الحالة الوحشية التي اجتاحت مخيلتها لتفعل كل هذه الأشياء بنفسها وهل هذا كله كابوس أم حقيقة.

تنهض من الفراش وتجر نفسها إلى الحمام، لتقف أمام المرأة وهي تنظر في نفسها بذعرٍ، لترى عدة وجوه تتشكل في المرأة، الخير والشر البريء والمذنب، الكاذب والصادق، الجميع يجتمع في أن واحد وعلى وجه شخص واحد.

تنظر إلى يدها لترى مكان الجرح قد جفت الدماء من حوله، تفتح المغسلة وتغسل يدها ومكان الجرح الطفيف لتعود الأمور على ما يرام وكأنه لم يحدث شيء.

تعاود الرجوع إلى فراشها، ترتب المكان من حولها وتعيده كما كان لتستلقي على سريرها، تشق النافذة لتغير هواء الغرفة، تهجد رأسها على الوسادة وتغمض عيناها دون تفكير، ترقد بشعور المجرد من اللاشيء والذي لا يريد من العالم سوى القليل من الراحة.

الآن لا صوت يعلو فوق صوت الشخير.

في انتظار طلوع الصباح، وهي تغط في نوم عميق بعد الأحداث التي أوقعتها في كمين مع نفسها ولم تعد تدري من هي ومن السبب وراء ذلك أو أن تطاحن الأفكار يزداد عندما يقترب الشخص من مراده بعد بذل مجهود كبير وتوضيحات تزف معها الكثير من المشقات والتعب

يتشقق الصباح الآن لتخرج الشمس من مشرقها، وتمر عقارب الساعة مهرولة من بين ازدحامات الوقت الكثيرة.

تصحو من نومها وجسدها خامد على سريرها، وعلامات الوسادة تظهر على جبينها وأطراف وجهها، يبدو أنها تعرضت لصراع آخر أثناء نومها العميق، تنهض من الفراش وتلقي نظرة مع فتح العين اليمنى وإغماض العين اليسرى إلى ساعة الحائط لتجدها الثامنة صباحاً.

تنهض من الفراش لتقف على رجليها وتعين نفسها للذهاب إلى الحمام لتغسل وجهها وتطرد الشيطان عنه، تسير مع نفسها إلى أن وصلت المغسلة، تنظر إلى المرأة، كعادتها الشحوب والكدمات وسوداوية تحت العينين وذبول في الجفون.

تفتح مغسلة الماء لتقوم بغسل وجهها وشطفه جيداً لكي تنشط الدورة الدموية في الوجه ولإعادة مظهرها الخارجي الصحيح، رغم تلك الشحوب والكدمات التي يسببها القلق النفسي والإرهاق وتبقى مستمرة حتى أن يحصل على الشخص على الراحة الحقيقية.

تنتهي الآن من تغسيل وجهها لتستعيد نشاطها وحيويتها والاستعدادية في البدء للتخطيط في الأمور التي ستفعلها هي وصديقتها سارة.

تجلس على أريكتها المحاذية لسريرتها من جهة اليمين، والمطللة من شباك غرفتها على أزقة الحارة وبيوتها المتلاصقة في بعضها البعض مثل المخيم وأكثر.

شرود ذهني يجتاح مخيلتها، تضع يدها على وجهها وتهجد كوع يدها على حافة الشباك، لتطيل النظر بتمعن إلى الأحداث الجارية في وسط الحارة مع أنه فكرها مشتت بأمراً آخر، لكنها تحاول تضييع وقتها بشيء يبعدها عن التفكير في الأمور المتعلقة بحياتها، وهدفها الذي تسعى لأجله.

بعد شرود ذهني طويل وأحداث مخربشة وتصرفات غير مفهومة، تتذكر أن عليها الاتصال في صديقتها سارة لتحديد موعد لكي تلتقيان في مكان للبحث حول مجريات الابتكار الذي أحدثاه منذ زمن، وتبحث شهرزاد عن فكرة لتطويره لكي تظهر به في بلاد غير بلادها أو بالأحرى في بلاد الغرب.

ترفع سماعة هاتفها لتجري اتصالاً فورياً على صديقتها سارة:

بعد لحظات من رنين الهاتف، أقل من دقيقة ترد سارة على الاتصال الوارد من قبل شهرزاد.

سارة: مرحبا عزيزتي.

شهرزاد: كيف حالك؟ علينا أن نلتقي اليوم ما رأيك؟

سارة: بخير، لا أعمال لدي اليوم، أنا متفرغه لك ولكل ما تريدينه

شهرزاد: إذا فليكن لقاءنا اليوم في الرابعة عصراً.

سارة : حسناً، ترد شهرزاد إلى اللقاء حبيبتي.

بإغلاقها للخط وانتهاء المكالمة، تضع يدها على قلبها، وتقول أشعر أن نداء الرب بدأ يستجيب، علي التحلي بالصبر أكثر والسير جنباً إلى جنب مع الله، فهو ملاذي حين لا يبقى أحد ما زالت تجلس في مكانها، تحاول الاستلقاء قليلاً وأخذ قيلولة قصيره، قبل أن تأتي صديقتها عليها، يغلب الإرهاق عليها، ثم تصمت للحظات مع تأملها للسقف، تضع يدها على رأسها وكان شعور بالصداع أصابها وشعرت بثقل في رأسها، لربما أن ازدحام الأفكار يحاول الرجوع إلى عقلها ليشوش الأفكار التي رسختها في مخيلتها بعد عناء طويل وهي تحارب ذلك الازدحام اللعين، والذي يجعل الأمور رأساً على عقب.

لحظات من الاستلقاء وشهرزاد مسترخية، تشعر بأن شيء مر بجانبها مسرعاً وكان الوقت يمضي مسرعاً دون انتظار ولا حساب، تصحو من غفلتها كالشيء الذي ضرب على رأسه فجأةً وأصبح لا يدري أين يذهب بنفسه وهل عليه الفرار من هذا المكان أم البقاء في ساحة الحرب حتى الموت أو النجاة.

بعد حالة الهلع وفترة الاستلقاء والشروذ الذهني، تقف على قدميها مستقيمة تحاول إعادة الاتزان لنفسها دون التفكير في أي أمر مسبق، سيء كان أم جيد، لا شيء أمامها سوى ذلك الابتكار الذي

سعت له كثيراً وجاهدت على نفسي في كثير من الأمور التي لا تحتملها فتاة غيري.

الوقت يسير مسرعاً ولم يتبق سوى ساعةً واحد وتأتي سارة إلى منزل شهرزاد للبحث حول تطوير ذلك الابتكار البسيط والذي من الممكن أن يكون له تأثيرٌ كبير في الأيام القادمة.

مرت الساعة التي كانت منتظرة بلهفة وشوق كبير، عقارب الساعة تطاحن بعضها البعض إلا أن أصبحت الساعة الآن الرابعة عصراً بحسب الموعد الذي تم الاتفاق عليه، على حالة الوقوف المستمرة، أصبحت شهرزاد تسير ذهاباً وإياباً وهي تنتظر صديقتها ربما في القدوم إليها لكي يتم حول موضوع ذلك البرنامج الذي بات معلقاً منذ فترة تجاوزت عام وأكثر وكان من الممكن أن يكون قد تم تفعيله في الفترة السابقة، لكن الظروف التي مرت بها شهرزاد، منعتها حتى من الجلوس ومعرفة نفسها في اللحظة التي يجب أن يكون معها احد ولم يكن سوى أمها، رغم أنها كانت تكفي عن وجود الجميع، لكن عندما يكون المرء جيداً مع الجميع يجب على الجميع أن يكونوا جيدين معه.

لحظات قليلة من بعد السير وسماع طرقات على باب المنزل، تضع يدها على وجهها من الفرحة وتذهب مسرعةً لكي تفتح باب المنزل.

تقف سارة خلف الباب وهي تحمل في يدها جهاز اللابتوب الذي سيتم عن طريقه عمل الكثير من الأمور المهمة لتطوير البرنامج،

تفتح باب المنزل الآن: تقف سارة منتظرة وعلى وجهها تأخذ
الابتسامات حيزاً، لتنقله على وجه شهرزاد عندما رأتها.

شهرزاد: تفضلي بالدخول، تدخل سارة إلى المنزل لتغلق الباب ورائها
وتذهب برفقة شهرزاد إلى غرفتها.

سارة: أشعر أنني قد تأخرت قليلاً عن الموعد؟

شهرزاد: لا بالعكس لأول مرة أشعر أنك دقيقة في مواعيدك.

سارة : منذ فترة وأنت بعيدة عني أظن أنك نسيتيني ولم تعد
تعلمي ما هي عاداتي.

تبادل لأصوات الضحك في الغرفة وجو من السرور منبعث من
الطرفان، وحالة الفرح التي لم تمر من قبل على شهرزاد.

شهرزاد : لا بالعكس تماماً فأنا من يعرف من أنت جيداً ومن المؤكد
أن الدقائق التي تأخرت فيهن، كانا من أجل إحضار اللابتوب ؟

سارة : هو كذلك لأن اللابتوب كان مع أخي في الجامعة وأنا
كنت أنتظره بفارغ الصبر عندما يأتي لكي أخذه منه وأتي إليك
بفائق السرعة.

شهرزاد : لا بأس يا عزيزتي، الآن علينا التركيز أكثر، وقومي
بتشغيل الجهاز من فضلك وسأحضر القليل من الفاكهة
والشاي.

تقول شهرزاد لسارة، قومي بفتح ملف البرنامج لكي نبدأ بالعمل عليه أكثر، وإضافة البعض من الأمور المتعلقة بسرعة تحميله وأيضاً لتفعيل التحديث عليه تلقائياً.

تنظر سارة إلى شهرزاد بكل لطافة ودهشة إلى تحمسها الزائد تجاه هذا الشيء.

حسناً حبيبتي سأفعل ما تريدين، نفتح سارة ملف البرنامج لتقوم بإضافة برامج لزيادة سرعة التحميل وبعض الخانات المتعلقة بالتحديث التلقائي والذي يتاح على جميع أجهزة الحاسوب والأجهزة الخلوية والإلكترونية القابلة للبرمجة.

بعد مرور أكثر من أربع ساعات وشهرزاد برفقة سارة ما زلن يعملن جاهداً على ترقية البرنامج بأحسن جودة ليكون جاهزاً للعرض في جامعة إكسفورد والتي أتيح من خلالها فرصة لشهرزاد لتقوم بعرض هذا البرنامج والابتكار الذي أخذ الكثير من حياتها ووقتها.

يعج المكان بحرارة الروح والاستمرارية في العمل لإنهائه، والعرق ينزف من جميع أنحاء الجسد، وشحوب في الوجه، وجفاف في الريق مع حالة نشفان شديدة، وكل هذا من دافع كسب الراحة في وقت أقل لتجهيز أمور أخرى تتعلق بالابتكار ومستقبل شهرزاد وصديقتها وعائلتها البسيطة.

تنتهيان الآن من إضافة كل التحديثات للبرنامج، لحظة أخذ النفس العميق والشعور بالراحة والهجوم على الأريكة لأخذ قسط طويل من الراحة وشرب الكثير من الماء.

شهرزاد: هل انتهينا من كل شيء وأصبح جاهزاً،

سارة: بالطبع يا حبيبتي فكل شيء كان جاهزاً من السابق وكل ما فعلناه هو فقط إضافة البرامج وتحديثها ليكون كل شيء جاهز للتنفيذ على أرض الواقع، وفي ساحة الحرب.

شهرزاد: إذاً فلنقوم بحفظه على CD (قرص مرن) لكي نستطيع أن أعرضه للجامعة عن طريق جهاز الحاسوب.

تقوم سارة، بتجهيز كل شيء ونسخ هذا البرنامج على قرص مرن، ليتم الانتهاء من كل شيء يتعلق في الابتكار البسيط والذي من الممكن أن يكون له مدى تأثير في شتى أنحاء العالم وخصوصاً بعض الدول المتقدمة.

مرحلة الانتهاء من كل شيء، وإطفاء جهاز الحاسوب لأخذ قيلولة طويلة إلى أن يحين موعد السفر والذي سيكون موعده في غضون أسبوع واحد، ليكون كل شيء جاهزاً للعرض.

يدور حوار بين شهرزاد و سارة:

شهرزاد: هل تعلمين يا سارة، أني ولحد الآن ورغم كل الظروف التي مررت بها، إلا أنني كنت من البداية متفائلة ولدي إصرار كبير

بأن كل الذي أسعى إليه سيتحقق في يوم من الأيام، وأيضاً أنا لا أعلم في ما تخبئه الأيام لي، لكن الشخص ينال على قد تعبته، وأنا أعلم كم

كانت الأيام ظالمة معي، ومؤخراً اكتشفت أن الشخص الذي يسعى لطموحه، عليه أن يتحمل كل شيء ولا شيء يأتي بسهولة وبدون تعب وتضحيه.

سارة: يا صديقتي أنت شخصية رائعة جداً وعمما قريب سيتحقق كل شيء تسعين إليه، لأنك تعبتي كثيراً والله لن يهدر كل تعب هذه الأيام هباء

شهرزاد: شكرا لأنك صديقتي سأظل أكرر في هذه العبارة حتى آخر رmq يجمعني بك.

حوار الكلام ينتهي، وبدأ الآن دور حوار الأعمى ولقاء الابتسامات مع بعضها البعض، وإخراج أنفاس النصر بكل راحة وأمان.

تقول شهرزاد، لقد قضيت فترة طويلة من العناء والمشقة، لقد رأيت مشاهد مرعبة جعلتني أتراجع بضع أميال عن حلمي وهدفي، لكن إصراري الكبير وإلحاحي على نفسي في المحاولة والتحلي بالصبر، هو الشيء الوحيد الذي دفعني بقوة نحو الطريق الصحيح

وأيضاً أُمي ساعدتني كثيراً بوجودها الدائم أمام عيني ، وبكلامها التحفيزي . كانت دائماً تردد عبارة، أنت أقوى من كل هذا وسوف تصلين إلى حلمك دون أدنى شعور بالقلق.

ففرحة النصر سوف تجردك من جميع لحظاتك الحزينة والتي باتت أن تنتهي بالفشل، رغم أنني كنت دائماً أكابر على نفسي بالقوة والصبر، حتى جاء الموعد الذي بدأت أرى فيه بضع من نهاية الطريق الذي أسلكه.

وأيضاً موت أبي كان بالنسبة لي بمثابة كموتي من الداخل تجاه هذا العالم وتجاه كل الأشياء التي أريدها، لأول مرة تصفني الحياة بهذا الشكل وبهذه القسوة، لقد هدني فراق أبي وجعلني كالحريق بلا دخان ولا حتى رماد.

لكن من بعد رحيله عني، تعلمت أن أعين نفسي بنفسي وأن أجازف رغم كل الصعاب وأنه لم يتبق شيء لأخسره بعد أبي، ولأول مرة أشعر بشعور طفل صغير يحاول المشي رغم أنه يسقط كثيراً ويرتطم على الأسفلت في كل مرة يحاول أن يثبت للناس إنه ليس بحاجة لأحد، وإنه سيعين نفسه بنفسه ويمشي وهو واثق بخطاه إنها صحيحة.

رسالتي للجميع، اليأس لن يصنع منك سوى شخص عقيم وليس لديه القدرة على العيش في عالم تقليدي يتطلب منك أن تكون شجاعاً.

كعادته الوقت يمر مسرعاً دون إشعار أو تنبيه، كأنه لا يواعد احد ولا يلتقي بأحد سوى أن يقضي كل يوم بنفس الحالة والشعور، وأن الأشخاص هم من يرتبطون به وهو ليس لديه مواعيد مع أحد وأيضاً لا يربط نفسه بأحد.

ما زالت شهرزاد وصديقتها سارة مستلقيتان على الأريكة في ظل أجواء الفرح والسرور من التقرب أكثر إلى تحقيق النصر وإنجاز عظيم بالنسبة لهم.

تقف سارة على قدميا لتتنظر إلى الساعة وتجدها الحادية عشر ما قبل منتصف الليل ، تشرذ في نفسها وتقول يا لسرعة هذا اليوم ، يمر فيه الوقت مسرعاً، علي الذهاب إلى المنزل الآن، تلملم سارة أغراضها وتحمل جهاز الحاسوب في يدها لتستعد إلى الخروج.

تلقي نظرة إلى شهرزاد لتجدها شبه نائمة والنعاس غلب عليها كأنها في وضعية ثمالة ويبدو أن اليوم من بدايته كان مرهق، تيقظها الآن وتقول لها علي الذهاب، لقد تأخر الوقت؟

شهرزاد بنبرة صوت خفيفة مصحوبه بتعب كبير: أنا سأبقى مكاني لن استطيع النهوض، وأنت من أصحاب البيت لا تضعيني في موقف الرسميات، تعرفين طريق الباب جيداً، تستطيعين الذهاب لوحدك أنا مرهقة جدا.

سارة : حسنا حبيبتي استمتعي في نومك إلى اللقاء.

تذهب إلى باب البيت الرئيسي لتفتحه بهدوء وتغادر بسلام وأمان،
وشهرزاد صارت تغط في نوم عميق على الأريكة نفسها وأحلامها
تحلق في الأفق البعيد.

لقد قضت شهرزاد يوم شاق، وهي تعمل على تطوير برنامجها
البسيط والذي بات عالق في ذهنها لدرجة أنها أصبحت تراه كحلم
تود تحقيقه أمام الجميع.

لتستطيع أن تنسى كل تعبها الذي قدمته لأجله وجميع
التضحيات، ولتستطيع أن تعود لوحدها في كل طريق سلكته وهي
تبحث عن أحد يرشدها ويستطيع تحفيزها بعبارة صغيرة، هي الآن
ليست ممتنه لأحد، لن تضحي بعد كل تلك التضحيات ولن
تعاود سلك الطرق المتعبة مجدداً، فهي حفظت طريق العودة
والرجوع جيداً، فقد تعلمت كثيراً من الأخطاء والحماقات التي،
قامت بارتكابها منذ البداية، استطاعت أن تعرف معادن الناس
أكثر وكيف عليها معاملة جميع الفئات دون استثناء، ففي هذه
الحالة هي ليست بحاجة إلى أحد، عدى أمها وصديقتها الوحيدة
سارة.

عندما يخوض الشخص العديد من المراحل والحروب من أجل هدف
واحد، فإنه يكون قد اكتفى من جميع الأمور وأصبح قوي بعد أن
سقط كثيراً، فأن يسلك المرء نفس الطريق هو يعني أن تتعلم

كيفية العودة إليه وأنت واثق من نفسك، أنك لن تخطئ مجدداً،
وكما أيضاً واثق الخطى يمشي ملكاً.

على الشخص أن لا يعرف اليأس أبداً، لأنك تعيش مرة واحدة،
والدقيقة التي تهدرها في التفكير، تضع عليك حقة من
الإنجازات، فدائماً حوض المعارك بسيوفها ولا تفكر في العودة إلى
الديار إلا وأنت تحمل راية النصر أو وأنت على نعشك،

مع صوت زقزقة العصافير وأصوات نباح الكلاب، وصياح الديك،
والسماء تتشكل بلونها المائل للأزرق والذي يوحي بأن ظلام ما بعد
منتصف الليل بدأ يختفي لتشرق شمس الصباح مجدداً، وهي
تهلّل معها كنيات جديدة وأرواح مشرقة ممدودة بالطاقة والقوة
لإكمال تسلق تلك القمة التي يسعى إليها الواحد منا بكل لهفة
وشوق لإتمام مساره وحلمه الطويل.

ما زالت تغط في النوم وعلامات الراحة تتشكل على ملامحها وكأن
الملائكة تحرسها، وكأنها أخرجت من قلبها شيء كان مأسوراً
بداخلها منذ زمن واستطاعت تحريره بجهودها.

يبدأ الصباح بالطلوع والشمس تتشقق بكل مهل وتأنى، نسيمات
الهواء تحمل معها أخبار سارة وتخبئ في داخلها الكثير من الأعمال
الهامّة والتي يجب القيام بها اليوم ومحاولة إتمامها على شكل
سريع ومتقن.

تسعة ساعات مرت وشهرزاد نائمة، لتقف عقارب الساعة على الثامنة صباحاً. أوشكت على الاكتفاء من النوم وأخذ قسط الراحة بالشكل الكافي، تقلب نفسها يميناً ويساراً، تفتح عين وتبقي الأخرى مغمضة، تحاول النهوض لكن الكسل هاجد فوقها، لا بأس فالיום أمامها عمل طويل ولا مشكلة أن بقيت جالسة في فراشها للوقت الذي يسمح لها بالنهوض من سريرها وهي مستيقظة على الشكل التام لتعلم وتدرك ما عليها فعله جيداً.

إنها التاسعة صباحاً، ما تزال شهرزاد مستلقية في فراشها وهي بحالة من الاسترخاء الشديد والرغبة في البقاء داخل الفراش الدافئ وعدم النهوض لمواجهة العالم الدنيء.

تقف على رجليها كعجوز في الربيع السبعين من عمره، يبحث عن عكاز ليتكى عليه ليعود إلى قوته لا مجال للاتكاء ولا أحد هنا، تجر نفسها إلى الشرفة المطلة على المكان الذي تعيش فيه، أصوات العصافير واخضرار المكان وريعان الأشجار، منظرٌ يعيد للنفس روحها مفعمةً بالنشاط والحيوية، تجلس قرابة العشرين دقيقة وهي تتأمل المناظر الخلابة والطقس الجميل.

تشعر أنها أصبحت بحالة جيدة، تنهض من على تلك الشرفة لتدخل إلى غرفتها ذاهبة إلى الحمام، أمام المرأة ولحظة من النظر والتأمل مع سكون الطرف، تفتح مغسلة الماء لتمد يداها تحت وتغسلهم، وتغسل وجهها جيداً، تطيل النظر في نفسها وتتأمل ذلك

الشحوب والهالات السوداء التي ترافقها منذ زمن، والتي أصبحت كمتلازمة مرضيه لا حل لها، سوى أخذ قسط من الراحة بعيداً عن كل الأجواء التي تعج بألوان الاكتئاب والاضطراب النفسي والجسدي.

بعد وقوف طويل أمام المرأة، تنصرف شهرزاد إلى غرفتها لتعاود الجلوس على سريرها والتفكير ما الذي يجب فعله في هذه الأيام الحاسمة، وأنه قد مضى الكثير من الوقت على الحلم الذي طال انتظاره منذ سنوات، لكن لا بأس ما زالت تعمل بكامل جهدها وقواها العقلية والجسدية،

تقرر أن تذهب إلى وزارة التربية والتعليم للاستفسار عن منحها وان بقيت فعالة أو أن تاريخ صلاحيتها قد انتهى.

تبدأ بتجهيز نفسها على أكمل وجه لكي تذهب إلى وزارة التربية والتعليم وتساءلهم عن شأن منحها والأمور المتعلقة بالسفر، أمام مرآة خزانتها وهي تحمل في يدها علبة من الكحل الداكن، تقوم بخط عيناها الجميلتين دون وضع أنواع أخرى من الروج، تظهر إلى صالة المنزل لتجد أمها تعد بغداء اليوم، تلقي التحية عليها وهي على عجلة من أمرها، لتقول: دعواتك يا أمي، إلى اللقاء.

الأم: رافقتك السلامة وحفظ الله .

من باب المنزل تخرج وهي تسير على الأسفلت وتنتظر مرور إحدى مركبات المنطقة، يطول الانتظار لدقائق وإذا بمركبة قادمة من

بعيد، تؤشر الفتاة بإصبعها، تتوقف المركبة. بوضعية ركوع تضع شهرزاد يديها على المركبة من عند نافذة السائق لتقول له: أوصلني إلى وزارة التربية والتعليم؟ السائق بحالة من الاستغراب وعدم إدراك ما يحدث يبتسم ويقول: حسناً كما تشائين، وهو يبتلع ريقه.

على الطريق إلى الوزارة، دوامة أفكار تجتاح مخيلة الفتاة، هل يا ترى ستسير أمورك على ما يرام؟ وإن تم رفض منحتك من الذي سيساعدك! منذ نعومة أظافرك وأنت تركضين وراء هذا الحلم، لا تهدري الوقت وأنت تبحثين عن طريق الوصول، غامري بشتى أنواع الطرق؟

عليك اجتياز كل الصعاب معها كانت العواقب، وأنا أحملك مسؤولية كل شيء، إذا ترين نفسك أنك لست قد الأحمال، فتراجعي من هذه اللحظة ولا تفكري بأن تخطي خطوة واحدة نحو ما حلمت به منذ صغرك، أتركي كل شيء لوحشية الأيام فهي تلتهم حلم الضعفاء،

تفزع شهرزاد من نفسها كأنها صحوت من حلم مرعب، كان العالم بأجمعه يحاول إيقاعها في الهاوية وفي الدرك الأسفل، منذ وأن

أصبحت تسعى وراء حلمها ومرادها، أصبح العالم ضدها ومناقض لجميع مخططاتها رغم إنها في السليم، لكن في الحقيقة لم تر شيئاً يحفزها على الوصول والتقدم سوى نفسها وأمها وصديقتها. بعد سير طويل وشهرزاد داخل المركبة، يتوقف السائق الآن ويقول: تفضلي بالخروج أنت الآن عند وزارة التربية والتعليم، فقط عليك المسير عشرة أمتار وتكوني قد وصلتيتها.

الفتاة: شكرا لك، تفضل الإجار خمسة دنانير.

تخرج من المركبة متوجهة نحو مدخل الوزارة وهي في عجلة من أمرها وكأن شيئاً ما يدفعها من داعي الخوف والقلق في تأخيرها عن البحث حول المنحة وما يتوجب عليها فعله حيال ذلك، على الطريق إلى الوزارة، دوامة أفكار تجتاح مخيلة الفتاة، هل يا ترى ستسير أمورك على ما يرام؟ وإن تم رفض منحتك من الذي سيساعدك! منذ نعومة أظافرك وأنت تركضين وراء هذا الحلم، لا تهدري الوقت وأنت تبحثين عن طريق الوصول، غامري بشتى أنواع الطرق؟!

منذ وأن تخرج من المركبة متوجهة نحو مدخل الوزارة وهي في عجلة من أمرها وكأن شيئاً ما يدفعها من داعي الخوف والقلق في تأخيرها عن البحث حول المنحة وما يتوجب عليها فعله حيال ذلك.

عند باب الوزارة بعد أن قطعت مسافة عشرة أمتار وهي تسير على قدميها، ليزورها وسواسٌ فكري مرة أخرى محاولاً إحباطها بكلماتٍ قصيرة.

الوسواس: الموظف الذي في الداخل قد سئم من الناس الذي يقبلون عليه يومياً، من الممكن أن يكون في هذه اللحظات بمزاج سيء، أنصحك بعدم الدخول والعودة من حيث أتيت وإلا ستضعين نفسك في مواقف محرجه!؟

طين الأذن، حالة خوف مستمرة، ارتباك وبعثرة للحروف في قائمة الردود الداخلية، فقدان الاتزان والمواجهة.

تصر شهرزاد على نفسها للدخول وإجراء تلك المقابلة، مهما كلف الأمر ومهما كانت النتيجة لا يهم، فهي تعلم أنها لن تنال شيئاً فوق طاقتها وغير التعب الذي تعبته طوال هذه الأيام والسنين، بعد إلحاح طويل على النفس، تأخذ شهرزاد نفساً عميقاً وتباشر بالدخول إلى الوزارة،

تسير في الممر أو الكوريدور، تنظر إلى اللافتات تحاول الوصول إلى الموظف الذي قابلته سابقاً، أظنه ليس هنا!

تذهب إلى موظفة الاستقبال ، لتسألها عن الموظف المسؤول عن إصدار المنح واستقبالها، يدور حوار بين الفتاة والموظفة:

الموظفة: تفضلي بماذا أساعدك؟

الفتاة: منذ فترة جئت إلى الوزارة حيث كان هناك موظف مسؤول
عن الأمور المتعلقة بالمنح الدراسية التي تكون خارج البلاد؟

الموظفة: نعم صحيح وهو ما زال موجود، لكنه في الطابق الثالث
وأنت هنا في الطابق الثاني.

الفتاة: شكرا لك، إذا يوجد هنا مصعد أليس كذلك؟

الموظفة: نعم يوجد، عند آخر الممر على يسارك.

الفتاة: حسناً شكراً على الخدمة، تذهب الفتاة على عجلة من
أمرها.

باب المصعد، تضغط على السهم الموجه للأعلى، (يعني الصعود
طابق للأعلى أو أكثر) يفتح باب المصعد لتصعد فيه وتضغط على
الرقم ثلاث، ترفع رأسها وتأخذ نفس طويل وتغمض عينيها، وهي
تدعي الله في سرها، يا رب سهل علي أمري فأنت ملاذي ومنقذي
حين لا يبقى أحد.

يفتح باب المصعد لتظهر شهرزاد مجدداً في الممر، تنظر إلى اللافتات
بسرعة، لترى بطرف عينا وجه يشبه وجه الموظف الذي قابلته قبل
مدة طويلة، تباشر بالمسير نحو المكان وتعود بذكرياتها قليلاً، إلى أن
وصلت عند الموظف وهي تبتسم وشعور بالأمل يستوطن داخلها،

أمام الموظف، تلقي عليه التحية، لتقول له: أنت الموظف المسؤول عن
المنح الدراسية؟

الموظف: نعم صحيح تفضلي بماذا أساعدك؟

شهرزاد: تزيد الابتسامات على وجهها وشعور بالاطمئنان على أن الأمور إلى حد الآن تسير في الخط السليم، تحاول لقط لسانها لتقول مجدداً، منذ فترة حصلت لي مقابلة معك لكي أرى موعد منحتي، لكن حدثت معي الكثير من الأمور التي منعتني من السفر. لكن اخبرني الآن هل انتهى موعد منحتي أم أنه لدي متسع من الوقت لكي أباشر بأمور السفر؟

الموظف: في الحقيقة لأول مرة أراك لكن زوديني باسمك.

الفتاة يعبس وجهها وترد عليه بنبرة خيبة، شهرزاد.

الموظف: أمهليني قليلاً لأستطيع أن أقول لك الأخبار الصحيحة بالشكل الذي تريدينه.

حالة من خوف الانتظار تجلس بجانب شهرزاد وهي تنتظر في رد الموظف عليها بشأن المنحة.

الموظف: لقد جئت في الوقت المناسب، أوشك موعد المنحة على الانتهاء ولكن ما زال أمامك عشرة أيام لتكوني قد جهزت كل الأمور التي تلزمك لكي تسافري بنفس الموعد المحدد لك.

شهرزاد: تفرح فرح شديد، لتقول للموظف: إذا يجب أن أقوم بتجهيز جواز سفري وشهادة المدرسة والأمور المتعلقة بالمنحة كما يتطلب

مني؟

الموظف: نعم صحيح، أتمنى لك التوفيق.

تقف وهي تستدير من عند الموظف وهي بحالة من الفرح والسرور وكأنها استلمت كنز يعادل حجم السماء وما فيها تعود إلى الأضنصير وتضغط على السهم الموجه للأسفل (يعني النزول إلى الطوابق الأخرى) يفتح باب المصعد لتصعد به وتضغط على زر (GF)، يتوقف الأضنصير وتخرج منه إلى باب المغادرة، المدخل الرئيسي)

تقف على الطريق والابتسامات تترنح على وجهها وملامحها الصغيرة، تنظر يمينا ويسارا تبحث عن مركبة لتعود إلى منزلها، وحالة من اللهفة والشوق تصاحبها لكي تسرد الأخبار السارة على أمها وتحاول أفراحها بأقل القليل وأن ترسم الابتسامة على وجهها من بعد تلك الأيام المغبرة المليئة بالعثرات والأحمال الثقيلة المتعبة.

قراءة الخمسة عشر دقيقة وشهرزاد تقف على الشارع الرئيسي، مرت الكثير من السيارات وهي تؤشر بإصبعها على أمل أن يتوقف أحد يطول الانتظار، تسير بضع خطوات قليلة إلى الأمام، لتتوقف بجانبها مركبة، تلتفت مسرعة، لتقول: من فضلك هل تستطيع إيصالني في طريقك إلى منزلي؟
السائق: تفضلي بالصعود.

تصعد شهرزاد إلى المركبة ويكمل السائق قيادته:

في الطريق تخرج هاتفها من جيبها، لتجري مكالمة فورية إلى صديقتها سارة وتخبرها بالأمر المتعلقة بسفرتها ومنحتها،
يرن الهاتف الآن... تستجيب سارة على الاتصال:

سارة: مرحبا حبيبتي كيف حالك؟

شهرزاد: أنا بأحسن حال، وأحمل معي أخبار سارة سوف تفرحين عند سماعها.

سارة: حقاً! إذاً أخبريني لأنني في الحقيقة ومنذ فترة لم اسمع بخبر جيد.

شهرزاد: في الحقيقة ذهبت قبل قليل إلى وزارة التربية والتعليم لأستفسر حول الأمور المتعلقة بالمنحة وأن كان موعدها انتهى أو أنه ما زال ساري المفعول إلى حد الآن، التقيت في الموظف وأعطيته اسمي، لم يستغرق معه الأمر في البحث طويلاً، وإذا به يقول لي أنه ما زال أمامي عشرة أيام ويجب أن أكون قد جهزت نفسي وكل الأشياء التي تتعلق بالسفر.

سارة: حقاً، وهي تضحك على سماع الهاتف والابتسامات تملأ وجهها، لتقول لقد سررت كثيراً عند سماع هذه الأخبار منك، أشعر الآن أن الأمور بدأت تسير على ما يرام وبالشكل المطلوب. أتمنى لك التوفيق تستحقين أكثر من ذلك.

شهرزاد: أدعُ الله أن تبقى أموري تسير بهذا الشكل الجيد لأنني في الحقيقة شربت كؤوس كثيرة من الانكسار والذل والهوان، أمام نفسي وأمام الناس، وأنت تعلمين بذلك.

لا أريد أن أطيل عليك أكثر في اتصالي.

سارة: عليك التحلي بالصبر أكثر من أي وقت مضى، وأبقي كما أنت مهما كانت الأمور تسير بالشكل المطلوب، لا تتغيري على شغفك وحلمك الذي ترعرع بداخلك منذ زمن.

تنهي شهرزاد الاتصال لتقول: حسناً يا سارة سأرى إلى متى سيبقى هذا الطريق طويلاً، اعطني بنفسك، إلى اللقاء.

ينتهي الاتصال الآن لتضع الهاتف في جيبها وتتغير ملامح وجهها بالعبس قليلاً، لتكون قد اقتربت إلى المنزل، تجهز نفسها للخروج من المركبة إلى أن وصلت الآن، تخرج المال من جيبها وتدفع الإيجار للسائق، كل الأمور تسير على ما يرام. تخرج من المركبة نحو الأسفلت مجدداً.

لا بأس إن كان الإسفلت يحمل بعض المعالم والأحداث التي مررت بها وخضتها وحدي، وكان باستطاعتي إن أطلب العون من الناس، لكن السير وحيداً أمرٌ ممتع للغاية ومشوق في بعض الأحيان، لأنني لا أثق بالأشخاص الذين يسيرون بجانبني، حقاً لا أثق بهم من الممكن إن كان يسير بجانبني أحد لدفعني بقوة تحت ازدحام السيارات المسرعة وصرت جثة لا يرثي لها، وأصبحت أحلامي

وطموحاتي من ذوي الاحتياجات الخاصة أو كما قلت سابقاً، جثة لا يرثي لها.

لكن السير وحيداً علمني الكثير من الأمور، حينما كنت أخرج للتجول، أضعت طريق المنزل في أكثر من مرة لكنني في كل مرة كنت أعود بالطريق الصحيح دون علم مني أن كان فعلاً هذا هو الطريق الذي سلكته في خروجي أم لا.

على المرء أن يجازف ويخوض ويغامر بنفسه، فالخوف من الشيء لن يضعك في المقدمة، ولن يرفعك درجات إلى الأمام، ستبقى في القاع النتن تطوف حولك الجرذان والحشرات، ستموت من الداخل وأنت تراقب نجاحات غيرك.

وإذا كنت تظن أن النجاح سهل وبسيط، فأنت لست عند حسن ظنك، فالنجاح يحتاج بذل مجهود كبير، وعزيمة عالية وإصرار كبير وتحمل للمشاق والعثرات مهما كانت وإن بقيت تسير على عهدك.

مع نفسك في البقاء صامداً وتحملت كل الظروف، ستمضي أيامك السيئة ستخرج منها قائماً بينما ظننت أنك سقطت، ستحصل على كل ما حلمت به، ستعيش بك ألف روح بينما ظننت أنك مت.

تبدأ شهرزاد بالسير نحو منزلها، تحاول رسم الابتسامة مجدداً بعد أن شعرت بالبوؤس حين أنهت مكالمتها مع صديقتها سارة، لكن لا

بأس فالشعور تجاه الشيء يتغير بحسب عمق التفكير فيه، فعدم التخطيط للأشياء قبل حدوثها هو ما يجعل المرء متزناً بأفضل حال.

تكاد أن تصل باب منزلها، لتدخل من الحديقة البسيطة المكونة من بعض الزهور المغروسة في التراب بجانب الأحواض، وبعض منها داخل فخار، خلف الباب مباشرة، تطرقه بخفة وحنان، تتوالى الطرقات إلى سبعة طرقات، ليصدع الصوتُ داخل المنزل تنهض الأم لترى من يطرق خلف الباب لتفتح له.

تتحرك الأم تجاه الباب، لتقول من هنا ؟

شهرزاد: أنا ابنتك يا أمي.

تفتح باب المنزل، لتلقي عليها التحية بابتسامات مليئة بالنصر والحب المنبعث من خلف أعماق التعب الذي عانت منه كثيراً، وما زالت لكن الأمور تعود إلى طبيعتها رويداً رويداً، وبحسب ما تقول معظم الروايات، أن حل العقدة يأتي بعد عناء طويل وتعب وتضحيات كبيرة، وأن البطل لا يعرف الهزيمة، ليكون قدوة ومحفز لمتابعيه ومحبيه.

إذ بها وقد دخلت إلى المنزل وهي تزف معها الكثير من الأخبار السارة والتي ستغير الكثير من معالم وجه الأم، المحنطة بالهموم منذ فترة

تجلس على الكنبية، تأخذ نفس مع ابتسامة عريضة وهي تنظر
لأمها، والأم لا تعلم ما الأمر سوى أنها تطيل النظر باستغراب، وإذ
بها تنطق بعد دهشة:

كيف كان يومك؟ حين خرجت كنت على عجلة من أمرك.

شهرزاد : أحمل لك أخبارا سارة، لقد ذهبت إلى وزارة التربية
والتعليم لأقابلهم بخصوص المنحة ولكي أتأكد إذا بقيت سارية
المفعول أم أن مدتها انتهت، دعك من الحديث الطويل.

لقد قال لي الموظف أن منحتي لم تنته بعد وأمامي قرابة الأسبوع
لأجهز نفسي للرحيل وحينها سأكون قد اقتربت من خط الانتهاء
الذي ركضت إليه منذ زمن طويل.

الأم: حقاً حصل معك هذا؟ أه يا ابنتي كم أنا سعيدة من أجلك،
أتمنى أن تبقى الأيام تسير معك بالشكل الصحيح ويصبح الحال
أفضل من ما هو عليه، إنه أجمل خبر سمعته من بعد وفاة والدك
قلبت الأمور رأساً على عقب، لكنها باتت بالتحسن تدريجياً.

شهرزاد: سأعوض التعب الذي عشتيه وحدك، أنا في الحقيقة أريد
إسعادك قبل كل شيء وتغيير حالنا إلى الأفضل، وبعدها سأفكر
بنفسي، أنا هنا لأجلك يا أمي ولأجل أخواني الصغار، أشكر الله
على نعمتكم.

ينتهي الحوار الآن، لتبدأ دموع الفرح بالانهمار بغزارة من عين الأم، لقد مرت بأيام قاسية للغاية، أخفت الكثير من الأيام السيئة داخلها، كانت أكبر من الحمل الذي وضع لها، تحملت كل هذا فقط لأنها الأم ولأنها من تعلم صغارها التضحية من أجل القادم والبعيد والمجهول.

تنظر شهرزاد إلى أمها متأثرةً بموقفها المحزن مع الكثير من المشاعر التي كانت مدفونةً في القاع منذ زمن، كادت أن تتعض وتفوح رائحتها في المكان، لكن رائحة النصر غلبت عليها في اللحظة غير مرتقبة.

تقترب من أمها، بمعنى أن يلتصقان ببعضهما ليصبحا وكأنهما جسد واحد، تجلس بجانبها من الجهة اليسار، تقوم بعملية احتضان وتشابك للأجساد لترفع يديها وتحتضن أمها بكل قوتها، وتهمس في أذنها، لا عليك يا أمي لا تبكي، فكل شيء قدمته كان من أجلك. ومصير الأيام أن تتبدل إلى الأفضل.

الأم: أنا أبكي عليك أنت، لأنك تضيعين الكثير من طفولتك من أجل أشياء لم يجبرك أحدٌ عليها، أنا فخورة جداً بعبائك، ستكونين شيء كبير أفرح به أمام الجميع، أتمنى أن يرافقك الرب دائماً، وتحرسك الملائكة بعونه.

ينتهي الحوار الآن، وروح الأم قد شحنت بالطاقة الإيجابية لفرحتها على ما تقدمه ابنتها، شعور بالرضا عن النفس في ظل ظروف

معيشية صعبة، إلا أن الأم متيقنة تماماً أن الأيام ستتبدل إلى حال أفضل مما هو عليه.

تنهض من جانب أمها بعد أن قبلتها على جبينها. تذهب إلى غرفتها لتغط في نوم عميق دون الشعور بالنعاس، كأنها انطفاء نور، حصل كل شيء في لحظات.

التعب يجتاح جميع أطرافها، ووسواس قهري يحوم داخل أفكارها، تهرب من نومها إلى عالم آخر، أو بالأحرى يبقى جسدها على السرير لترحل روحها إلى عالم مظلم، مليء بالدخان، قاع مزدحم الجميع يهرب من نفسه إلى هذا المكان، لا أحد يستطيع أن يحدد مصيره

الكل يفكر في نفسه ولا أحد يرى ويشعر بغيره.

يزداد العرق على وجهها رغم أن الطقس غير حار، لكن شيء غير مألوف يجتاح روحها ويذهب بها إلى حيث تشاء، ترى أنها تقف على متن الطائرة تحلق بين السحاب، وشعور بالراحة بعد الكثير من المعاناة والصبر.

ترى نفسها أنها قد وصلت إلى المكان المطلوب وأنها الآن على المسرح أمام الكثير من الناس لكي يتم عرض اختراعها أمامهم على الملأ، يزداد شعور الفرحة كثيراً، وتتناسى نفسها في ظلمة المكان، تظن أنها قد تخلصت من كل شيء في اللحظة التي غلب النعاس عليها ، لكن هي لا تعلم أنه عندما يزيد إرهاق الشخص من واقعه المؤلم

ويزداد التفكير عنده في كيفية الخروج من كل هذا، ولا يجد مخرجاً سوى تلك الرؤى والأحلام التي تأتي بغتةً.

قد تحاول الآن أن تقترب أكثر إلى الشيء المراد وإلى ذلك الاختراع الذي بات منتظراً طويلاً، ليأتي شعور تشعر فيه وكأنها سقطت من علو وارتطمت جثة هامدة في ساحة مجهولة لا يراها فيها أحد، وإنما الآن تسير في طريق وعره غير معبده كغيرها من الطرق التي كانت تسلكها كثيراً وتقف على أسفلتها.

تستيقظ الآن من نومها بهلع، يصحبها خوف ونشاف في الريق، تتعوذ في نفسها، وكأنها لم تشعر بشي، لتعاود الهجود في السرير وهي مطمئنة البال، وأن كل ما حصل كان خيالاً، والحقيقة ستكون قريباً مهما زاد الإرهاق والتعب.

تتوالى الأحداث في مخيلة شهرزاد على هيئة كوابيس مرعبة، شعور بالارتطام، فقدان الشيء المطلوب، الوقوع وسط الشارع المزدهم أمام الجميع والكل يأخذ نفسه بالسخرية عليها.

تقف من بين كل الأشواك صامدة، تسير على شارع ملتهب بالأحداث السيئة، رائحة أرواح هالكة، الذباب ينتشر في كل مكان، ويبدو أن كل من مروا من هذا الشارع لم يستطيعوا الوصول إلى هدفهم إلا أنهم وقعوا جثث هامدة في حالة لا يرثى لها، ولم يمروا
بسلام

ما زالت الأحلام والهواجس تسوح في مخيلتها، الساعة الآن تقترب من الساعة صباحاً، النسيم الذي كان يرقص الأشجار قد انتهى والشمس التي كان تراقب هدوء العالم من خلف جبل لا يعادل جزء من حجمها الآن تظهر على الشكل التام.

الكلاب التي كانت لا تعرف النوم في الرابعة فجراً، الآن ترقد بسلام، كل الأحداث الطبيعية التي تحدث بشكل يومي وعلى مدار العام حدثت بالشكل التام، إلا أن شهرزاد، حَدَثٌ واحد، يكبر بداخلها شيئاً فشيئاً، إلا أن أصبح يزورها على هيئة كوابيس وأحلام.

تهاجمها في موعد منامها وتظل عالقة بداخلها في الوقت الذي تكون فيه غير متأهبةً للقتال، ورغم هذا العنفوان والهجمات الوحشية، ما زالت تتأبر أكثر من أي وقت، وتقدم لنفسها بالشكل المطلوب.

تمضي الآن ساعات الصباح مسرعة، لا شعور بالوقت ولا لذة بالنوم، لا شيء سوى أنني شعرت بشعور الموتى في اللحظة التي لم يكن لدي القدرة في الحديث أو النطق بشيء، إلا أنني اكتشفت مؤخراً أن كل ما حصل عبارة عن كوابيس مختبئة منذ زمن، خلف أقساط الراحة التي لم أرضاها لنفسي بيوم من الأيام.

بعد صراع طويل على السرير كانت في عالم آخر، لم تكن تعلم في أي أرض كانت لكنها تفهم أن كل ما حدث معها، هو نتيجة الحسابات الزائدة للأمور قبل حدوثها وحسم الأشياء قبل.

الوصول إليها، وازدحام الأفكار داخل خيالها، هو السبب في كل تلك الكوابيس، والإرهاق الجسدي هو من أكثر الأشياء الذي يضع المرء بين خانات مليئة بعلامات الاستفهام وعدم الاستدلال والعثور على الثغرة المتطفلة التي تتسبب في كل هذه الأوجاع، لا بد أن تكون من العمل الزائد وتحميل النفس فوق طاقتها.

تدور عقارب الساعة وراء بعضها البعض، وبعد لهفة انتظار من ليلة مضت وهي محملة بالمشقات والصعاب. لحظات لوقوف عقارب الساعة على العاشرة صباحاً، تنهض من فراشها، تشق عيناها الناعستان وتفتح نافذة غرفتها المطلة على ازدحام السيارات العالقة بين زقاق الحي الضيقة.

تتمنى أن تسمع صوت زقزقة العصافير، لكن ضجة السير المزدحمة تملئ المكان وتعطي أصوات مزعجة مثيرة للدوشة في أرجاء المكان، تعاود إغلاق النافذة بقوة وتقول بينها وبين نفسها: إنني أهرب من ضجيج الواقع الذي أمر به ويكاد راسي أن ينفجر بسببه، ليعود لي مجدداً ضجيج الشارع وازدحام المركبات، تحاول السيطرة على نفسها ويبدو أنها لم تصحو بعد من الكابوس الذي هاجمها وهي نائمة، هو يأتي دائماً في حالة الضعف وعدم السيطرة على الأمور، ويحاول تخريب أشياء كثيرة.

تقف على قدميها تحاول الذهاب إلى المغسلة لتغسل وجهها وتزيل هالات البؤس التي تستقل بجوار ملامحها البريئة، تسير نحو

المغسلة بمشي غير متزن، يصحبها شعور بالدوار والهبوط، تفتح الماء وتمد يديها لتقوم الآن بغسل وجهها بتكرار العملية أكثر من خمس مرات، آملة أن تعود إلى رشدها متزنة بكامل قواها العقلية والجسدية، تعاود الرجوع إلى غرفتها، متجهة نحو سريرها وهي تزف معها بقطرات الماء المتساقطة من وجهها لتلامس الأرض، وتنشر الحزن الكبير الذي لا يعبر عنه سوى بوضع وسادة على فوهة الضم والبدء بالصراخ دون أدنى شعور بشيء.

قراءة التسعة أيام مرت وشهرزاد على نفس الحالة التي ذكرت سابقاً، لا شعور بشيء سوى أنها بقيت هاجدة في سريرها تفكر في ما سيحصل معها في الأيام القادمة وحين مغادرتها للمكان الذي ترعرعت به أكثر من ثمانية عشر عاماً، وكيف ستدير أمورها وتحقق ذلك الحلم، هي لا تريد أن تعود خائبة وذلك ليس من شأنها، بل من شأن أمها وصديقتها اللتان تثقان بقدراتها العظيمة وعقليتها الواسعة في تحليل الأمور والسيطرة عليها، مهما زادت تعقيداً.

لم يتبق سوى يوم واحد وتغادر الفتاة إلى عالم آخر، عالم لم تشاهده إلا في التلفاز وعلى قنوات الأفلام، لكن الجدير بالذكر أنها اقتربت كثيراً من تحقيق النجاح، فهي الآن على الحافة، أما أن تسقط في الهاوية أو تعبر الصراط .

الساعة الثانية ظهراً، تحضر شنطة سفرها لتقوم بتجهيز جواز سفرها وشهادتها المدرسية، وتبدأ بتوضيب أغراضها وكل الأشياء التي تحتاجها في فترة قضاءها للمنحة الدراسية.

تمر الأم بجانب الغرفة، لتلقي نظرة دون قصد وترى ابنتها وهي تقوم بتجهيز نفسها للرحيل والذهاب إلى مكان لا يأتمن فيه على أحد، يهتز ثباتها وهي تطيل النظر بتحديد، حالة من عدم الاتزان تصيب الأم، وتقع على نفسها لتبدأ بالبكاء الشديد.

سماع صوت جسم غريب يرتطم بالأرض وحالة من النواح بجانب الغرفة، هلع وحالة من الخوف الشديد يراود شهرزاد، لتقف على نفسها وتذهب مسرعة لترى ماذا حصل وما سبب هذه الأصوات، وصلت إلى المكان لتلقى أمها ملقبة على الأرض ووجهها يدل على أنها أصبحت بحالة يرثى لها.

تجلس شهرزاد على الأرض بجانب أمها لتقوم بالتخفيف عنها وتهدئها قدر المستطاع والمحاولة بإقناعها بأن كل الأمور على ما يرام، وأن كل شيء يسير على الطريق الصحيح، وأنها لن تعود خائبة الظن لنفسها ولأمها وصديقتها، لكن الأمر يتطلب الكثير من الصبر وبذل المزيد من الجهد.

تقول شهرزاد لأمها: لا تقلقي يا أمي ستمضي كل الأمور على ما يرام ولن يكون الغياب طويلاً، وتذكرني أيضاً أنك قلت لي سابقاً أن كل شيء يحتاج إلى صبر وتحمل المشاق مهما كانت، فعليك أنت

الآن أن تقومي فقط بالدعاء لي والتحلي بالصبر عن أي وقت مضى، وأنا أعدك أن كل شيء سيسير على ما يرام وأنا أثق تماماً بأن خطاي صحيحة وأني لن أعود خائبة فقط من أجل أن لا تدرف من عينيك دموع الحزن مجدداً، أريد أن أرى دموع النصر والفرح، تهدأ الأم قليلاً لتوشك أن تكف عن النواح كطفل صغير أضع دمية صغيرة مصنوعة من القطن والقماش التالف.

الأم: كيف لا أقلق وأنت قطعة مني فكل الأشياء التي تخصك مرتبطة بداخلي حتى من بعد ولادتك وبعد انقطاع ذلك الحبل السري، وأنت كل شيء بالنسبة لي، لا استطيع التفكير بشيء وأنت بعيدة عني، الأمر ليس بهين كما تتخيلين، لكن لا بأس يجب علي التحلي بالصبر كما قلت للي للتو، وستبقى دعواتي ترافقك في كل حين، وأنا على يقين بأنك ستعودين إلي وأنت تحملين بشائر النصر والفرح.

ينتهي الحوار الآن لتقوم شهرزاد بإنهاض أمها، ومساعدتها على الوقوف،

الأم: أريد عناقاً.

شهرزاد: تقترب من أمها وهي تبتسم لتعانقها، وتهمس في أذنها، مهما تعددت الأماكن، تبقى أنت ملجأى الوحيد وملاذي من كل شيء، أحبك جداً يا أمي.

مجدداً لتكمل توضيب أغراضها وباقي الأمور المتعلقة بسفرها،
وللعلم أن غداً هو موعد سفرها، لحظة من الذهول تعم أرجاء
المكان، هدوء غير ملحوظ يأخذ شهرزاد من عالمها الافتراضي إلى
عالم آخر خالٍ من الضجة وازدحام المركبات والسكان.

تجلس على الأريكة المحاذية للسريير، لتتنهد على نفسها مع
لحظات من السكوت التام، وكأنه ملاك بجوارها نائم ولا تريد
إيقاظه بحركتها أو بإصدارها صوت دون قصد منها.

ما إن هدأ المكان وإذا بهاتف شهرزاد يرن بنغمة هزاز قوية تثير
الضوضاء في المكان، تنظر إلى الهاتف بسكون تام وبطرف عينها،
شعور بالخوف من هذا الاتصال ويمن المتصل في هذه اللحظات،
لحظات قليلة وترفع سماعة الهاتف لترد على المكالمة:

شهرزاد: الو مرحبا، المتصل موظف من وزارة التربية والتعليم،
بخصوص المنحة الدراسية.

الموظف: أود إعلامك بأن غداً هو موعد الطائرة التي ستغادرين بها
إلى دولة بريطانيا، وبالتحديد في جامعة أكسفورد.

شهرزاد: شكرا لك على هذه المعلومات، في الحقيقة أنا لم أكن
على علم بشيء سوى أن غداً هو الموعد الأخير للمنحة.

الموظف: نعم صحيح هو اليوم الأخير والذي تغادرين فيه إلى دولة
بريطانيا.

شهرزاد: لكن في أي ساعة يجب علي أن أكون متواجدة في المطار؟

الموظف: في غضون الخامسة صباحاً.

شهرزاد: شكراً جزيلاً، سأكون على الموعد بأذن الله.

إلى كل من يسعوا خلف أحلامهم وطموحاتهم، إلى كل من أضاعوا الكثير من ريعان طفولتهم ونعومة أظافرهم، إلى من أضاعوا أنفسهم وبقيت أرواحهم حيه عالققة بين أمنيات منتظرة على أمل أن تتحقق دون سعي أو تعب، عليكم أن تعلموا بأنكم وإلى الآن لم تقدموا شيء لأهدافكم ولم تضحوا من أجل شيء، وأن الجلوس والنظر في أثاث المنزل وتأمل وجوه أفراد العائلة، لن يغير على حالكم شيء ولن يزيد من فرصكم للنجاح.

التضحية الحقيقية هي التي تبدأ من النفس ولا تنتهي إلى بأن يتحقق المراد والمطلوب، حتى لو كلف الأمر إخراج السيف من غمده ونثر الدماء في بُحور الأرض.

لكي تستطيع الاستدلال على الطريق الصحيح، عليك أن تتوه في نفس الطريق، مئات المرات بل آلاف، لكن وأنت واثق بأن خطاك صحيحة ولو طال طريق العودة، فعليك أن تعلم أن وقتك لم يذهب هدراً ولا هباءً وإنما رُسخت في ذاكرتك أكثر من طريق، لئلا تَزَلَّ قدماك وتتوه مرةً أخرى، وعليك أن تعلم أن السير وحيداً هو الذي يجلب الحظ لك ويبقيك في السليم ويمنحك قوة تزيد من إصرارك للوصول إلى أعلى القمم، وأن كنت تسير مع أحد ما

فأنت لا تعلم أنه سيبقى يسير بجانبك إلى آخر الطريق، لربما تغريه بعد المسافات ويقوم بتجاوزك.

بشتى أنواع الوسائل والطرق دون أن يلتفت لك أو لربما يدفعك تحت مركبة مسرعة ويضيع عليك تعب فناء منذ زمن، رغم أنه لا فناء لثائر، لكن الأقدار تتقلب بمشيئتها وتسير إلى وقت غير معلوم، ومن الأشخاص من يقولون أن الكبرياء ليس بجيد وأنه لا يوحى بأن الشخص يثق بنفسه وبما يقدمه سواء كان لنفسه أو لمن حوله من الناس فهناك العديد من الأشخاص يصحبهم وسواس فكري في كثير من الأمور المتعلقة بأشياء غيرهم، ولتتخلص من هؤلاء الأشخاص، يجب أن يكون كبريائك مرتفع بنسبة تفوق حد خوفك من الشيء الذي تسعى إليه، مهما كانت صعوبته ومهما زاد خوفك منه ومن فقدانه، فعليك أن لا تظهر لأحد أنك بحالة من الهستيريا وعدم القدرة على التحكم بالذات وقرارتها، يجب أن يظهر كبريائك في هذه اللحظات وأن تكون واثق من نفسك دون أن تتكبر على أحد، لأنك تستخدم كبريائك لتتغلب على الخوف من أمام الكثير من الوجوه المتقلبة.

تسير عقارب الساعة مسرعة إلى اتجاه غير معروف، سرعان ما أنهت شهرزاد توضيب أغراضها في حقيبة سفرها، لتكون على استعداد كامل لإكمال مرحلة الغوص العميقة في بحر الأحلام.

وتحقيق الطموحات والبدء بالتجديف بقوة كبيرة وبدوافع أقوى من السابق بكثير، لأن هذه المرحلة ستكون مرحلة الحسم وتحديد المصير، وأما الوقوف على ناصية الحلم أو ناصية القبر، يمر الوقت مسرعاً وإذا بعقارب الساعة تقف على الثامنة مساءً، تجلس على سريرها الخشبي الذي صنعه لها والدها منذ زمن بعيد حينما كانت طفلة صغيرة لا تفقه شيء، تضع يدها على السرير للتمعن بتفاصيله التي تشبه أباه، بعطاءه وحنانه وسعة صدره، تحديق عيناها في جميع أنحاء غرفتها، تحاول نسيان ماضيها وصنع حاضر جديد، يختلف عن السابق بكثير، أي يعني ولادة الشيء من جديد بفكر فارغ نظيف ومجرد من جميع الأحداث السيئة، لكن مرارة الأيام كانت أكثر من حلوها، لذا لن يتغير في شيء، الآن وفي هذه المرحلة يزداد التركيز كثيراً أكثر من أي وقت مضى، في هذه الأثناء وخلال ساعات قليلة ستفقد الفتاة شيئاً كان بحوزتها منذ زمن، لحظة الوصول إلى اللحظة الأخيرة من كل ما قيل سابقاً، ومن كل ما دُون بقلب مكسور ونفس متعبه، وروح هلكت من كثرة التفكير والانتظار لكنها ما زالت متيقنة بأن كل شيء سيتغير وكل هذه الأيام المعدية سوف تتقلب إلى أيام أفضل بكثير مما كان في السابق، وأيام كثيرة تحمل على زاويتها الكثير من العناء مثلما قيل سابقاً.

بعد جلوس طويل على سريرها وبعد تمنع بكل حدق في أرجاء الغرفة وفي كل تلك الأشياء البسيطة والخاصة ومن ضمنها تلك الدمية الصغيرة التي أهداها إياها أباه حينما كان بكامل صحته وقبل أن ينهش المرض منه، إلا إنه ومنذ زمن قد غادر إلى العالم السفلي.

تهجد رأسها على الوسادة، محاولة أن تغط في نوم عميق دون التفكير والحسبان بالأمور المتعلقة بيوم غد وما سيأتي بعدها من أيام تحمل داخلها الكثير من المفاجآت التي لا يعلم عنها أحد سواء كانت جيدة أم لا.

لحظات ما قبل أن تغفو شهرزاد، لتتذكر أن غداً موعد طائرتها في تمام الساعة السادسة صباحاً، ويجب عليها أن تنام بشكل كافٍ وأن تأخذ قسطاً من الراحة، لأنه سيكون يوم غد طويلاً ومرهقاً ومليئاً بالمشاق، والتعب النفسي والشعور بالهبوط والنقص وحالة من عدم الإدراك لكل الأمور التي ستحدث دون حسابان لها.

تقول شهرزاد: أن كل شيء سيمضي مهما كان صعب، وأن لكل عقدة حل ولكل طريق مخرج، وما من شخص يسعى بكامل قواه الجسدية والعقلية، إلا وقد نال مراده وهدفه، وأيضاً كلما زاد الشخص من صبره على الأمور وفهم مجريات الأحداث بطريقة مبسطة بينه وبين نفسه،

سيستطيع إيجاد الصواب في لحظات قليلة ودون عناء ومشقة، لكن غالباً ما يحتاج الواحد منا إن يجلس وحده مع نفسه يفكر ويحلل فيما حصل وبما سيفعل بشأن ذلك الحدث.

إن كان الصبر خيراً برهان فعلينا التحلي بالصبر، وإن كانت المجازفة وسيلة سهلة للحصول على الأشياء بجداره، فتباً لتلك الجدارة حينما يجازف المرء بشيء عليه أن يكافح بكل ما أوتي من قوة، ومن الأفضل إن كان باستطاعته أن يفكر قليلاً قبل التسرع وتحديد القرار

تتقلب على السرير في كل الاتجاهات، لأول مرة تشعر بأن هذا المكان لا يناسبها وأصبح يدفعها بقوة لتذهب إلى مكان آخر ترى فيه عالماً جديداً، مكان تولد فيه كطفلة صغيره بقلب صاف وروح مليئة بالشغف تجاه هذا العالم اليائس.

الوقت يمر مسرعاً، وما زالت تفكر كثيراً دون أن تستطيع الوقوف على مشهد واحد، لتستطيع أن ترى فيه الكثير من الأشياء

في مخيلتها ولكن يصحبها انعدام في الرؤية وعدم وضوح للشيء أمامها، إنه يمر كالخيال مسرعاً ودون الوقوف على شيء، لمحاولة تحليل القليل من الأحداث المتراكمة رغم أنه لم تصل إليها بعد.

أنا لا نموت بكثرة التفكير، وأن الأرواح لا تهلك مع تقدم الزمن، والشيء البعيد لن نستطيع أن نحصل عليه سوى عند استعمالك

لمنظار حديث لكي يوحي لك بأن الشيء بحوزتك وكلما تقترب أكثر وتعيد النظر مرة أخرى، ستجد نفسك إنك حصلت عليه دون مساعدة المنظار وإنما لأنك سعيت كثيراً وكنت تجيد استعمال المنظار بالشكل الذي يضعك في الخانة التي تريدها، يغلب النعاس عليها من شدة إرهاقها لهذه الفترة التي تمر بها، وبهذه الأيام الأخيرة التي تفصلها عن مرحلة الحسم.

هدوء الليل وانجلائه، رقاد البلابل والعصافير في أعشاشها، أصوات نباح الكلاب، وأصوات عرير الصرصار تملأ جوف المكان، يهرب العالم إلى عقل شهرزاد لتري في خيالها إنه لا تمايل لأغصان الأشجار ولا انحناء لسيقانها، تشبث قوي لأوراق الأشجار على عروقها، يبدو أنها علامات تبشرها بأنها ستصمد إلى نهاية، المطاف ولن تتراجع خطوة واحد إلى الخلف، لتكتشف بعد فترة زمنية، إن الوقت الذي مر حينما كانت بعيدة عن حلمها، هو نفسه الوقت الذي كان كفيلاً بان يهبها شعور الرضا عن النفس إلى حد غير مسبوق وأجل غير مسمى

بعد انتقاضات عديدة والكثير من التقلبات على السرير، وهدوء الليل الذي لا يهدأ، وتلك السحابة التي أخفت نور القمر عن كوكب الأرض ، ليصمت كل شيء. يخطفها النعاس، لتغط في النوم مثل ميت في قبره المظلم، وكان الوقت لا يمر وكل شيء يرفض السير بجانبها في رحلتها ومسيرتها التي ستبدأ من حين

استيقاظها، كل شيء متعلقٌ بها وكأنها كانت تكمل كل الأشياء من حولها، حتى ذلك الأسفلت الذي ذرفت عليه قطرات من عرقها الذي كان يتسلل من جبينها وإلى أسفل قدميها ليرتطم بالأسفلت معلناً حالة من عدم الاستقرار.

تبدأ نسيمات الفجر بالتسرب من نافذة الغرفة إلى جميع أنحاء المكان، لعل تلك النسيمات تزيل ترسبات الأرق والقلق الشديدين اللذان أصبحا رفيقين لها في كل ليلة تفكر البقاء فيها وحيدة مع نفسها خالية من كل شيء.

يزداد اللون الأزرق في السماء، لون داكن يخبئ خلفه الكثير من الحكايات، ربما هذا اللون الذي يميل للأحمر من جهة ومن اللون البرتقالي من جهة أخرى، يخبئ خلفه شمس من الأمنيات وتحقيق غايات انتظرت منذ برهة، تبدأ الديوك بالصياح وحركت المركبات يصدع صوت مسيرها في كل مكان، والشوارع لا تتسع سوى للكلاب، والكل بدأ للسعي وراء رزقه وعمله وحلمه، بعد فترة زمنية لا تتجاوز النصف ساعة، تستيقظ على أرق كبير ومحاولةٍ لتهيئ نفسها للابتعاد عن المكان الذي تعلمت فيه كيفية الوصول إلى ما هي عليه والتقدم مراحل أكثر وأعلى، في مكان آخر يليق بكل التعب الذي خاضته لوحدها، تظهر في صالة المنزل وهي تجر حقيبة سفرها المليئة بخيبات الظنون والخوف المستمر في أن تفشل في أول مشوار لها، تلقي عدة نظرات سريعة لتجد أمها على فراش الصلاة

ترفع يداها وتدعي لها بالتوفيق وتسهيل الأمور عليها، وأن تبقى دائماً برعاية الله وحفظه بدعائها المستمر والنابع من تحت الركام. تحديق إلى أمها وتنظر إليها بكل حب وحزن وتودد بما تفعله لأجلها، تكاد الدموع أن تبدأ بالتساقط من عيناها، إلا أن شيئاً ما يقول لها: عليك أن تتظاهري بالقوة والصمود مثل جذع شجرة كسر وبقي يقاوم رغم عصف الرياح عليه .

تتقدم إلى الأمام، بضع خطوات قليلة نحو أمها، لتقول لها بعد أن أنهت صلاتها، تقبل الله يا أمي.

ترد الأم: منا ومنك صالح الأعمال، كيف حالك في هذه الأثناء أريدك أن تكوني أفضل وأقوى من أي مرة كنت عليها سابقاً، لا تقلقي ولا تكترثي لشيء، فكل الأمور ستمضي بخيرها وشرها.

شهرزاد: بالطبع يا أمي أنا بأفضل حال لا تقلقي علي، وسأكون عند حسن ظنك.

الأم: أصغ إلي جيداً فهذه ستكون رسالتي لك وأنت في الغربة بعيدة عني.

رسالة الأم إلى بنتها في الغربة: يا لغرابة السنين كيف تسير مسرعةً، ها قد أوشكت من الوصول إلى ما تريدين، الآن عليك التركيز أكثر من أي وقت مضى، لنترك الماضي للماضي ونبدأ بالحاضر الجديد، حاضر يشهد على قساوة الأيام التي مررت بها،

ولم يكن أحد بجانبك غيري وكان هذا واجبي كأمر وعلى كل
الأمهات أن يؤدبن أديارهن بإخلاص كبير وعليهن تقديم أرواحهن
على راحتهن وفي سبيل أن يروا أبنائهم قد حازوا مرتبة تليق بهم في
ظل هذه الظروف الصعبة التي نمر بها.

وأود الآن أن أقول لك بضع أمور عليك تجنبها وبضع منها عليك
أن تتبعتها بالحرف الواحد، أولاً عليك تجنب ما يلي: أن لا تسيري
خلف طريق الذكور ولا تتبعي خطاهم ولا تغريك أفواههم بما
تنطق فإن أكثر كلامهم يمدحون فيه أنفسهم وكأنهم ملائكة
منزل وهم من نواياهم مثل قرون الشياطين، وعدم اتباع طريقهم
لأنها كالسراب ليس لها ضمان ولا أمان.

وأيضاً لا تقبلي دعوات الخروج للتنزه مع أشخاص لا تعرفهم،
التزمي الصمت دائماً ولا تكثري الحديث عن نفسك أمام الناس،
فمنهم من لا يحب الخير لغيره من الناس، عليك تذكر شيء
واحد فقط، وهو أن هجرتك من بين أحضاني ومن بين عيني هي
لم تكن نزهة للاستجمام ولا لقضاء بعض الوقت الممتع، بل كانت
من أجل هدف انتظرتيه طويلاً وعانيت كثيراً من أجله، فلا تهدريه
من أجل قضاء وقت ممتع لدقائق معدودة وإضاعة فرصة من العمر
لا تعوض فإلندم حينها سيكلفك كثيراً.

والتزامك بالصلاة والدعاء، هي من أهم الأمور التي تكون مصدر حماية وغشاء من جميع الجهات وإن الله سيرسل ملائكته لتحرسك وتقوم بالحفاظ على سلامتك أينما وجدتني.

وارسخي في عقلك دائماً وإلى الأبد أنه لا موطن ولا مأوى بعد موطنك الأصلي، وإن هجرتك إلى بلاد غريبة، ما هي إلا لأسباب تخص مستقبلك وطموحاتك التي يصعب عليك تحقيقها في ظل هذه الظروف المعيشية والحياتية الصعبة والتي تمر بها جميع فئات المجتمع التي تنحدر تحت الطبقة المتوسطة من الدخل، ويصعب على المرء الاستقرار والحصول على السلام كباقي الناس، واعلمي أن خيمة تسكنها في موطنك الأصلي خيرٌ من قصر تسكنه في بلد غريب لا يوجد لك صلة فيه مع أحد ولا تعرفين فيه شيء.

تنظر إلى أمها بكل حقدٍ وتمعن وبذلك الأسلوب الذي جعلها تصغي إلى كلامها جيداً وتتمعن بجميع الكلمات التي خرجت من قلبها قبل أن تلفظه على لسانها، قشعريرة تصيب جسد الفتاة ليهتز ثباتها وتصحو على نفسها بعد أن حدقت كثيراً بأمها وبالكلام الذي نطقت به كوصية أخيرة لها.

ترد على أمها وهي ترتب الكلمات داخلها: كلمة شكر لا تكفي لوجودك بجانبني وكثيراً ما انسى أنك أمي لأنك دائماً كنت تتعاملين معي وكأنني صديقتك المقربة وأكثر، أنت هبةٌ من الله

وأشكر الله عليها، وامتناني الشديد لك في كل لحظة ظننت فيها أنني كنت لوحدي، لقد كانت الأيام قاسية حقاً لكن وجودك إلى جانبي كان دائماً يفوق حجم الألم الذي بداخلي ليحوّله إلى سلام، تطيل النظر إلى أمها، بعين حادة كالسيف وأكثر لتتمعن بكل زاوية في وجهها، لتسرق بعض من ملامحها الجبارة والتي تشير إلى القوة والثبات، تلتصق بخا لتقوم بمعانقتها كطفل صغير لا يعرف معنى الراحة والأمان إلا وهو في أحضان أمه ذلك الموطن الذي لا يهزم فيه أحد، تميل رأسها على كتف أمها لتغفو قليلاً وتشحن جسدها وروحها بشحنات إيجابية وطاقات تتحمل ألام ومشاق كبيرة، يمر الوقت إلى أن تقف عقارب الساعة على الرابعة ونصف صباحاً، أي ما قبل أن يتبين الخيط الأبيض من الأسود، لم يتبق الكثير من الوقت أمامها، ويجب عليها المغادرة في هذه الأثناء، تبدأ في الملمة نفسها بالانفكاك رويداً رويداً من العناق الذي جعلها بحالة اطمئنان إلى زمن طويل وشحنها بطاقات ودوافع إيجابية إلى النجاح والتقدم أكثر من المرات السابقة.

تقول لأمها: علي المغادرة الآن يا أمي واجعلي دعائك رفيق دربي وصديقي في هذا الطريق الطويل، تبادل لقبلات الوداع بين الأم وشهرزاد، لتسير الآن تتجه إلى باب المنزل لتغادر بهدوء تام، ودون إحداث أي ضجة في المكان حيث القرص الشديد في الخارج.

تقف في الأجواء المظلمة والمخيفة ولا أحد في الشارع سوى الكلاب المشردة، وبعض من القطط والجرذان، تنتظر بإحدى المركبات التي تمر من هذا المكان، رغم أن الوقت متأخر جداً والجميع يخلد في النوم، سوى الأشخاص الذين أجبرتهم ظروفهم على عدم الوقوف على عمل واحد ولساعةٍ محدودة، بل المواصلة في العمل إلى حد غير معروف وليس لهؤلاء الأشخاص عمل آخر سوى أن يزيدوا من كسبهم للمال بكل تعب وجهد، لكي يشعروا في آخر يومهم، إنهم قد حصدوا رزقهم بعرق جبينهم.

على الجانب الآخر من الاتجاه الأيسر للشارع الذي تقف عليه شهرزاد، تمر مركبة تحمل لوحة صفراء، يعتلي سقفها قبةٌ مصنوعة من البلاستيك المقوى، مكتوبٌ عليها taxi باللغة الإنجليزية، تؤشر بيدها لتوقف المركبة وتصعد بها إلى المطار، تتوقف المركبة جانباً عن الطريق، ويخفت السائق إنارة الأضواء، ليفتح نافذة الإغلاق المركزي، ويبدأ حديثه بوجه العابس وعيناه المطفأتان لقلة نومه.

السائق: إلي أين تريدان الذهاب؟

شهرزاد: إلى المطار، هل ستقوم بإيصالي؟

السائق: حسناً هيا اصعدي وسأقوم بإيصالك بأسرع وقت ممكن.

شهرزاد: لم ترد على السائق لكي لا تسرف الوقت وتطيل في الحوار. تصعد إلى المقعد الخلفي ويكمل السائق مسيره.

تقترب الساعة الآن إلى أن تصل الخامسة صباحاً، ليوشك السائق من الوصول إلى المطار وتحاول شهرزاد أن تجاهد على نفسها بالصمود والبقاء بكامل قواها الجسدية والذهنية، رغم أنها ليست بحالة جيدة، لكن هذا الوقت سيمضي مهما كان صعب.

ها قد وصلت المركبة إلى المكان المطلوب، المطار، ليتوقف السائق، وتقول له شهرزاد: كم الإيجار من فضلك؟

يرد السائق: كما تشائين فلتكن منك كافتتاحية خير لهذا اليوم.

الفتاة: في الحقيقة أنا لا أصعد كثيراً في المركبات، لكن سأعطيك على حسن نيتي.

السائق: لا بأس كما تشائين.

الفتاة: تخرج من محفظتها مبلغ بقيمة خمسة عشر ديناراً، لتمد يدها نحو كتف السائق وتقول له تفضل.

السائق: شكراً لك.

تغادر الفتاة المركبة لتظهر بأكمل وجه وهي تقابل المطار بضخامته وكبر حجمه وعظمته، لتغزوا أطرافها قشعريرة مليئة بالرهبة من هذا المكان.

تسير نحو باب المطار، بضع خطوات قليلة ما يقارب ثلاثين قدماً أو أقل بقليل، لتقوم بالذهاب إلى قاعة المغادرين، لأن أوراقها قد جهزت

من قبل موظف وزارة التربية والتعليم والذي بدوره كان مسؤولاً عن المنح الدراسية خارج البلاد ولجميع الطلبة المتقدمين، قاعة المغادرين تجر حقيبتها البسيطة والتي كانت من إحدى صديقاتها، لأنها لم تكن تملك المال بما يكفي لشراء حقيبة جيدة تليق بالمسافات التي ستقطعها .

تبدأ بالسير في المكان وهي تنظر بكل تمعن في الأرجاء المحيطة بها وبتلك الآلات الحديثة التي تقوم بالإجراءات الكاملة للمسافرين دون أن يشعروا بالتعب والمشقة، اقترب موعد المغادرة ولم يتبق سوى نصف ساعة، ما زالت تسيير إلى أن جلست الآن على إحدى المقاعد التي صنعت خصيصاً للمغادرين في صالة المطار، لحين أن يأتي دور طائرتها، تحمل في يدها جواز السفر وتذكرة الطائرة، تهز برجلها وتنتظر أن تمر تلك الدقائق المتبقية بفارغ صبرها، ثم يتبق سوى عشرة دقائق، تتوجه إلى المكان المخصص للمسافرين لتعطيه جواز سفرها وتذكرة الطيران، تنتظر قليلاً بضع دقائق وهي تقف على قدميها ليقوم بإعطائها تذكرة أخرى ورقم المقعد الذي ستجلس عليه بالطائرة، تجر حقيبتها، لتصل إلى جهاز فحص المعادن بأنواعها والتي بدورها تقوم بفحص الأشخاص المغادرين وإذا كانوا يحملون معهم أدوات حادة أو ما شابه ذلك .

يأتي دورها لكي تقف داخل غرفة صغيرة مفتوحة على جميع الاتجاهات، تملؤها أجهزة صغيرة وكاميرات مراقبة تقوم بدورها

بإخراج إشعاعات لفحص المعادن، تدير نفسها داخل غرفة جهاز فحص المعادن، لحد هذه اللحظة لم يصدر الجهاز أي صوت إنذار عن وجود أدوات حادة، إذاً الأمور على ما يرام، تخرج من الغرفة لتباشر بالمغادرة من البوابة إلى ساحة المطار التي تتواجد فيها طائرات المغادرين.

في ساحة المطار تسيير وهي على عجلةٍ من أمرها، وبعض من الأحلام الخيالية التي خطط لها منذ زمن بعيد، والآن تبقى آخر خطوة لتحقيق هذه الأحلام جميعها.

لأول مرة تشعر شهرزاد بشعورين مختلفين، الأول هو شعورها بالخوف والثاني شعورها بالنجاح وإنما تسيير بالشكل الصحيح، تفسير الأول هو خوفها على أسرتها وأمها وإخوانها وأيضاً خوفها من فقدان شخص آخر بعد أن فقدت أباهما، والثاني نجاحها الذي بات بالتطور رغم كل هذه الظروف ولم يسقط أمام أي عثرة أو حاجز سواء كان نفسي أو مادي فهي كانت تسعى جاهداً من أجل أن تصل إلى ما تريد بشتى أنواع الطرق والوسائل. وتحليلها للأشياء وبكل هذه الظروف التي مرت بها، جعلها تشعر بالنجاح والرضا عن النفس قليلاً رغم مرارة الأيام سبق وأن ذكرت بين تلك السطور والعناوين.

ويعد سيرٍ لم تتجاوز فترته خمس دقائق، لتكون قد وصلت إلى سلم الصعود إلى الطائرة، تنظر بنظرات هولٍ واستغراب، حالة من

الدهشة تصيبها وهي تحديق في الناس من حولها وفي الثراء الذي ينعمون به ويملابسهم الفاخرة وحقائبهم الفريدة من نوعها، وتحديق في نفسها متأسفة على سوء مظهرها ولباسها البسيط الذي لا يتناسب مع أولئك الناس، لكن لا بأس ربما هدفهم لقضاء بعض الوقت والاستجمام مع القليل من النساء وإسراف أموال لا فائدة من وجودها، لكن هدفها معروف وواضح وسيقدم الكثير لها وللكثير من الأشخاص وسيكون ذو منفعة وفائدة كبيرين.

قد وصلت إلى باب الطائرة تباشر بالدخول إلى المكان الذي يخطف الأنفاس، نظرة مليئة بالدهشة والاستغراب في جميع أرجاء الطائرة من الداخل وأيضاً إلى المضيفات ذوات المظهر الحسن، يبدو الآن إنها انتقلت إلى مرحلة العالم الآخر.

تقف شهرزاد على قدميها وهي تتنأب من قلة نومها وعدم أخذها قسط من الراحة يساعدها في إكمال هذا اليوم على أكمل حال، تتقدم بضع خطوات قليلة لتقف عند نافذتها المطلة على خراب الحي وبساطته، المهم أن تلك النسومات التي تفوح رائحتها بالراحة والاطمئنان، وشعور بعدم الخوف من شيء سوى التقدم وإتمام كل الأشياء التي تريدها، تتراجع إلى الوراء، لتخرج من غرفتها بحالة من الطمس والهزل، متوجهة إلى المغسلة لترشق بعضاً من الماء على وجهها، محاولة إزالة الأرق والخمول الذي يستقل على ملامحها التي باتت تميل ما بين الضعف والقوة وشعور الهشاشة من كل

شيء، تنهي عملية التغميل لتنظر في المرآة المقابلة لها، وتقول في نفسها، المظهر لا يهم كثيراً، فإن كان ما أقدمه عظيماً في عيني وعين من يهتم به، فهذا بالنسبة لي من أولى الأمور التي سترافقني إلى النجاح، فالنضج والجمال يجب أن يكونا في الروح والعقل، لكي ينتجا أفكاراً أعظم من أولئك أصحاب الوجوه الجميلة والأيدي المرفهة والتي لم تذق من مرارة هذا العالم شيء.

وإنني أقول دائماً، بأني الفتاة التي ستحصل على ما تريد حتى لو كان في أبعد بقاع الأرض، ولهذا اللحظة وأنا أثق بكل خطوة أخطوها تكون مليئةً بالحسابات الدقيقة، تبدأ بتجهيز أغراضها وجمع كل الأشياء التي ستصحبها في رحلتها، وبعض التذكارات الجميلة التي كانت مع أناس قرييون منها إلى أبعد الحدود، تطيل النظر في جميع أرجاء غرفتها وبكل زاوية تضع فيها صورة تجمعها بشخص مقرب لها وفي إحدى الزوايا تتجسد صورة لها هي ووالدها وقد مضى على هذه الصورة أكثر من خمسة عشر عام، لكن ما زالت تشعر وكأن هذه الصورة التقطت اليوم.

تحمل حقيبتها لتخرج من غرفتها وهي تستدير إلى ما خلفها من ذكريات مؤلمة وما قاومته كثيراً داخل هذا المكان البسيط، تنظر إلى وسادتها التي لو سمح لها بالنطق، لشهدت على مرارة الأيام التي مرت بها وهي بحالة من الأزل وعلى تلك الدموع التي أذرفت في ساعات متأخرة من الليل بينما كان الآخرون ينعمون بأجواء

من الرفاهية ، ما زالت تنظر بكل استغراب، والعديد من الناس يقفون خلفها ينتظرون دخولها إلى مقعدها لأنه لم يتبق وقت للإقلاع، مضيضة الطيران تتحدث إلى شهرزاد وهي ما زالت تحرق بسهواً وكأنها بعالم آخر، ترفع المضيضة نبرة صوتها لتقول: من فضلك فلتتفضلني بالجلوس إلى مكانك لأنه لم يتبق الكثير على الإقلاع وهناك الكثير من الناس يقفون وراءك ينتظرون بدورهم للدخول.

وكان أحداً قام بضربها مطرقة على رأسها، لتصحو من غفلتها وتقول: أنا آسفه لكن جمال هذا المكان قد سلب انتباهي وتفكيرني به.

المضيضة: لا بأس، اعطني تذكرة الطيران لكي أستطيع اصطحابك إلى المقعد الذي ستجلسين عليه.

شهرزاد: تفضلني، تسير المضيضة أمام الفتاة لتوصلها إلى المقعد المناسب لها وبحسب تذكرة الطيران، المضيضة: تفضلني بالجلوس.

شهرزاد: شكراً لك.

تغادر المضيضة المكان لتعود إلى عملها وتبقى شهرزاد وحيدة بين حرب طاحنة داخل أفكارها وعقلها، وتلك الأحداث التي لم تهدأ منذ زمن واستنزفت الكثير من شغفها وحبها للمجازفة على رمق واحد.

الآن قد امتلأت الطائرة بالركاب وحن موعد الانطلاق، ليبدأ جهاز مكبر الصوت بالمناداة على الركاب، الرجاء وضع حزام الأمان واتباع جميع تعليمات الأمان.

يبدأ الطيار بتشغيل طائرته للانطلاق إلى رحلة طويلة في فضاء الجو وبين السحاب، تبدأ الطائرة بالسير بسرعة فائقة، ليباشر كابتن الطائرة بالإقلاع إلى الجو والسحاب الذي يحمل كم هائل من الجمال.

في الطائرة ذبذبات كثيرة في رأس شهرزاد، تميل كتفها بانحناء رأسها على نافذة الطائرة المطلة على المنظر الخلاب والطبيعة الساحرة، ومنظر السحاب اللافت والمعلق في جوف السماء كأنه مصابيح تنير غرفة دامية الظلام، تبدأ الدموع بالانهمار وحالة من عدم السيطرة تستقل في شهرزاد، تحاول موازنة نفسها وعدم لفت انتباهها للأشخاص الغرباء المحيطان بها، لكن صوت البكاء يرتفع بتزايد مع انهمار الدموع، تلتفت إحدى مضيفات الطائرة لتخطو نحوها بضع خطوات قصيرة، المضيضة: يا أنت ما اسمك ولماذا تبكين؟

شهرزاد: بلهجة مليئة بالضعف والبكاء، اسمي شهرزاد، ولا شيء سوى أنني اشتقت لأمي وأسرتي ولا أريد أن أجرب شعور الفقد مرة أخرى.

المضيضة: لا تقلقي يا عزيزتي فالحياة هكذا ترغمننا على حوض الصعاب والتحديات وتقدم لنا اختبارات مليئة بالأشواك والحواف الزجاجية، وعلينا المقاومة إلى آخر رفق وعدم الاستسلام مهما كلفنا الأمر وسعاً، وأيضاً أمك ستكون بخير وستقوم برعاية إخوانك جيداً، فهي الأم ولا تحتاج وصاية على نفسها وعلى من تربطهم بها علاقات روحانية، فهي تحت حماية الله، والله يستجيب لدعائها ولا يخيب ظنها حين ترفع يداها ويستجيب بأمور قد صعبت عليها فالجنة تسير من تحت قدميها، شهرزاد تسودها حالة من الهدوء والسلام الداخلي: معك حق في كل شيء قلتيه لكن قد مضى الكثير على هذا ومنذ أكثر من ثلاثة أعوام وأنا أسعى وراء أحلامي وطموحاتي، وأخاف أن يخيب ظني وأفضل بعد كل هذا السعي والمجهود الكبير، وأيضاً لا أريد أن يخيب ظن أمي بي، فأنا أملها الوحيد الذي بقي لديها.

المضيضة: عليك دائماً أن لا تفكري كثيراً وألا تجرّك خيوط مليئة بالفشل والضعف وعدم الاستقرار، إلى أفكار سلبية وحسابات تخرجك عن الوضع الطبيعي للانكسار والخذلان، عليك دائماً التحلي بالصبر والتفاؤل رغم كل شيء، والمقاومة كراراً وتكراراً دون مللٍ أو كلل حتى تستطيعين الوصول إلى كل الغايات التي أردتها، وحلمت بها.

بعد حوار طويل بين شهرزاد والمضيضة، بدأت حالتها بالاستقرار والهدوء والشعور بالاطمئنان، وكان كل التعب الذي كان بداخلها مثل شعرة صغيرة وقعت داخل وعاء مليء بالعجين، ليرى إحدى المارة هذه الشعرة ويقوم بإزالتها بكل سهولة خوف من أن تتسبب في إحداث الضرر لأحد، وهكذا هي يمر الوقت وكان عقارب الساعة في حلبة سباق، لم يتبقى على الهبوط سوى ساعتين، تكاد أن تنتهي، لأنها لم تحصل على قسطٍ كافٍ من الراحة، لكن لا بأس ستحاول جمع قواها.

إلى أن تنتهي رحلتها وتكون قد وصلت إلى المكان الذي ستستقر فيه وحينها يكون قد بدأ العد التنازلي ولحظة اقتراب الشعور الذي كان مختبئاً منذ أعوام، وهو شعور النصر المليء بالفخر، تقول شهرزاد: أن الإصرار على الشيء وطلبه أكثر من مرة هو أحد الدوافع للنجاح وهذا يعزز من زيادة فرصة الحصول على الشيء مهما كانت صعوبته ومهما كانت قيمته، وعلى كل فتاة تترقد في فراشها الدافئ وتحمل في يدها هاتف ذا جودة عالية وتتصفح عليها شبكات التواصل الاجتماعي وتكتفي بمراقبة الناس والنظر إلى إنجازاتها، أريد أن أوجه إليك بضع كلمات، لكن أصغي إليّ جيداً وتمعني ما سأقوله لأنه سيكون من شأنك، الوقت الذي تقضيه وأنت جالس دون فائدة أو منفعة تستطيع من خلالها التعرف على نفسك، هو نفسه الوقت الذي ستستغله بشيء يزيد من قدراتك

النفسية أو العقلية أو لربما قد تكون تمتلك إحدى المواهب البسيطة والتي تحتاج إلى تنمية فكرية وعملية، لكن كلما زاد جلوسك كلما زادت نسبة الخمول داخلك وفي كل مرة تهمش فيها مواضيع مهمة كهذه، تكون قد سببت الدمار لنفسك وقمت بتناول سم بطيء والذي بدوره يقوم بقتل الشغف الصغير الذي كان بداخلك ولم تقوم بإعطائه حقوقه أو فرصة واحدة.

سأقول مجدداً، لا تقوموا بقتل أحلامكم بكثرة جلوسكم دون القيام بأعمال مفيدة أو تقديم منفعة شخصية تعزز من قيمكم الاجتماعية والنفسية والمعنوية أو حتى على الصعيد الشخصي، فكل شيء عائد لكم، لا للكسل.

لم يتبق الكثير من الوقت للهبوط في مطار أكسفورد، تهيئ نفسها وتقوم بتفقد أغراضها الشخصية، تفتح محفظتها لتلقى صورة لأختها الصغيرة، تحديق بشكل غريب، تراجع لحظاتها الجميل مع أختها التي تملك ضحكة بريئة خالية من ذنوب البشر وأثامهم ببعضهم البعض، حالة من الحنين والشعور بالفقد وحالة من النقص.

غرقت عيون شهرزاد وحالة من عدم الاستيلاء على النفس، وشعور بسيط يفصلها عن عويل شديد، لكنها في لحظة قصيرة تسترد قواها وتغلق محفظتها لتضعها في حقيبتها وترفع رأسها الذي كانت توطأ وهي تتمعن تفاصيل وملامح أختها، ومحاولتها

للشروود مع أفكارها وخيالها الواسع الذي كان يخلق لها دائماً لحظات جميلة لكنها لا تمت للواقع بصلة.

اقترب الطيار على الوصول وأوشكت الرحلة على الانتهاء، لم يتبق سوى عشرة دقائق لتهبط الطائرة في المكان المطلوب وهو مطار أكسفورد والذي منه ستبدأ حياة أخرى، يستعد الناس للهبوط وشعورٍ أشبه بالغثيان يلمُّ بكل من في الطائرة، بينما شهرزاد تُتمتم ببعض الأدعية التي علمتها إياها أمها قبل أن تغادر المنزل، يقوم الطيار الآن بعملية الهبوط بالطريقة التي يعرفها وهو يسحب ذلك المقود ويضغط على ذلك الزر بطرقٍ فنية، وهو يحمل في عنقه أكثر من مئة روح بريئة لا ذنب لها إن أخطئ في عملية الهبوط والوصول بسلام.

تهبط الطائرة الآن وما زال الجميع بسلام وكل من يجلسون بجانب النوافذ يطلون رؤوسهم من خلف زجاج النوافذ وهم فرحون على وصولهم بسلام. تلك المناظر الخلابة التي غمرتهم بالفرحة الشديدة والشعور بالأمان.

بعد هبوط الطائرة ووصول الجميع بسلام ، يُفْتَحُ باب الطائرة ليبدأ الناس بالنزول، وليغادر كل منهم إلى المكان الذي يريد، تقف شهرزاد قليلاً عند الباب واذ بها نسيمات لطيفة لفت وجهها الرطب ولملمسها الناعم، ليهتز ثباتها ويرفرف شعرها مثل أعلام السلام، الجو مختلف، حتى الهواء يوحي بالأمان والاستقرار، لا يوجد هنا

أنواع من الناس الذين يحبون التدخل في شؤون الآخرين والتخريب عليهم، لا يوجد ازدحام للمركبات ولا نباح للكلاب، يستطيع المرء أن يعيش بسلام وأن ينعم بحياة بسيطة بعيدة عن نعمات البشر، يزدحم الناس خلف شهرزاد مثل أول مرة صعدت بها، لتبدأ بالنزول عن السلم الحديدي.

تجر معها حقيبتها لتقف على الإسفلت مجدداً تحت سطوع الشمس العالي ودرجات الحرارة الملتهبة، لكن هذا الإسفلت يختلف تماماً عن ذلك الذي كانت تقطع عليه أميال بعيدة ومسافات شاقة لكي تستطيع الوصول إلى ما هي عليه الآن وقد دونت جميع أحداثها عليه وكل تلك القطرات التي ذرفت منها بفرح أو ترح، وسيبقى هذا الأسفلت للنهايات الجميلة والمسافات التي ستُكرس لأجيال أخرى لتكون عبر جميلة توضع في نهايات الخواتيم.

يزدحم المكان أمامها لتبدأ بللممة نفسها والمباشرة بالسير بسرعة بديهيه، تقوم باللحاق بالناس الذين يسيرون أمامها لكي تستدل على طريق الخروج والمغادرة، تسير خلف أفواج كبيرة من الناس، لتكون قد أوشكت على أن تغادر المطار. تستمر بمسيرها وهي على عجلة من أمرها، لتكون الآن قد وصلت إلى الشارع العام.

حرارة الشمس شديدة جداً، ورطوبة في الطقس غير عادي، لم تعتاد على أجواء كهذه من قبل، دائماً كانت تعيش بين أجواء معتدلة،

لكن الجو هنا مختلفٌ تماماً، يسيل العرق من وجهها وتزداد خدودها احمراراً لنصوع بشرتها البيضاء.

تضع يدها على شكل حد السيف لتحمي نفسها قليلاً من درجات الحرارة، وتخفف من حالة الصداع الذي أصابها، تؤشر بيدها إلى إحدى المركبات العمومية، تتوقف مركبة بجانبها، لتقوم بسؤال السائق باللغة الإنجليزية :

أريد الذهاب إلى جامعة إكسفورد؟ هل بإمكانك إيصالني.

السائق: بالطبع، هيا اصعدي ولكن تكلفة الإجار خمسة عشر دولاراً.

شهرزاد: حسناً لا بأس.

تصعد إلى المركبة، ليباشر السائق بالمسير إلى المكان الذي طلبته منه. في المركبة تتأمل بأرجاء المكان وبكل الأشياء الحديثة والتقنيات المتطورة، وبجهاز GPS الذي يكون متصلاً مع كومبيوتر المركبة والذي بدوره يحدد المكان المطلوب مهما كانت المسافة بعيدة، وتشتم رائحة من العطر الزاهي والباهظ الثمن لكنه يجلب سلعةً جيدة لسائق المركبة، تطل رأسها من النافذة وهي تهجد يدها على الحافة وتضع رأسها على يدها مع انحناء عنقها ورفع رأسها إلى السماء، متفائلةً بالخير والنجاح رغماً عن الظروف السيئة التي خاضتها سابقاً ولم يمض وقت طويل لتكون قد

تناستها بالكامل محاولتها فتح صفحة بيضاء خاليةً من الهموم والأحمال الشاقة التي تمزق الروح قبل الجسد.

اقتربت المركبة من الوصول إلى جامعة أكسفورد، وشهرزاد كانت تغضوا قليلاً عن العالم الافتراضي الذي لطالما كان يضعها دائماً في خاناتٍ سلبية ودواماتٍ كبيرة مليئةً بغبارٍ محملٍ بخيبات الظنون.

يوشك السائق على التوقف ليعلم شهرزاد بأنه سيتوقف في المكان الذي طلبته منه وهو (جامعة إكسفورد) تعدل جلوسها في المركبة وتجهز نفسها على أكمل وجه للخروج والتوجه إلى حرم الجامعة الكبير والتواصل مع الجهات المختصة بالطلاب الذين يحملون معهم منح دراسية لتنمية مواهبهم ومهاراتهم.

تتوقف المركبة الآن، لتخرج الإيجار من حقيبتها وتمد يدها عند كتف السائق، تفضل من فضلك، السائق يرد ببهجة وسرور: شكراً لك تفضلي بالخروج وكنتي في أمان الله، ترد الفتاة عليه بعد أن خرجت من المركبة، كان الله معك، إلى اللقاء، تغلق باب المركبة ليتحرك السائق وتدير ظهرها لتجد نفسها تقف أمام مكان ضخم مليء بالكثير من الأمور والمعتقدات التي كانت تشاهدها على التلفاز وشاشات العرض ولم يسبق لها أن رأتها على الحقيقة.

تسير بخطواتٍ مرتبكة وخوفٍ شديد وحالة من التوتر وهي تحديق بالأشخاص من حولها وتنظر إلى الفتيات العاريات وآخرون

يحتضنون بعضهم وعاشق مع عشيقته يجلسون على الدرج ويتبادلون القبلات بحرارة عالية، الجو هنا لا يوحى بالأمان!

كيف لها الآن أن تطلب من أحد الشبان مساعدتها لحصولها على أمرٍ معين لأنها تجهل كثيراً في هذه الأمور ولم تعتاد أن تراها على أرض الواقع ولا حتى على التلفاز، الوضع مزرى للغاية.

تقف شهرزاد بحالة من الارتباك والخوف الشديدين وهي تسير بخطواتٍ مرتببكه وتصاحبها تيارات مليئة بالخوف والذعر الشديدين وحرارة عالية في أنحاء الجسد واحمراراً في الوجه، تضع أصبعها في فمها ويدها ترجف بحالة من الهلع.

أنه العالم السفلي، يا لبشاعة المنظر!

تشمئز قليلاً لتبدأ بحوار داخلي عميق ومُطَوَّل، محاولةً استنتاج حال تجدي به نفعاً لنفسها، وتخرج من وضعية التوهان التي هي به الآن

تبدأ بالسير، هناك بعيداً أمام عينها مباشرةً شابٌ وسيم طويل القامة يلبس لباس أنيق يدل على أنه باهض الثمن، يمتلك ذقن خفيفة وفك عريض، يرتدي نظارته الشمسية ويقف مع زملاءه في الجامعة، تحديق به لغضون ثوانٍ لتشعر بالراحة تجاه هذا الشاب ويراودها شكٌ بأن هذا الشاب عربي الأصل أو له عرق عربي.

بعد مشيٍ لم يتجاوز العشرون متر تقترب شهرزاد من هذا الشاب،
لتقول له: هي يا أنت من فضلك؟

الشاب يلتفت بنظرات مليئة بالدهشة والتعجب: هل أعرفك
لتنادي علي بهذه الطريقة، ومن أنت؟

تحقق به مجدداً وتستحوذها لحظات من الصمت والانفجاع لأن
الشاب تكلم معها باللغة التي تعرفها، أحست بشعور الأمان تجاه
هذا الشاب وإنما تستطيع أن تستنجد به في بعض الأمور التي
تجهلها.

تعود للحوار معه: هل أنت عربي؟ وأنا حقاً أريد المساعدة لأنه هذا
هو يومي الأول في هذه الجامعة وفي الحقيقة لن أمكث طويلاً ولا
أريد أن أدرس بها، لكن وزارة التربية والتعليم في منطقتي التي
أعيش بها، قامت بالإعلان عن منح للطلاب الذين لديهم اختراعات
وابتكرات في أمور معينه وكل واحدٍ منا تختلف فكرته عن الآخر
وكما تعلم أن جامعة أكسفورد هي من أفضل الجامعات في مجال
الأبحاث.

إمعان النَّظَرِ من قبل الشاب في شهرزاد ويكل كلمة نطقها بشفاهِ
بريئة، يستأذن الشاب من أصدقائه باللغة الإنجليزية، لأنهم لم
يفهموا شيء من اللحظة التي بدأت بالتكلم معه.

الشاب يرد على شهرزاد: في الحقيقة أنا من أب عربي الأصل من
الجزائر وأمي من روسيا، لكن ولدت وكبرت في بريطانيا، وأتحدث

العربية بشكل جيد، وسأقوم بمساعدتك بكل شيء تريدينه، أتمنى لك التوفيق في الابتكار الذي ستظهرين به قريباً.

شهرزاد: تشعر بالأمان وكأنها تجلس على أجنحة الملائكة، شيء جميل لفت انتباهي بك وهو أنك ما زلت تتقن لغتك العربية جيداً، وإني أرى أن أخلاقك وشهامتك العربية لم تتغير وتتأثر في أجواء هذا المستنقع الذي يعج بالأوساخ والرذيلة، وسررت بمعرفتك جداً.

الشاب: ألا تريدين أن تعرفيني على نفسك؟ وأن أردت أيضاً قومي بتسجيل رقم هاتفي عندك، لربما تحتاجين شيئاً، فقط قومي بالاتصال على هذا الرقم.

شهرزاد: حسناً سأعرفك، أنا من تونس واسمي شهرزاد وانتمي لأسرة من الطبقات البسيطة والفقيرة، ولقد فقدت والدي منذ سنة تقريباً، ومنذ طفولتي وأنا أحلم بأن أكون شيء مختلف عن باقي الناس، ليس فقط في هذا البحث والابتكار بل بأشياء كثيرة، لأنني في الحقيقة، قمت بإجبار نفسي على أمور أكبر مني حجماً وعمراً ولقد أنهك كاهلي وكسر ظهري، لكن رغم كل هذا ما زالت مستمرة إلى هذه اللحظة التي أقف معك فيها.

الشاب: قشعريرة ونشفاً في الريق وحالة من الانبهار والتعجب، ينظر إلى شهرزاد بكل عطفٍ وقلّة حيلة، ليقول لها: ليس لدي ردّ على كلامك، سوى أن أبرح في البكاء من كلام كهذا لو سمعته

الجمال لوقعت احتراماً لك، في الحقيقة أنا أقدر جهودك من خلال انتمائي الشديد لتلك الحروف والكلمات النابغة من خلف تعب شديد، وسأقول لك أن تبقيين مستمرة على نفس الطريق الذي تسيرين عليه، وان تزيدي بالإصرار أكثر من أي مرة أخرى، لأنه وعلى ما يبدو قد بلغت أحلامك عنان السماء، فليس عليك الاستسلام.

ينتهي الحوار الآن، لتعود كل ذاتٍ إلى صاحبها وتصحو شهرزاد من الانسجام التي كانت عليه، لتقول للشاب: وداعاً أعتن بنفسك، أراك لاحقاً.

تسير مطأطأة رأسها بالأرض، باحثة عن المكان الذي يسكن فيه الطلاب الذين قَدِموا إلى هذه الجامعة عن طريق المنح الدراسية، ما زالت تسير بنفس الحالة، وإذا بها تصدم بإحدى الأشخاص المارين من نفس الخط الذي تسير فيه ومن شدة سرحانها وخفضها لرأسها، اصطدمت دون وعي أو قصدٍ منها، بشخص غريب أو أجنبي، لتقول لها مسرعةً بعد أن صحوت على نفسها، المعذرة أنا آسفةٌ جداً، الأجنبي لا عليك فربما الخطأ مني أيضاً.

شهرزاد: لكن أخبرني أين هو مكان إقامة الطلاب الجدد، الذي جاؤوا إلى هذا الجامعة عن طريق المنح.

الأجنبي: يا لها من صدفة، أنا هو مسؤول هؤلاء الطلاب وأنا الذي من سيقدم لهم محاضرات توعويه في كل يوم، وعلى مدار عشرة

أيام، إلى اللحظة التي ستعلن فيها الجامعة عن بدء استقبال البرامج أو الابتكارات التي سيقدمها الطلبة المتقدمين.

شهرزاد: إذاً من فضلك رافقني إلى المكان الذي سأقيم بداخله، لأنني متعبه للغاية، وأريد اخذ قسطاً من الراحة، معك حق لقد كانت صدفةً جميلة جداً، لأنني تعرفت عليك في هذه الحادثة البسيطة.

لا بأس بما حصل، تسير شهرزاد مع الأجنبي (مسؤول المنح الطلابية) ليذهب بها إلى المكان الذي بحثت عنه منذ وصولها، بعد مكثٍ طويل على الأقدام، يصل الأجنبي إلى المكان المطلوب، عبارةً عن شقق سكنية لكلٍ من جنس الذكور والإناث، مكان يعج بالجمال والرونق العالي، ينتشر الورد في جميع أنحاء المنطقة والطيور تحلق في السماء بكل حرية تامة، لا أحد يؤدي الآخر الجميع يبحث عن السلام.

أمام المبنى، تُظَلِّلُ الدهشةُ على عينيها، لتشعر بأنها خُلِقت من جديد، يلجم لسانها عن النطق كأنها طفل صغير في ساعات خلقة الأولى على هذه الحياة، يتحدث الأجنبي إليها: يبدو أن المكان لفت انتباهك بشكل كبير.

شهرزاد: في الحقيقة لم أكن أشاهد مثل هذه المناظر إلا في الأفلام وعلى قنوات التلفاز الحديثة، ولكنني سعيدة جداً لوصولي إلى هذه اللحظة التي يحلم بها الجميع، وعلى من يريد أن يقف في المكان

الذي أقف فيه أنا، عليك أن تبذل قصارى جهدك وأن تُغمس نفسك في بئر الصعاب والتحديات، وألا تنظر للقاع لئلا تغريك قرب المسافات وتُهوي بك إلى الهاوية.

الأجنبي: أتمنى أن تستمعي بوقتكم وترافقك السلامة أينما وجدت وأن لا يهدر هذا التعب فرائاً، وهيا لنصعد إلى الأعلى لأعرفك على الغرفة التي ستقيمين بها، وأيضاً إلى المكان الذي سنتواجد فيه أنا وأنت وباقي الطلاب لنتكلم عن التحفيز وأعطيك بعض من الدروس للنجاح.

تصعد برفقة الأجنبي من الباب الرئيسي للمبنى الشاهق، إلى المصعد المصنوع من الزجاج المقوى والسميك المصفح والذي يطل على منظر طبيعي خلّاب، يعطي راحة للعين لكل من نظر إليه.

بعد ثوانٍ قليلة ليتوقف المصعد، وينزل الأجنبي منه أولاً وتخرج الفتاة ويباشر بالسير بين ممرات الطابق الأخير في المبنى والذي يوجد فيه قاعة للمحاضرات وصالة للياقة البدنية وبركة سباحة تطل على اخضرار المكان وازدهاره الثقافى والاستقرار الذي ينعمون به سكان المنطقة.

الأجنبي: يصل إلى غرفة رقم ١١١ يقوم بفتح الباب عن طريق بطاقة إلكترونية تشبه الفيزا كارد أو ما شابه ذلك، يُفتح باب الغرفة لتدخل الفتاة أولاً.

ها وقد دخلت شهرزاد إلى الغرفة، تسير بكل بطئٍ وعلى أقل من مهلها بقليل وهي تحدق في أرجاء الغرفة والسقف والجدران، تتلمس من السرير والخزانة والفرش الحريري، كل شيءٍ مختلفاً هنا، تماماً عن الذي كانت تراه وتعيش معه في منزلها وبين أسرتها وعالمها البسيط، لا شيء يستطيع وصف فرحتها بالذي تراه، وان حالها تتبدل إلى الأفضل، بدءاً من اللحظة التي غادرت بها من المنزل وإلى حد هذه اللحظة التي تقف فيها داخل غرفةٍ لم تتخيل أن ترى مثلها سواء في الواقع أو على التلفاز أو ما شابه ذلك، يتحدث الأجنبي إلى شهرزاد: إذاً أخبريني كيف ترين هذه الغرفة، مناسبه لك أم لا؟

شهرزاد: لا في الحقيقة لقد صعقت عندما رأيت فضاعت المكان وجماله، أظن أنها فوق الجيد وأكثر، وأنا سعيدة جداً بالتواجد في هذا المكان

الأجنبي: إذا تفضلي هذه البطاقة والتي بدورك ستقومين بتمريرها في المكان المناسب لها في الباب، عند دخولك أو خروجك من الغرفة.

شهرزاد، شكراً جزيلاً.

الأجنبي: لا شكر على واجب ولا أريد أن أطيل عليك أكثر، لكن غداً يجب عليك أن تستيقظي مبكراً في غضون الساعة التاسعة صباحاً، لأنه كما أخبرتك سابقاً أنني مسؤول عن المنح الطلابية

وأيضاً سأقوم بعمل محاضرات ودروس توعوية على مدار خمسة أيام قبل البدء بعرض الابتكارات والاختراعات الطلابية على الجهات المختصة في الجامعة وأريد أن تكوني أول الحاضرين.

شهرزاد : حسناً سأكون على الموعد إن شاء الله.

ينتهي الحوار ليغادر الأجنبي من غرفتها، لتبقى وحيدة بين أربعة جدران لكنها مليئة بالفرحة والسرور.

تجلس على السرير المفروش بالحرير الناعم وقطع من النسيج والقماش الباهظ، بأصابع مليئة بالحيرة والتعجب لا تعرف من أين عليها أن تبدأ الجو مثير للملل لكن لا محال أمامها سوى أن تزيد في صبرها وتحملها إلا أن يهين كل شيء، تتساقط الأفكار من السماء إلى مخيلة شهرزاد كأنها نيازك شيطانية، تشعر وأن الجدران تزداد بعداً عنها وأن كل شيء من حولها يرفض وجودها في المكان .

صراعٌ بينها مع النوم، وعقارب الساعة تسير مسرعة لأن كبرياتها لا يسمح لها بأن تنتظر أو تتوقف على أحد، بل دائماً تحاول أن تثبت بأنها الأفضل وتخطف أنظار الجميع.

الهدوء يعم المكان، ونسمات رطبة تتسرب من صفاء السماء، ظلمة جميلة، وتمايل لأغصان الأشجار على أوتار الهواء الهادئ، بعد صراعٍ طويل وحوار داخلي لا ينتهي وأصوات ضجيج داخلية، يخيم النعاس على شهرزاد لتندبل أجفانها، ويأخذها نومٌ عميقٌ، وما زال

كل شيءٍ على حطته حتى خيال اللمبة ما زال يعطي انعكاساً قوي
في أرجاء الغرفة وفي كل زاوية فيها.

سباقٌ بين عقارب الساعة ومرآة الحائط التي لم تجهز نفسها
بالكامل لكي تستطيع أن تستقبل شهرزاد وهي تقف أمامها وتُظهِرَ
لها كامل قواها وأنه لا ينقصها أحد وأن ملامحها باتت تزيد
جمالاً أكثر من السابق، وأن عليها تحمل الأيام مهما كانت
صعوبتها.

يقف الصباح على أرصفة الطريق منتظراً زوال الظلام. ينتهي
سباق عقارب الساعة لتقف على الثامنة صباحاً بعد أن مرت سبع
ساعات على نومها.

تَغْلِبُ الهواجس عليها لتصحو من نومها العميق، تنهض من
الفرش بحالة من ذبول أجفان العينين وتراكم لمواد لزجة على
زاوية كلٍ منها

تنهض من الفرش هلعة على نفسها تظنُّ بأن النوم سحبها لشدة
تعبها الذي لم تشعر به، تنظر إلى ساعة الحائط بكل ذهولٍ
واستغراب لتأخذ نفساً عميق وتخرجهُ على دقة عقارب الساعة
الهادئة.

تقف على قدميها متلفتةً من النافذة المطلة على سحب الغيوم
وضبابها وإشراقات الشمس وكأن حالة تجميع كل الحوادث
الطبيعية في آنٍ واحد، تسير نحو الحمام لتغسل وجهها وترتب

نفسها ولتستعد للنزول إلى قاعة المحاضرات التي ستمكث بها بضعة أيام.

تنتهي من كل شيء لتبشر بالذهاب إلى القاعة لتستغل الوقت وثمنه، لم يتبق على بدء المحاضرة الأولى اقل من نصف ساعة، تسير بخطوات واثقه لتكون قد وصلت الآن إلى المكان المطلوب، تدخل من القاعة برد التحية على الجميع وقولها صباح الخير.

ينتظر الجميع بكل لهفة بأن يمر الوقت المتبقي لبدء المحاضرة والتي في كل واحدة منها درس يستفاد منه، ليبدأ الأستاذ بالتحاور مع الشباب والفتيات، إلى أن وصل إلى أهم بنود الدرس الأول وهو على النحو التالي:

الدرس الأول: عواء الذئب في أسفل الوادي، لا يخيف رجل يثق بأن الصوت الذي يسمعه هو صدى عواء بعيد بسبب خلو المكان ووسع المسافات بين الواد والآخر.

الجميع منا يوجد في حياته أشخاص يشبهون الذئب لكن ليس كقوته وجراته في الانقضاض على فريسته، بل كقوة صوته ونبرته التي تحاول أن تنشر الذعر في المكان الذي يتواجد فيه، وهكذا بعض الأشخاص يلاحقوننا بكلامهم السلبي الذي يحاولون به جاهداً أن يضعونا في المؤخرة ليتقدموا علينا دون تعب أو مشقة، أولئك هم الأشخاص الذين يصدع صدى صوتهم في كل مكان نتواجد فيه؟

لا بأس فعليك أن تسير خلف مقولة دع القافلة تسير والكلاب تنبح، وعليك وضع الثقة في نفسك وترسيخها جيداً بأنك شخص يتحمل مسؤولياته التي يضعها على عاتقه الشخصي، ومهما كانت النتائج، عليك أن لا تشعر بالندم أبداً، لأن كل شيء عائدٌ إليك بخيره وشره، فإن كان خيراً فأنت قد نلت الصواب أولاً، وازددت علواً واضطهاداً في عين نفسك، وإن كان شراً فلا شيء يستحق إن ترهق نفسك عليه، فالشر هذا يفتح أمامك أبواب كثيرة للمحاولة مرة أخرى وعدم الشعور باليأس من شيء، وبيين لك مدى تطور قدراتك ما بين الكرة والأخرى.

تنتهي المحاضرة الآن ليغادر جميع من في القاعة إلى غرفهم وأماكنهم ينتظرون بكل شغفٍ ما سيقال لهم في الدرس الثاني.

الدرس الثاني: عند صعودك للجبل لا تنظر إلى الخلف لأن المنظر سيكون مخيفاً ومن الممكن أن تعرض نفسك للسقوط وأنت بكامل قواك، لكن النظر إلى الخلف يبقيك إلى الخلف ويضعك في القاع، لكن أن حدقت جيداً وأنت تسير إلى المقدمة والقمة التي تريدها، صدقني أنك لن تسقط ولن ترتطم في القاع كما يريد البعض أن يرونا أسفل الهاوية.

هل جريت أن تركض وأنت ملتفتاً إلى الخلف ورأسك يستدير ليقف على نفس اتجاه مؤخرتك؟ بالطبع قد تكون جريت أن تركض وأنت ملتفتاً إلى الخلف لكن لا بد وان تعرضت لحادثٍ قوي

أو كادت أن تدهسك سيارة مسرعة أو تصطدم بعامود كهرباء! أو تتوقف عن الركض بطريقةٍ غير مباشرة ولا بالشكل الذي تريده أنت.

الأمر أشبه بأن تجلب كأس من الزيت وتضع عليه قليلاً من الماء وتنظر إليهما على أمل أن يتفقا أو ينسجما ببعضهما البعض؟ لكن بالطبع أنت مخطأ، وسترى أن جزيئات الزيوت ستنفر من الماء بسبب لزوجتها ولأن الزيت أقل كثافة من الماء.

وأيضاً هنا فقط أردت أن أوضح لك بأن تصعد الجبل برفقة أحد أو تسند نفسك على أحد. أو سيكون الأمل في نجاحك وأنت لا تعلم بأنه من الممكن أن تكون لزوجته أشد من الزيت رغم قلة كثافته ومستواه إلا أنه لن يتفق معك ولن يكون كما تريد، وربما أن يكون سبباً في ارتطامك من علو يجعلك ترى نفسك رميماً قبل أن يلامس جسدك كل ما هو صلب، لا تنظر ولا تنتظر، اصعد لوحدهك وسر لوحدهك وامشي واثق الخطى تكن ناجحاً.

ينتهي الدرس كما قبله من السابق ليخرج الجميع بحالة عن الرضا بالنفس لما قدموه وضحووا به لوحدهم قبل أن يصلوا إلى هذا المكان، وشعور شهرزاد كان مختلفاً عن الباقي.

الدرس الثالث: رصاصة واحدة أفضل من ذخيره كاملة، لأنك لو كنت تملك عشر رصاصات ستحتار إلى أي هدف سوف تطلقها ولن يكن صوابك دقيق بل سيكون مليء بالاستهتار والأمل في باقي

الرصاصات المتبقية، لكن إن كنت تملك رصاصة واحدة يعني أنك تملك محاولة واحدة وأمل واحد، وأنت ستكون حريصاً جداً ومستعداً دون ارتباك وأنت تصوب على الهدف قبل أن تطلقها، وستستغرق معك وقتاً طويلاً يملؤه خوف بالتفكير من ضياع هذه الرصاصة دون الحصول على فائدة والإيقاع بالهدف المطلوب.

إذاً أود أن أقول لك أن الرصاصة الواحد تعني المحاولة الواحدة دون الإعادة والمحاولة مرة أخرى للوصول إلى الهدف، وأيضاً عندما يكون بحوزتك فرصة واحدة، فيعني أن تكون حذراً إلى أبعد الحدود وأن تأخذ الوقت اللازم للاستعداد وأن لا تستعجل في الانطلاق إلى الهدف، لأنك لو أهدرت هذه الفرصة بسبب استعجال منك أو عدم ثباتك على رأي واحد، وأن غرورك الذي يوسوس داخل عقلك، ما هو إلا كمين وحاجز تنصبه أمامك، فدائماً خذ جميع الأنفاس بسرعة وبالشكل الذي تريد، إلا النفس الأخير يجب عليك التركيز والتدقيق به جيداً، لأنه إن أصابك لن يضرك وأن أخطأ سوف يسبب لك الضرر، ولكن في كلا الحالتين لن يكون الضرر مادياً ولن يؤثر على أحد غيرك، بل سيولد عائق نفسي كبير أمامك، وإن كثرة الرصاصات تعني زيادة الفرص والمحاولات، وفي هذه الحالة ستزيد من استهتارك لنفسك ولن يكون تصويبك سليم بالشكل المطلوب، وستهدر جميع الفرص والمحاولات وأنت تبحث عن الدقة والتركيز، ولن تجدها لأن

عقلك وذاتك تبرمج على أنك تملك العديد من الفرص والمحاولات لإعادة الكرة مرةً أخرى، وسيكون الأمر صعباً للغاية في المرات القادمة.

تنتهي المحاضرة الثالثة كما من قبلها، وما زال التحفيز يزداد داخل الفتاة، لتشعر بأنها كانت تسير في السليم بكل الأشياء التي ذكرت في المحاضرات السابقة، وكأنه كان يقصدها في كل حرف قاله.

الدرس الرابع : عليك أن تبوح لأحد بتفاصيلك، يعني أن تصاحب الجدران والأسقف وأن تغازل لمبةً تنير عليك في ظلمتك، عليك أن تكون كتوم مع نفسك راضٍ عن فكرك ومعتقداتك، تُقدس ما أنت عليه، مهما كان الأمر صعباً ومهما أذاقتك الأيام من ويلاتها لا تلجأ للناس ولا تبوح لهم بضعفك وعجزك.

عليك أن تعلم أن ما تبنيه لنفسك فهو لنفسك، وأن الطريق الذي تتوه فيه مرة واحدة، سيعلمك العودة سالم في المرات القادمة ولن يخسرك شيء سوى أنك ازددت معرفةً وإدراك.

في حياة كل واحدٍ منا، أشخاص يتربصون له خلف كل خطوة يخطوها وكل شيء يقوم بعمله لنفسه، هؤلاء الأشخاص عليك دائماً أن لا تبوح بأشيائك أمامهم وأن لا تشكي لهم لحظة ضعفك وأنهم سند مائل، وهم وُجدوا دائماً من أجل التخريب وإحداث الفوضى في كل مكان لا يتواجدون فيه.

فالبوح للبشر هو من أكثر الأشياء التي تخلق أمامك عوائق كبيرة تجعلك تلجأ مرات عديدة لنفس الأشخاص الذين أوجدوا بداخلك تلك المشاكل التي لا تُرى ولا يستشعر بها، إلا لأنك كنت ضعيفاً أكثر من اللازم، وهذه الأمور تحتاج إلى أشخاص زعماء في عين أنفسهم، كتومين إلى حدود غير معروفة ومتشددين بآرائهم إلى أبعد الحدود، هم أولئك الذي لا يعرفون لبوح معنى مهما دارت بهم الأيام، يلجؤون للصمود والوحدة والظلام والجدران والأسقف واللمبات والإنارات الباهتة، ولا يلجؤون لأي جنس بشري عليك أن تكون مثلهم لكونك تظن بأنك شخص طبيعي ومختلف.

ينتهي وقت المحاضرة كعادته ليخرج الطلاب إلى غرفهم منتظرين اليوم التالي على أحر من الجمر، ليروا ما سيحصل بعد هذا الدرس الأخير والذي سيكون غداً.

درس الخامس: الاستثناء لن يضعك في المقدمة كما تظن، عليك أن لا تستثني أحد لأن الجميع مؤقتون ولأن الأرض لا تدور كما نشاء والأيام تتقلب بمجرياتها مهما كانت الأحداث ومهما ازدادت صعوبتها أو ليونتها لن تتوقف عليك، والاستثناء يعني أن تقدر نفسك وتعطيها حقها بالكامل وأن تبدأ بالسعي وراء أحلامك وطموحاتك وأن يُخلقُ الشغف في كل خطوة تخطوها نحو حلمك.

وأيضاً ربما الأيام لن تصل معك إلى حد كما تدين تدان ولأن هناك أشخاص لا دين لهم وليس لديهم شعور بالإحساس والمسؤولية على أخطائهم، يضعون أنفسهم دائماً على محمل أنهم صغار ولا عقاب لهم.

إذا أردت أن تستثني شيئاً فعليك بنفسك وكل شيء يبدأ منك إلى أن ينتقل الاستثناء إلى أشخاص آخرين من اختيارك وعلى عاتقك ومسؤوليتك الشخصية.

عليك السير دائماً بجانب ظلال أحلامك وخلف معتقداتك الصحيحة والتي مرجعها إليك. بدلاً من استثناءك لأشخاص معينين وتقديم العون لهم والسير بجانبهم ومحاولة تغييرهم وتوجيههم بالشكل الصحيح، اعمل هذه الأشياء لنفسك أولاً بعدها تستطيع التفكير بالناس، لأن رغباتك ستكون قد تشبعت بالكامل وحالة من الانطفاء ستشعل سراجاً وهاجاً في داخلك المظلم.

وإن الاستثناء الذي لا تندم عليه أبداً، هو استثناء الله عن باقي البشر واللجوء إليه دائماً لأنه ليس مؤقت ولن يغفل عنك ولو للحظة واحدة، وفي الحقيقة الدعاء هو الرابط الوحيد بين العبد وربّه في جميع الحالات والمواقف وفي كل الأماكن، فعليك دائماً أن تبدأ بنفسك قبل أن تفكر في الناس وفي قيمها ومعتقداتها،

عليك أن تفكر فيما ستكون عليه أنت بعد هذه اللحظة التي تفكر فيها أن الاستثناء شيء جيد.

تخرج شهرزاد من قاعة المحاضرات بحالة من الحيوية والنشاط، لتصادف أمامها في موقف غير مسبوق وغير مخطط له، ذلك الشاب الذي التقت فيه أول مرة عند دخولها إلى حرم الجامعة، ها هي تلتفت إليه بنظرات غريبة وبوجه رحيب، وهو يبادلها السلام بهز رأسه وابتسامته العريضة.

ما زالت تسير بخطواتٍ متراجعة وغير مستقرة، ليعاود الشاب الرجوع إليها لفتح حوارٍ معها، الشاب: كيف حالك ؟ هل تذكريني ؟

شهرزاد : بخير حال، بالتأكيد أنت ذلك الشخص الذي تحدثت معه منذ أول مرة وطأت قدامي هذا المكان.

الشاب: أنك تملكين ذاكرة قوية، لكن أنا للتو لقد استغربت عندما نظرت إلي بهذا الشكل، ظننت أنك من أحد معجباتي، لا بأس.

شهرزاد: في الحقيقة هذه هبة ربانية وأشكر الله عليها، تحدثت نفسها لتقول: عن أي معجبات يتحدث! يا للهول يبدو أن هذا الشاب وجوده لا يطمني، لكن وجهه يوحي بالبراءة والعفة، لا بأس سأكمل معه إلى حيث يريد، تعود للحوار لتكمل بضحكات

مصطنعة، بالطبع شاب مثلك يمتلك وجه وسيم وطول مناسب، سيكون له الكثير من المعجبات.

الشاب: لا عليك ولا أريدك أن تأخذي عني فكرة خاطئة، لكنني أرى الفتيات جميعهن ينظرن إلي بنظرات غريبة.

شهرزاد: لا بأس لم أخذ عنك أية أفكار لا تقلق، وكل ما تفوه به ما هو إلا هراء، انتبه لنفسك نلتقي مجدداً.

الشاب: بضحكات باردة، وحالة تعجب! لما أنت على عجلة من أمرك انتظري لم أكمل حديثي! كنت أريد أن أحدد موعداً للخروج سوياً وأن نتعرف على بعضنا أكثر؟

شهرزاد: تتغير ملامح وجهها لتحاول تغيير الحديث، تُجنُّ لكن مرةً أخرى تغرها ملامح وجهه البريئة وحسن مظهره لتقول له: لم العجلة؟ لم يمضي على معرفتنا بضع أيام ، وفي الحقيقة أنا لم أواعد أحداً من السابق وأفضل أن لا نخرج في الوقت الحالي لأنك لن تستطيع الانبساط معي بالشكل الذي تريد.

الشاب: لا يهم كل هذا، في الواقع أنا لا أملك صديقات، وأود أن تكون مختلفين عن باقي الأشخاص، لعلنا نجدني بعلاقتنا هذه نفعاً لأنفسنا.

محاولة تقبل هذا الحديث والإغراء لتقول: حسناً وهي تبسم ابتسامة خوفٍ صفراء، في أي يومٍ تريد أن نخرج ؟

الشاب: يرد بسرعةٍ وبكلماتٍ غير مفهومةٍ من فرحته الشديدة وظنه بأنه على حسن نيةٍ، ليقول: حسنا فليكن في يوم الخميس القادم، سيكون موعد عرض وتقديم الاختراعات لإدارة جامعة إكسفورد المختصة في هذا المجال.

شهرزاد: حسناً اتفقت معك، ولن أكون بالرتابة التي تريدها، فلن أغير في نفسي شيئاً.

الشاب: لا يهم فأنت مثيرةٌ بكل حالاتك.

تدهش شهرزاد لتقول في نفسها: ماذا يقصد بكلمته هذه! ما معنى مثيرة، تتعجب ولكن تطيل في صبرها عليه بسبب حسن ملامحه ولباقته، يا ترى إلى أي طريق يريد أن يصل معها.

ترد شهرزاد: شكراً لك، وولتقي في الموعد الذي حددته، إلى اللقاء. تدير ظهرها لتباشر بالخروج من المكان الذي كانت تقف فيه مع الشاب، لتصعد إلى غرفتها سريعاً.

خلف الباب تمرر بطاقتها التي أودعها إياها مسؤول المنح الطلابية لتفتح باب غرفتها وتستلقي على السرير باحثةً عن وسادةٍ مليئةً بالأمان والراحة بعيداً عن ضجيج هذا العالم الذي يعج بالنفسيات المريضة.

بعد استلقاء طويل ولحظة من السهو، تمر عقارب الساعة مسرعة دون إصدار أصوات دقاتٍ مليئةً بملل الانتظار، تنهض بحالة مليئةً بالفوضى وعدم الإدراك بما الذي يحدث وما شعور الوحدة التي تشعر بها الآن.

تقف في وضعية انحناء وهي تجلس على السرير، ناظرةً إلى ساعة الحائط بنظرة نصف عين وأثار الوسادة مطبوعة على ملامحها، أنه الوقت ما قبل غروب الشمس والساعة الآن السادسة مساءً بتوقيت القلق والوحدة والخوف الشديد من هذه الأيام.

تقول شهرزاد، إن هذا العالم الذي تعيش فيه هو عالم غريب كغابة يأكل القوي فيها الضعيف، وأنها لم تر إلى لافتات توحى بأن معظم الطرق هنا بلا مخرج، ولولا الظروف التي أجبرتها على الخروج لما خرجت وفي الحقيقة أيضاً لم تخرج من أجل نفسها بل من أجل أسرتها التي لم تر سوى أيام مأساوية مليئةً بالغم والحسرة، تحاول أن تسترد قواها النفسية وتعيش في حلو قصير.

وتضع نفسها في مكان الفائز رغم أن ما تمر به لا يعكس إلا الحزن والبؤس على وجهها وملامحها. رغم إخفائها الشديد له أمام الجميع إلا أنه ما زال يظهر على شكل هالات سوداء وأنه لا أحد سيستطيع معرفة قلقها وهي بهذه الطمأنينة الخارجية.

لم يتبق شيئاً لتفعله، والوقت يمضي وقد اقترب الظلام أن يخيم على المكان ويحارب الشمس محاولاً أن يظهر القمر في وقتٍ أقل،

مرت الساعات دون عدل وإنصاف لتدور الآن حرب طاحنة بين النوم وشهرزاد وأطراف عينها وأجفانها لا يساعدها على خوض أي حروبٍ أخرى، تستسلم أمام النوم لتخضع في نوم عميق.

لا شيء سوى الهدوء ولا صوت يعلو فوق رنين الإبرة، نسمات الفجر تظهر على أرصفة الشوارع والطرقات، لم يتبق الكثير من الوقت، ليبدأ القمر بالانجلاء وتجلب الشمس أشعتها من المشرق.

تجدد السماء بلونٍ من الأزرق، ليتشقق النهار كأنه طفل صغير في أولى لحظاته على الحياة، ما زالت شهرزاد بحالة من الكرى وكأنها لم تعرف للنوم طعمٌ من قبل.

تدور عقارب الساعة كعادتها منتظمةً بالشكل الذي تريده ودون أن تنتظر أحداً، وبعد نوم عميق وطلوع صباح اليوم الجديد، تستيقظ شهرزاد على آمال متجددة وهي على ظنٍ بأن كل شيء سيتعافى عما قريب وتعود الأمور إلى أفضل حال كما لو لم تكن عليه من قبل.

تنهض من فراشها الدافئ تتخلى عن أحضان وسادتها وحنان غطائها، تقف على قدميها لتبشر الذهاب إلى مغسلة الحمام الخارجية، أمام المرأة تتفقد ملامحها الصغيرة والبريئة، تفتح المغسلة لتشطف وجهها بقليل من الماء البارد والذي بدوره ينعش بشرتها ويعطيها نشاطاً وحيوية للبدء بيوم جديد على أفضل وجهٍ إن أمكن ذلك.

تنهي عملية الغسول لتعاود الرجوع إلى غرفتها، والتأهب من جديد لتقوم بعملية تبديل ثيابها من ثياب النوم إلى ثياب جميلة ها هي تفتح خزانها البسيطة، تأخذ بنظارة أسود كأيامها وقميص ليس من الطراز الحديث لكنه يتناسب مع البنطال ومن النوع البسيط والذي لا يلفت للناظر شيء.

تنتهي من تبديل ثيابها، دون أن تقف أمام المرأة مطولاً وهي تضع المكياج وما شابه وهي أساساً لم تجلب معها أشياء كهذه سوى قلم كحلة وعلبة واقية شمس، وإن هذه الأدوات لا تلزمها في الشيء الذي خرجت من أجله وهذا الشيء لا يقدم لتحقيق حلمها شيء.

بعد وقوف طويل تشعر بالتعب من وقوفها المطول لتبديل ثيابها، تلتفت باحثة عن أريكة لتجلس عليها وتنتظر مرور الوقت دون ملل، تجلس على الأريكة للحظات قليلة لتبدأ الأفكار تحوم داخل رأسها وفي زقاق مخيلتها، لتحاول التعبير عن شيء من القبول الذي مرت به، بقولها :

إنني ممتنة جداً لهذا العالم، ممتنة لنفسي أولاً ولكفاحي ونضالي، وشغفي الذي خلق مني فتاة قوية لا تعرف للخوف طريق ولا تهاب شيء،

لقد خضت الكثير من الصعاب وتكبدت أموراً أكبر مني عمراً وحجماً وقوة، إنني من الأقلية الكادحة التي لم تتبع القطيع

وكانت مسؤولةً عن نفسها وعن قراراتها، ولأنني لم أفكر يوماً في احتساء مشروب ما .

غير القهوة والشاي ولم أفكر يوماً بأن أخطط لمشاهدة فيلم رومنسي ولم أفكر يوماً بأن أغذي روعي على أنغام موسيقى ولا حتى أغنيةً فيروزية، لقد كانت طموحاتي بسيطة جداً، ولا حتى الخروج برفقة الأصدقاء لتناول طعاماً مميزاً في إحدى المطاعم الفاخرة، لقد كان لدي حلمٌ واحد منذ أن نبزت أظافري وثبتت ملامحي وأصبحت الناس تعرفني بوجهٍ واحد، وإلى حد الآن ما زلت مواظبة خلف طريقٍ واحد، أقوم ببناء وتكوين نفسي عليه شيئاً فشيئاً.

وأني ما زلت أسوقُ أحلامي ورائي، وما زلت أصدع السلم درجةً درجة حتى استطيع الوصول إلى القمة، وما زالت عزائمي تزيد يوماً وراء يوم، كلما رأيت أشخاصاً يقومون بالذم والشتم خلف ظهري، وما زالوا يسنون ألسنتهم لكي يوارونني بطعناتٍ قاتلة توقضي قليلاً، لكن لا بأس فأنا من أصحاب الشخصيات التي تمكث اللامبالاة فيها منذ زمن، إنني أخبئُ بداخلي ألف شيطان إن ألزمتُ على أن أكون طاغيةً إلى أبعد الحدود وأن أخوض آلاف الحروب مع هذه البشرية المتوحشة فلن أتردد .

بعد حوار طويل مع النفس ومحاولتها لأن ترسو على برٍ واحد، ما زال كل شيء معلق والكلام لا يقدم في شيء، لكنه من الممكن أن

يفيد أحد الأشخاص الذين يحتاجون الكثير من الكلام والعبر لكي يستطيعوا الوصول إلى مرحلة كهذه، سرعان ما أنهت شهرزاد كل شيء وإذا بالنهار يمر مسرعاً وتشكيل السحب يتغير مع مرور الوقت، والشمس تستقر في مغيبيها، لتكون الساعة الآن السابعة ونصف مساءً، أي انه لم يتبق على موعدها مع ذلك الشاب سوى نصف ساعة.

تنهض من على الأريكة تاركة خلفها آثار من شدة جلوسها وسهوها في نفس المكان لفترة طويلة وهي تروي تفاصيل أيام مرت بها وهي تحمل معها هالات سوداء ووشاح من الحزن، تسير نحو المرأة لترى إن بقيت على نفس الترتيب أم لا، تمر بجانبها مرور غريب زائر، تقف قليلاً محاولاً خلق ابتسامة اصطناعية لتعكس صورة غير عن تلك العجوز العشرينية التي بداخلها.

تنتهي من كل شيء، لتخرج من غرفتها بمعية إصرار نفسها الكبير على ذلك اللقاء ليس حب في الشاب، لكنها تريد أن تعرف ما هو مسار الطريق الذي تسلكه مع هذا الشاب وهل ستستمر معه أم لا، ولا شيء أولى من الحلم الذي ضحت من أجله كثيراً منذ طفولتها ونعومة أظافرها.

تذهب إلى المصعد على عجلة من أمرها لقضاء هذه الساعة بخيرها وشرها، تقف أمام المصعد تضغط على زر النزول السهم الموجه للأسفل، يُفْتَحُ الباب لتدخل بعدم حبي منها على ذلك، تشعر وأنها

لأول مرة تجبر على شيء لا تريده أو أنها سحرت به، لكن لا بأس على المرء أن يغامر ويجرب العديد من الأمور.

قد وصلت إلى الطابق الأرضي، يرن هاتفها، يبدو أنه الشاب يتصل بها في الموعد المناسب، تحاور نفسها في أن ترد على هذا المكالمة أم لا، لكن في الحقيقة لا خيار أمامها سوى إن تفتح خط الهاتف وترد على المتصل.

بعد حوارات حادة كثيرة، تفتح خط الهاتف لترد على المكالمة التي لا يظهر لها اسم للمتصل على شاشة الهاتف، سوى أنه رقم غير معروف ومجهول الهوية، يفتح خط الهاتف، بصوت مليئٍ بالرجولة، شخصٌ يقول مرحباً

يزداد التوتر، ترد شهرزاد: أهلا من أنت من فضلك؟

المتصل يقول هذا أنا الشاب الذي حدد معك موعد للخروج مساء يوم الخميس، أين أنت الآن! أنا أنتظرك في الأسفل.

شهرزاد: يا للهول في الحقيقة لقد صعقت عندما سمعت رنين الهاتف وأيضاً لم يظهر لي اسم المتصل على الشاشة فارتبكت كثيراً، اعذرنى، وأنا أقف أمام العمارة لكن سأسير قليلاً إليك لكي لا يشعر أحداً بأنني خرجت معك.

الشباب: لا بأس أنا أعتذر وأنا أنتظرك داخل سيارة سوداء من الطراز الحديث ولونها أسود.

شهرزاد: حسناً سأكون عندك في غضون دقيقتين أو أقل.

ينهي الاتصال الآن، لتكمل سيرها لكي تصل إلى سيارة الشاب، بعد سيرٍ قصيرٍ وخطوات قليلة، تصل عند سيارة الشاب كما وصف لها.

شهرزاد: مرحباً كيف حالك وما هذه السيارة الفاخرة، إنها من أشد أحلامي أن أقود مثل هذه السيارة

الشاب: بخير، إنني على أحر من الجمر وانتظر ذهابنا إلى المطعم بفارغ من الصبر، هيا فلتصعدي.

تصعد إلى السيارة وهي تحاول تمرين نفسها على ابتسامة عريضة تقدمها للشاب لحسن أسلوبه معها، ولكنها أيضاً تصعد إلى الكرسي الخلفي وليس بجانب كرسي السائق.

يسير الشاب إلى المطعم الذي يريده، وهو بحالةٍ من التعجب والدهشة ناظراً من مرآة السيارة التي تظهر له المقاعد الخلفية محاولاً الوصول إلى وجه شهرزاد للتعرف على ملامحها ومدى حبها لهذا اللقاء، يبدو أن أنها تجلس خلفه مباشرةً ولا يستطيع في هذه الحالة أن يراها، تبدو علاماتٍ من الغضب تبان على وجهه.

بعد سيرٍ طويلٍ ها قد وصلوا إلى المطعم الذي يلفت للزبائن مدى تطوره وفخامته الداخلية كما يبدو من الخارج أيضاً، تتوقف السيارة لتخرج شهرزاد منها متوجهة إلى حيث لا تعلم، ينظر

الشاب بدهشة! إلى أين تذهب هذه؟ يقوم بالصراخ عليها بصوتٍ خفيف انتظريني إلى أين أنت ذاهبة!

تلقت بوجهٍ من الحيرة والغضب! في الحقيقة لا أعلم ما الذي يحدث لكن سأكمل معك إلى نهاية المطاف.

الشاب يرد قائلاً سيكون اليوم ممتع للغاية فقط كوني على صبرٍ وانتظريني حتى أقوم بصف المركبة في المكان المناسب لها.

ينتهي الشاب من وضع المركبة في مكانها المخصص ليخرج منها ويسير نحو شهرزاد، يسيران بجانب بعضهما.

يفتح باب المطعم ليترنح جانباً وهو يمد يده لها مؤشراً بالدخول أمامه، خلف الباب مباشرة موظفة الاستقبال تصحبهم لتوصلهم إلى الطاولة التي يريدونها.

الآن قد وصلوا إلى الطاولة، يتقدم الشاب بسحب كرسي لشهرزاد لتجلس عليه من دواعي أنه هو الرجل صاحب الذوق الرفيع والذي تميل معظم الفتيات إليه.

تجلس على الكرسي، ليعاود الشاب بالجلوس مقابلاً لها بنفس الطاولة، ولا يفصلهم سوى خشب الطاولة الباهظ.

بعد جلوس طويل تتلفت شهرزاد في أرجاء المطعم متعجبةً بإنارته القوية وترتيبه الجميل ومشروباته الفاخرة وزبائنه الذين يتجاوزون الطبقات العليا من المجتمع، ولأنها ولأول مرة تخرج مع شاب غريب

وفي مكان كهذا لا يجلس به إلا الأثرياء والأشخاص المهمين، يدور حوار قصير من الشاب وإلى شهرزاد، ما هي أول طموحاتك؟ ترد الفتاة، أول طموحاتي أن أحقق غايتي بالشكل الذي أريد وان أعين أسرتي وأمي وأحاول من تحسين وضعنا المادي والمعنوي.

الشاب: ولكن ماذا تملكين لتحقيقي هذه الأشياء، ترد عليه بضحكة باردة وبروز لأسنانها: في الحقيقة أنا لا أملك ما لا ولا جاهاً لكنني أملك إرادة لا يستطيع أحداً أن يحصل عليها بالمال أو الجاه وهذه الشيء الذي جعلني أن أتقدم إلى هديفي بسهولة ولكن على مراحل شاقة، وأيضاً أنا من النوعيات التي لا تعجبها المظاهر أكثر من الأفعال وأنا كانت أكثر خطواتي للنجاح هي أفعال وليست مظاهر، لأنني لا أذكر يوم خرجت به من منزلي ساعية وراء حلمي إلا وقد كان مظهري بأسوأ حال، وها الآن أتحسن شيئاً فشيئاً، الشاب يحدق بطرف عينه ويتمتم بداخله كلمات غير مفهومة، راداً على شهرزاد: ارفع قبعتي احتراماً لك ولجهودك لكن لم تفكري من قبل أن تتشاركي أنتِ وشخص آخر بكل هذه الأحمال ومنه أيضاً تكوني قد خففت عن نفسك قليلاً.

شهرزاد: ما قصدك بالشخص يعني إنني أتزوج برجل ليساعدني للوصول إلى ما أريد؟

الشاب: هذا ما كنت أقصده؟

ترد الفتاة بهستيريا كبيرة: في الواقع أنا لا انتمي إلى احد ولا أركن نفسي على أحد ولا أسند نفسي على أحد لأن جميع الناس قابلين للتغير، وأنا لا أريد أن تتشوش أفكارى بسبب أشياء كهذه.

حالة من التعجب من الشباب على ما قد سمعه من شهرزاد مندهشاً من ردودها التي تفوق سنها بكثير، محاولاً التوصل إلى حل سلمي ورغم كبريائه الكبير بنفسه وغروره على الأموال التي يملكها ولحسن مظهره، يوسوس الشيطان في ذهنه قائلاً، عليك أن تتصرف قبل فوات الأوان وأنطق ما بداخلك دون خوف وتردد، يقول الشاب لشهرزاد، في الحقيقة أنت من الشخصيات النادرة وستصنعين مستقبلاً رائعاً وسيكون قدوة للجميع، لكن هل تواجهك مشاكل لو أنني كنت من ضمن حياتك، يعني أنني أريد الارتباط معك وإقامة علاقة مترابطة بالمحبة والشغف الكبير المتبادل، تبذل شهرزاد بكل حدق إلى الشاب وبنظرات مفترسه وكل ما بداخلها يثير بالغليان لتقول له يا ويحك بهذا الكلام وإنه لن يجدي نفعاً والفكرة التي برأسي لن أغيرها بتاتاً حتى أحقق ما أريد ولن أخون وعدي لوالدي المتوفي ، لقد وعدته سابقاً أنني سأكون شيئاً مفيداً لنفسي وللمجتمع وأنني سأرفع رأسه أمام الجميع، رغم عن الذين راهنوا على فشلي وفشل خطواتي، وحقيقة إقامة العلاقات ليس بالمشروع الناجح.

الشاب-بلهجة توسل وشفقة-: لماذا هكذا أنت؟، سأكمل لك ما تريد وسأكون عوناً لك حتى نهاية الطريق، لماذا لا تصغين إليّ! شهرزاد: لم يتبق شيئاً لتكمله فأنا في الخواتيم أصلاً والطريق قد انتهت أما أن تكون نجاح أو فشل، وإن كانت فشل فلا أريد أن افشل مرتين؟ مرة في حلمي ومرة لأنني معك، أرجوك دعني وشأني وسأكمل طريقي لوحدي، ويوجد الكثير من الفتيات غيري وأنت لا ينقصك شيء ولأول مرة أرى شاب يستطيع أن يحب فتاة في أقل من يوم وهو لا يعلم عنها شيء.

الشاب يتوقف الكلام في فمه ولا يستطيع قول شيء وكأن شهرزاد وضعت صخرة كبيرة على أسفل بطنه، اللسان قد عجز عن القول، ليبدأ الآن بمحاولته لمس يدها محاولاً بفكره إنها ستشعر به وبما داخله عندما يتجرأ بفعل خطوة غير صحيحة.

كل شيء قد انتهى وكثرة القول والحديث لن تغير شيء، في محاولته الأخيرة، يتجرأ الشاب بمد يديه نحو يد شهرزاد، ويقوم بمسكها بكل قوة قشعريرة رعشات تشبه صعقات الكهرباء تصيب جسدها، لتصحوا من غفلتها بقيامها بتوجيه صفة قوية على وجه الشاب!

حالة من التعجب من قبل الشاب لأنه لم يكن يظن أنه سيصل إلى هذا الحد من تقليبه لشأنه والصفعة لن تجعله يعيد مواقف كهذه مع فتيات أخريات.

يحاول الشاب الانفعال بردود بذيئة، لتخرسه نظرات شهرزاد المفترسة والمتوحشة، انبهار كبير من قبل الزبائن والجميع يتلفت نحوهما متعجبين لما يحدث في مطعم كهذا لا يدخله أشخاص من هذه النوعيات، تبدأ شهرزاد بالحديث مجدداً، يبدو أنك لا تفهم بلغة الكلام فقمتم بإجباري بالتصرف بهذا الشكل، ويبدو أن التعامل مع بشرٍ كمثلك صعبٌ للغاية وأصعب من التعامل مع حيوانٍ أليف، لكن لا بأس لن تستطيع أن تغير مني شيء وسأبقى مستمرة كما أنا بعيدة عن طريق الذكور وسأتذكر رسالة أمي لي عندما قالت لي أن طريق الذكور كالسراب لا يمكنني الاستدلال على شيء ما زلت أسير في طريقهم، وأنت لا تظن أن أموالك هذه سوف تجرني خلفك وأن مظهرك سيغيرني بالشكل الذي تظن، لأنك ستكون مخطئاً إن فكرت بالإيقاع بي بسبب هذه الأشياء المادية والمظهرية، سأقول لك للمرة العاشرة بأن طموحي وهدفي هو أكبر من أن أكون بحوزة رجل يفرض سيطرته علي ويقيدني بالشكل الذي يريد ويحب، وأنا لست ضد فكرة الزواج والارتباط لكن عندما أشعر أنني بحاجة لذلك، سأدعي الله بحسن نوايا أن يهبني شخص يتحملني وأتحمله ويتنازل وأتنازل ويفهمني وافهمه وأن لا يراني كعبدة له.

والآن نفذ الكلام من الكلام ولم يتبق لدي شيء لأقوله وأنت لنفسك وأنا لست لأمثالك، وإلى اللقاء شكراً لأنك جعلتني أفوق على نفسي في اللحظة الأخيرة.

تنهض من على الطاولة بعد جلوس لم يتجاوز النصف ساعة ودون احتسائها لشيء، تنظر بالشباب بنظرات قاتله وكان أعينها تحارب بقوة جيش كاملة، وأن الله بقي رقيقاً معها في كل طريق صحيح كانت تسلكه، تخرج من بين الطاولات والمقاعد المزدحمة وانبهار الجميع من الموقف الذي شاهده أمامهم وأنه في الحقيقة لا يحدث إلا في الأفلام والكتب، ينتهي سياق المشهد بإخلائها للمكان وكأنها المجرم البريء من بين كل المذنبين.

خارج المطعم ببضع أمتارٍ تسير شهرزاد وحيدة بثيابها البسيطة، تلملم نفسها بنفسها وتحاول إصلاح ما حدث بطريقة سليمة ودون إحداث ضوضاءً كبيرةً في المكان، ودون اللجوء للبكاء، إلا أنها الآن عيناها لم تحتمل قذارة الموقف الذي تعرضت له، لتبدأ بالفيضان مثل كوب من الماء وضع على درجة حرارة أكثر من اللازم فأصبح يخرج فقاعات مائية تصيب كل من حولها بحروق بالغة.

تشعر بتأنيب الضمير وكأنها خانت وعد أمها لها التي كتبتة في رسالتها وأيضاً لما تعرضت له من قبل هذا الشاب الغريب الذي يدعي الرجولة بأفواه كاذبة، وبمظهر خارجي لا يوحي بجماله الداخلي كما هو من الخارج، لا شيء الآن سوى أنها ما زالت تقف

منتظرة تحت ضوء القمر وزينة النجوم المعلقة دون واسطة شيء في السماء، الوقت يمر ودقة الساعة لا تنتظر أحد، تمر المركبات مسرعةً دون توقف، ولا شيء يوحي بأن المكان مخصص لوقوف المركبات أو أن هذا المكان يعتبر مكان يتجمع الناس فيه ليتم تلبية حاجاتهم وخدمتهم.

بعد وقوف طويل على جانب الطريق، شيئاً ما من بعيد يتجه نحو شهرزاد ويسلط ضوءاً قوياً نحوها مسبباً لها حالةً من الإغشاء وانعدام في الرؤية، تضع يدها بشكل حاد فوق جبينها محاولَةً حجب القليل من الإضاءة عن عينيها والتي أصابتها بالإغماء التام، وإذ بها بعد قليل من الوقت فترة زمنية لم تتجاوز الدقيقة لتتوقف مركبة تحمل لوحة صفراء تعمل على خط جامعة إكسفورد وما حولها، تخفت الإضاءة ويهدأ صوت المحرك ولا صوت يعلو فوق صوت الصرصار وحديث عميق بالأعين بينها وبين السائق يشق السائق نافذته الإلكترونية بانحناءٍ قليل ليقول لها، إلى أين تريدين الذهاب في هذا الوقت المتأخر؟ والواضح أنك غريبة عن هذه البلاد لأن مظهرك لا يوحي بأنك من أصحاب الأرض.

ترفع حاجبها على آخر كلمات سمعتها من السائق لترد عليه بهدوء، وما علاقتك بمظهري! عليك التركيز في حياتك أفضل من النظر إلى مظاهر الناس ومواقعهم، فأنا هنا لست من أجل المظاهر والإغراء بل من أجل غايةٍ أردت تحقيقها وعلى الجميع من

أمثالك أن يركزوا في حياتهم أكثر، لا عليك من هذا الهراء، هل تريد إيصالي إلى المكان الذي أريد أم سأعرب عن وجهك بعيداً؟

حالة من الانبهار تصيب السائق، بنظرات حدقٍ واستغراب وتراجع تام إلى وضعية الجلوس الطبيعية، يصمت قليلاً وهو يحاول الوصول إلى رد يقوله لها، يحاور نفسه باحثاً عن مخرجٍ من هذا المأزق، ليقول بلغة ضعفٍ وقلة ثقة، أنا كنت أمازحك فحسب، والآن اصعدي لأقوم بإيصالك إلى حيث تريدين.

تبتعد قليلاً عن نافذة المركبة بعد أن جذبها الحديث معه عندما قام بالتجرؤ والتدخل في شؤون غيره، تتلفت يميناً ويساراً لا شيء سوى الهدوء لتصعد إلى الكرسي الخلفي، وتقول له أريد الذهاب إلى حرم جامعة إكسفورد حيث أقيم أنا هناك، يلتفت إليها بعينٍ واحدة من مرآته الخلفية، ليقول حسناً إلى حيث تريدين.

صوت المحرك يعود مجدداً مع الإضاءة بالشكل الطبيعي، تجلس بجانب النافذة من الجهة اليسرى، تنظر إلى الغيوم وإلى حركة السحاب والقمر الذي يلاحقها في كل مكان تسير فيه، الأمر أشبه بأن يكون حقيقياً أنه لم يتبق شيءٌ لينير عليها سوى ذلك القمر الذي يغيب كل يوم ويعود بكامل قواه وطاقته وشعاعه الذي يبعث بنور ساطع يعادل جميع مولدات الطاقة الكهربائية في هذا العالم.

تقول شهرزاد: إن الحب والتعليم ليسا صديقين جيدين، فكلاهما طريقة تبتعد عن الآخر وفكرة الارتباط في فكر مشوش وعقل مليء

بسطور العلم والدراسات لا يُمكنك من الحصول على خلاصة الحب بأكمله، فالحب يجب أن يقدس بالشكل المطلوب وأن يأخذ حقه بالكامل وأن يكون هناك متسعٌ للتنازلات وتبادل المشاعر الصادقة بحب وإخلاص وأن يكون بعيداً عن الشكوك وقريباً من الله في كل شيء، والحب لا يعرفُ وقتاً ولا فارقاً في العمر وليس له صلاحيات وتاريخ انتهاء سوى أن الموت الذي يفرق الأجساد وتبقى الأرواح متصلةً إلى ما لا نهاية، ولا يستطيع المرء أن يحدد وقت للحب سواء كان في موعدٍ مع صديق أو زميلٍ في العمل أو حتى من شخص يعتبره قريباً منه لدرجات فائقة، والشخص إذا أحب ضحى وترك كل شيءٍ من أجل شيءٍ واحد رآه بعينه وأحسه بقلبه وأصبح يفكر فيه ليلاً ونهاراً دون كللٍ أو ملل.

بعد سير طويل تتوقف المركبة أمام سكن الجامعة كما طلبت شهرزاد من السائق، تفتح الباب وتخرج من جيبتها خمسة دولارات لتدفع الأجرة

تغادر المركبة وهي ترى كل الأشياء من أمامها على هيئة سرير ووسادة ، بسبب الكم الهائل من التعب الذي أصابها اليوم بسبب قساوة الأحداث التي تعرضت لها ، لكن لا بأس فكل هذا الصبر من أجل اللحظة الأخيرة

تصعد إلى غرفتها وهي تجر بنفسها رغماً عنها ، يكاد رأسها أن ينفجر من ازدحام الأفكار داخله مثل أنبوب وضع داخله مادة كربونيه مع قطعة قصدير صغير وأغلق بإحكام حتى رُج عدة مرات،

رغبة عارمة في النوم إلى ما لا نهاية وتصاحبها رغبة بالصراخ حتى انقطاع الحبال الصوتية ، تسير نحو غرفتها كالعادة تمرر البطاقة في مكانها الصحيح لتفتح الباب بكامل جسدها لقلّة حيلتها أن تقوم برفع يدها نحو الباب ودفعه ، إلا انها الآن قد أصبحت داخل الغرفة وكل الأشياء من حولها تنظر إليها وكأنها تحملها ذنوباً كثيرة لا تعلم عنها ابداً ، اللمبة والسقف والجدران والوسادة والمرأة ، كل شيء يحرق بكل ضجر واشمئزاز

تدير نفسها بشكل نصف دائري وهي تحرق في أرجاء الغرفة ، صوت طنين غير مفهوم يرن في أذنها ! تشوشات كثيرة كأنها الحرب الذاتية تعود مجدداً ؟ لما حصل سابقاً يبدو أن الكون والآلهة قد غضبوا عليها بسبب خروجها في موعد لا يناسبها ولا يناسب أخلاقها ، وحتى بحسب ما قالتها لها امها أن تبتعد عن طريق الذكور ، إلا أنها أوشكت أن تقع في الفخ لولا أنها استيقظت على نفسها في اللحظة الأخيرة

تتقدم نحو سريرها وهي تقف بكامل قواها ورغبة شديدة في النوم ، تقوم بخلع ثياب الخروج لتبدلها بثياب النوم ،

تنتهي من كل شيء يتوجب فعله قبل النوم ، تقوم بإطفاء لمبة السقف، لتشعل ضوء خافت اللون يعطي شعور بالراحة والامان ،

وهي جالسة داخل السرير تبدأ بمراجعة نفسها على ما حدث معها سابقاً عندما خرجت مع ذلك الشاب ، تشعر بتأنيب الضمير إلا أن آراء كثيرة بداخلها تقول لها بأن الأشخاص الناجحون يخطئون كثيراً إلى الحد الذي يجعل جميع الأشياء من أمامهم روتينيةً ويتحول إلى نجاحٍ عظيم

هدوء الليل الذي لا يهدأ وصوت دقة الساعة الذي لا صوت يعلوا فوقها ، تضع عقارب الساعة ما بين الحالات التي تتقلب عند الفتاة من وضعية النوم الى تبديل الثياب ومسألة النفس على ما حدث سابقاً ، لتكون الساعة الآن قد تخطت الواحدة ونصف ليلاً ،

تحقق بالسقف ، بشرودها الذهني إلى عالم آخر ، تحاول أن تصنع النجاح وهي مستلقية على هذا السرير ، بمحاولةٍ لأن ترسم الطريق باكماله من خط البداية إلى خط النهاية ، لتجد نفسها قد اصبحت على القمة وابتعد ، لكن لسوء حظها ان كل شيءٍ في هذا المكان بات يرفضها ، لم يعتادوا عليها بعد ، الإسفلت وجمال الطرق التي لا زقاق فيها من شدة وسعها

ما زالت تحاول التأقلم في المكان من حولها ، إلا أنها في كل مرة تلقى رفضاً عنيفاً أكثر من السابق ، تعود إلى ما كانت عليه بوجهٍ من البؤس والرفض الشديد على ما حدث ، لكن لا بأس فلم يتبقى

على النهاية شيء ، لتكون قد تحلق مع الطيور والأحرار والموفون
لوعدهم لأنفسهم

تقلبُ نفسها داخل السرير وكأنها شعرت بالخطر على نفسها ،
حرارة الجو ترتفع دون موعدٍ والمكان يزداد ضيقاً والجو كاتمٌ لا
نسمات على مرايا المركبات ولا تمايل لأغصان الأشجار ، الجميع
يبحث عن مخرج لكن لا شيء سوا علامات استهزام وإشارات تدل
على ان الطريق بلا مخرج لموعدهم غير محدود

حالة طويلة من الظمأ ، تحاول شهرزاد أن تتغلب على النوم وتخلع
شوكته بمخالبها الحادة . عيناها من شدة النعاس بحالة من
الكرى ، تصارع النوم بوسادة وغطاء خفيف ، تلملم نفسها بشكل
دائري وتضم قدميها بشكل حلزوني ، لترقد في فراشها الدافئ بكل
طمأنينة ، لا شيء سوى أنها أغمضت عيناها واغشي عليها بسباتٍ
عميق

بعد فاصل زمني طويل وهي تغط في نوم عميق ، يتربص الظلام في
زاوية الغرفة ، عنكبوت صغير ينتظر طلوع الفجر الجديد ، لا نباح
للكلاب ولا صياح للديك ، الجميع في المكان الذي يناسبه دون
إحداث فوضى وإزعاجٍ لغيره ،

للنوم فائدة كبرى على الأشخاص الذين تمتلئ حياتهم بالمشاق
والصعاب لأنهم يهربون من الواقع إلى دفى الظلام وحنان الوسادة

وعطف السرير بعيداً عن تناقضات الغير بما تنطق أفواههم من
سذج الكلام ونقصه وأن كل إناء ينضح بما فيه ،

ولو أن للنوم هيئة لرسمته تمثالاً يقتدى به على مر العصور
والأجيال ، ليكون وسيلةً للدفاع عن ممتلكات البعض من التهشم
والأذى والخوف المستمر من فقدان الشيء بلا شيء ، فالنوم يساعد
المرء على استعادة نفسه وتجميع أفكاره وضبطها على منهج جديد ،
بعيداً كل البعد عن ما مضى في اليوم السابق او مهما كان الوقت
عندما خلدت للنوم

يمر الوقت دون إنصاف ، لتبدأ شمس صباح اليوم الجديد
بالانشقاق ، تتزين السماء باللون البرتقالي المائل إلى الإحمرار
بقليل ، أي يعني لون الشمس في الساعة السادسة صباحاً وما قبلها
بغضون ، ما زالت في الفراش ولا شيء سوى صوت الشخير الذي
يروي تفاصيل الأحمال والمشقات الموضوعة على عاتقها ،

تزقزق الطيور بكل حبٍ وحيوية ، بتفاؤلها الجميل بهذا اليوم
الجديد ، الذي يحمل بداخله أشياء لا يعلمها أحد ، بأمرٍ مسبوقٍ
وغير مسبوق ، تبدأ حركة المدينة بالنشاط والناس أصبحت
تتجول للبحث عن أرزاقها وأعمالها

الساعة الآن الثامنة صباحاً بتوقيت تحقيق الأحلام والبدء من
جديد لعزف سيمفونية جديدة تليقُ بطول المدة والمسافة التي
كادت ان تتعد كثيراً عن المسار الصحيح

ما أن مرت دقائق قليلة وإذا باب الغرفة يطرق على عدة مراحل متتالية ، ما زالت شهرزاد مهيمنةً على نومها ،

بعد تكرار عملية طرق الباب لدقائق قصيرة ، أصبحت كل الأشياء تطن في أذنها ، تصحو من نومها بحالةٍ من الهلع لما يحدث حولها من الصباح الباكر تظن أنها تحلم إلا أن الحقيقة تفرض ذلك دائماً ، يهجد النوم فوقها كجبل كبير انهال على صخرة صغيره وحجب عنها نور الأيام التي لم تراها كباقي الصخرات التي تقف في أعلى الجبل رغماً عنه ودون تقديم فائدة او منفعة ، تحاول النهوض إلا ان شيئاً ما يصفعها مجدداً ويتمسك بها خوفاً من أن تهرب دون موعد محدد

يمر الوقت وما زال الشخص يقف خلف الباب يكرر العملية نفسها كل دقيقتين ، على أمل أن تنهض شهرزاد وتطرد ذلك العجوز الذي عمره لم يتجاوز الساعات ، وأصبح مزعجاً للغاية ،

بوجهٍ من الأمل وروح مشحونة بالطاقات ، تنهض من فراشها على صوت الطرقات الذي ظنته حلمًا إلا أنه كان الحقيقة المجهولة تسير نحو الباب بصوت واطئ جداً ونبيرة خشنة ، من خلف الباب ، يجيب الشخص ، أنا مسؤول المنح الطلابية ، أود إخبارك بان يوم غد هو يوم تسليم الاختراعات والأبحاث التي جئت إلى هنا من اجلها ،

يستمر الحوار من خلف الباب ،: شكراً لك وسأكون على الموعد
وفي الوقت المناسب ، المسؤول ،: حسناً نحن بانتظارك في غضون
الساعة الخامسة عصراً ، والى اللقاء ،

يذهب المسؤول من خلف الباب ، لتعاود الرجوع إلى سريرها بوجه
من الإرهاق والنعاس ، ها هي الآن تعود لتجلس في المكان الدافئ
التي كانت تسافر منه دائماً إلى عالم آخر يكاد قلبها أن يلامس
السماء وتعاقد النجوم بأعينها ،

محاولة منها أن تعود للخلود إلى النوم ، لأنه ما زال أمامها وقت
طويل والصباح لم يبدأ بعد

تجلس على السرير ، تتساقط الأرواح المظلمة من السماء ، الجو
يزداد ارتباكاً وخوفاً ، بحالة من العناق للقدمين تجلس على
سريرها يعانق ظهرها الحائط وتهز برأسها مع وضع إصبعها في
فمها وهي تنهش من أطرافه كما ينهش الأسد من فريسته ،

إنه لا يجدي التفكير نفعاً ولا يقدم في شيء غير أنه يزيد من
الخوف والتوتر عند الشخص نفسه ، حتى أنه لا يؤثر على المكان
المحيط به ولا على الجدران والأسقف ؟ فإن كانت اللمبة لم تحرق
نفسها من أجلك وأنت تطاحن الزمان والمكان وتلاحق نفسك دون
حسبان ؟ هل فكرت ان طلاء السقف الجديد سيتعفن حزناً عليك ،
ستكون مغفلاً إن فكرت بهذا الشكل وبهذه الطريقة

عليك دائماً ألا تفكر كثيراً وأن تبتر أقدام الخوف من أمامك وان تخرس دقة الساعة وهدوء المكان من حولك ، وان كلفك الأمر وسعاً لا بأس إن غيرت مكان جلوسك بدلاً من زاوية هادئة وعلى سرير باهظ الثمن وتحت إنارة ساطعة ، مثلاً تستطيع أن تجلس على محرك سيارة وتمكث عليه طويلاً ، لربما تستيقظ وأنت في آخر الطريق الذي كنت تسعى إليه دائماً في أحلامك

بشكلٍ أو بأخر تمر الدقائق والساعات ليقترب موعد تسليم شهرزاد لعملها ، تقول في نفسها انه عليها مراجعته وتفحصه جيداً قبل ان تسلمه إلى الجهات المسؤولة عنه

تنهض من السرير بعودتها إلى رشدها مهيمنة على كل شيءٍ من حولها ، تذهب إلى خزانتها ، بعملية تفتيش سريعة عن جهاز اللابتوب والقرص المرن الذي قامت بحفظ ابتكارها عليه ، وهو عبارة عن برنامج روبروت يستخدم لعمل البرمجة الكاملة و الفورمات للأجهزة الالكترونية

تبحث بين الرفوف . تنتشل جهاز اللابتوب ومعه قرصٌ مرن ، تتربع على الأريكة بحالةٍ من الشوق الشديد ، تفتح الجهاز وتضع القرص المرن وتنتظر قليلاً حتى ينتهي الجهاز من عملية التعريف على البرنامج

بلحظات قليلة يفتح البرنامج الذكي ، كما هو من السابق ومن اللحظة التي انتهت هي وصديقتها سارة ، الآن تشعر وأنها تجلس

على السحاب وكان الملائكة تضع أجنحتها عليها محلقة بها إلى
الجنة

يبدأ التعب بالزوال وشعورٌ بالطمأنينة وكأنها لم تقطع صلاتها
سابقاً ، بوجه بشوش و تعابير لطيفه ، تحاور نفسها لكي تجري
اتصالاً سريعاً على صديقتها التي ساعدتها كثيراً للوصول إلى
هذا المكان

تخرج هاتفها من جيبها وتطلب رقم صديقتها سارة ، تجري عملية
الاتصال وتنتظر الرد يرن الهاتف بضع قليله ، لترد سارة
الان ، مرحبا يا عزيزتي كيف حالك لقد اشتقت إليك طمأنيني
عن حالك ،

شهرزاد : أنا بخير يا عزيزتي ولأنك بجانبني سأظل بخير والى
الأفضل ، لكن ما حال أمي وإخواني

سارة : تدوم عليك العافية وأتمنى لك الأفضل دائماً ، وأمك
بخير فقط تقوم بالدعاء لك دائماً وتفخر بك أمام الجميع ، رغم
انه يوجد كثيراً من الحاقدين إلا أنها لا تتأثر بهم وتضع لهم
حدوداً بردها عليهم بكلامٍ يلائم حجمهم

شهرزاد : سلمتي ، اه يا سارة لو تعلمين ما مدى اشتياقي إلى أمي
وإخوتي ، إنني لا أستطيع النوم من كثرة تفكيري بهم ، وبحالهم ،
أخاف أن يمس احدهم سوء ، وأنا أموت من الحسرة عليه دون فائدة
ولا جدوى ، وأيضاً أولائك الأشخاص هم آخر همي ولا تهمني

أقوالهم وأرائهم عني ، فأنا اعرف نفسي جيداً واعلم أين أسير ولن
يضيع تعب أعوام من أجل رضا أحد عني

سارة : سيزول كل شيء وتعود الأمور إلى مجرياتها كما لو لم
تكن سابقاً ، ولا تفكري كثيراً لأن الحياة ستبقى تسير بخيرها
وشرها والتفكير لن يغير في شيء ،

شهرزاد : إنك على حق ، ولا أريد أن أطيل عليك كثيراً ، لكن
أردت إخبارك بأن غداً هو موعد تسليم الابتكارات لجميع الطلبة ،
أنني اشعر بالحماس كثيراً ،

سارة : منذ زمن لم أسمع أخبار سارة كهذه ، إلى الأمام وأتمنى
لك التوفيق أكثر من أي وقت مضى ، لأنك تستحقين وبجداره ،
شهرزاد : عليك بالدعاء لي فقط ، وسيكون كل شيء على ما يرام ،
ولا أود أن أطيل عليك كثيراً ، نتكلم لاحقاً ، إلى اللقاء

ينتهي الاتصال الهاتفي لتعود الأمور إلى مجرياتها ، وبهذا الوقت
الطويل يكون الصباح قد ولى ليحل مكانه مساء يخبئ داخله
أحلاماً ورديه وطموحات انتظرت منذ زمن بعيد

الساعة الأم الواحدة مساءً ، ما زالت شهرزاد بحالةٍ مكرّبة وليست
على جاهزية تامة للدخول في ساحة الحرب الطاحنه ، تسير نحو
المرأة ، تقف بكامل قواها الجسدية والعقلية ، تطيل النظر في نفسها
تحقق طويلاً بشرود ذهني يأخذها إلى عالم بعيد ، رجل غريب

يرتدي وشاح أسود يحمل في يده سوطاً طويلاً ويضرب به على رأسها وكافة أنحاء جسدها دون رحمة منه أو شفقة ، ما زالت تطيل النظر لترى أشياء مرعبةً أكثر مثل شخص يسحبها أعلى القمة ويغمض عينها بقطعة قماش مخلوطة بالدماء ، ليقوم بدفعها نحو الصخور واليابسة حتى ترتطم على الأسفلت وتعاقد الحصى ، لتلقى نفسها جثة هامدة ،

ما زالت تقف بنفس المكان ، ها هي الآن تعود إلى رشدها تتواري من خلف هذه الأشياء محاولةً إبطال الرؤى في عينها ، تخيلات توحى بأنها ستخسر شيئاً ثميناً ، لكن في الحقيقة هي لا تهمها نفسها بقدر ما تهمها أن تحقق الشيء الذي كان سبباً لمجيئها إلى هذا المكان ولو كلفها الأمر أن تصبح جثة هامدة على حقيقة هذا الواقع الصعب

إنه لمن الصعب أن يحقق المرء ما يريد ، قد يحتاج في بعض الأحيان أن يحظى بكل ما يملك من العائلة والأصدقاء والعمل ، قد يحتاج إلى أن يبتعد أكثر من السابق ، ان يبتعد لدرجة يقترب فيها من نور القمر ولمعان النجوم ، ليستطيع رؤية الطريق المؤدية الى تحقيق الأحلام والطموحات ، والشغف الكبير تجاه الشيء المراد ، هو الذي يدفعك إلى طريق لم تسلكه من قبل ، ستظن انك قد أضعت الطريق وأنت في بدايته ، لكن عليك أن ترفع رأسك جيداً وتحقق طويلاً في المسار الذي تسلكه لعلك تجد إشارات تدل على سلامة

الطريق و سهولتها أمامك ، فقط عليك المجازفة والتحلي
بالصبر والشجاعة

يسير الوقت بلا تضامنٍ مع احد ، تدق الساعة كعادتها والعقارب
تلاحق بعضها البعض وهي لا تعلم بأن لكل واحد منهم عمل
يختلف عن الآخر ، لا بأس في ذلك

بعد جلوس طويل لشهرزاد على أريكتها وهي بحالة من الهدوء
الداخلي تنظر إلى ساعة الحائط بنظرة مشوشة ، تصاحبها حالة
من الكسل ، لتعاود النظر مرةً أخرى لتجد أنه لم يتبق على
موعددها سوى ساعة واحدة ،

تنهض وكلها هَلَعٌ لأن الوقت يمر مسرعاً ولم يتبقى أمامها الكثير
لتجهز نفيها على أكمل وجهٍ وتظهر على الشكل المناسب أمام
اللجنة المسؤولة عن الابتكارات وما شابه ذلك بما يخصها

تتوجه إلى الحمام لتأخذ دشً سريعاً تعيد به النشاط والحيوية إلى
جسدها

تمكث داخل الحمام قرابة العشرة دقائق لتخرج الآن بحالٍ أفضل
مما دخلت عليه ، ذاهبةً إلى غرفتها لتلبس ملابس تليق بالشكل
الذي يتناسب مع حجم الفائدة العائدة لها من خلف لقاء بسيط
كهذا

تقف أمام خزانها تفتح الباب لتحقق طويلاً وهي بحيرة من أمرها . ماذا سترتدي من الثياب التي ستناسبها للظهور أمام اللجنة المختصة

تبحث بين الرفوف ثقلب الأبيض والأسود الفاتح والداكن ، تنتشل قميصاً تركوازي اللون وتضعه على جسدها وهي بحالة من الفرح الشديد ، تبحث عن لونٍ يتناسب مع لون قميصها ، ثقلب في خزانها باحثةً عن اللون البيج والذي يتناسب مع لون بشرتها ويتناسق مع اللون التركوازي ،

تبدأ بعملية ارتداء الثياب ، وشيء ما بداخلها يقول لها بأنها الآن تسير بأخر خطواتها للنجاح وأن الأسفلت سيكون شاهداً على ذلك،

تنتهي من كل شيء . أمام المرأة بشكل كما لو لم تظهر عليه من السابق ، كل ما بها يشد إلى الفتنة من حسننها وجمالها ، تبسم للمرأة وتحادث نفسها بكلمات غير مفهومةٍ أو بالأحرى هذه لغة الملامح التي لا يفهمها أحد سوى القلب عندما يطمئن الشخص بأن كل شيء على ما يرام

تعود إلى خزانها لتجلب معها القرص المرن الذي بداخله كل الطرق والمسافات وجميع معالم الإسفلت وكل الارتطامات التي أوصلتها إلى هذا المكان من بعد عناء شديد ، هذا القرص بداخله

الاختراع الذي سلب منها الكثير من الأشياء التي لا تُسلب من فتاة أخرى ، لكن كل شيء كان بإرادتها

لحظة الانتهاء من كل شيء ، لتخرج من غرفتها متوجهة الى المكان الذي ستجتمع به الوزارة مع مجموعة الطلاب الذين لديهم ابتكارات واختراعات يريدون عرضها وتطويرها بأقل السبل والإمكانيات .

مجدداً تقف على الإسفلت ، في حرم الجامعة تسيير والجميع ينظر إليها ، ترتدي حجابها ولباسها المحتشم وشدة جمالها وفنتتها جعلت الجميع ينظر إلى ملامح وجهها بدلاً من جسدها .

تواصل سيرها المعتاد بخطوات واثقة بأنها ستكون حليفةً للنجاح ، ها هي توشك على الوصول ولا يفصلها عن القاعة التي تتواجد فيها اللجنة المسؤولة عن المنح الطلابية والابتكارات وكل الأمور المتعلقة بذلك ، سوى بضعة أمتار ورواق صغير

تصل عند الرواق تمر بداخله وهي تحاول ان تخلق شخصيةً أخرى أمام كل المألّ العام والحضور الطلبة منهم والمسؤولين

ها قد وصلت إلى القاعة تقف قليلاً وهي تحدد بروعة المكان وجماله وهي تُحدث نفسها عن كمية الطاقة المنبعثة من جوف المكان إلى داخلها ، بعد تحديقٍ طويل وإطالة للنظر إلى ما هو جميل بالنسبة لها وعادي في نظر غيرها

تبدأ الابتسامات بأخذ حيزاً على وجهها ، تتقدم بضع خطوات قليلة لتجلس على المقعد المخصص للطلاب ، وهي تمر من بين الجميع تلقي السلام على من تقع عينها عليه بابتسامات لطيفة تظهر للناس عن مدى لطفها ورخائها مع الجميع

بعد أن جلست على المقعد ، تستدير برأسها وهي تنظر إلى الخلف المكان الذي يجلس عليه الحضور لتجد أن هناك آباء وأمهات وأصدقاء أيضاً قدموا مع بعض الطلاب لحضور هذا اليوم الذي يعد يوماً عظيماً يشاركون فيه فرحتهم مع ذويهم وأقاربهم ومن كانوا معهم سند إلى حد هذه اللحظة

تعاود الرجوع إلى وضعيتها الطبيعية موطئةً رأسها بالأرض حزناً على نفسها وهي تشعر بالوحدة والأسف لأن احد الأشخاص المهمين غائب عنها في هذه اللحظة ، تسوء حال ملامحها وتظماً كشمعة وضعت داخل أنبوب وملاؤه بسوادها ويتوقف الأوكسجين عنها ،

لكن لا محال في أن تكمل الطريق وحدها وتتعلم كيف على الشخص أن يكون صبوراً ويواجه كل الأشياء من حوله دون يأس واستسلام ، إلى اللحظة التي يكون فيها قد امتلك سيفا وغمداً وعتاداً كاملاً يستطيع العودة به إلى مكانه الأصلي

بعد لحظات قليلة بمرور الحزن عليها وبشعورها بالنقص لما تراه حولها من حشود كبيره من الناس قادمون مع ذويهم وأبنائهم وهي تجلس لوحدها دون احد ، هنا تبدأ حكاية القوة والصلابة والمتانة ،

تعود إلى رشدنا ويبدأ جميع الحضور بالاستعداد لبدء هذا المؤتمر القصير والبسيط والذي من خلاله سيتم التعرف على الطلاب وعلى أهدافهم وطموحاتهم وما الشيء الذي ابتكروه وقاموا باختراعه ، تلملم نفسها وتجلس على مقعدها وهي تدعوا الله في سرها ان يناولها الأفضل ويعوضها عن كل التعب الذي مرت به وأن لا تعود إلى ديارها خائبةً لما أرادته وأحبته منذ صغرها

لحظات قليلة يبدأ أحد الأشخاص المسؤولين بالتحدث والقاء كلمة يرحب فيها بالضيوف والطلبة ، يظهر المسؤول بالتحدث الآن :

سيداتي وسادتي الطلبة الكرام والأهل الأعزاء أود أن أشركم على جهودكم مع أبنائكم وأيضاً أوجه احترامي وتقديري لكل طالب ضحى كثيراً من أجل أن ينال مراده ومن أجل هذه اللحظة التي ننتظرها في كل عام مع فوج جديد ، وفي هذا اليوم أتمنى للجميع النجاح دون استثناء بقادر جهودكم وعطائكم الكبير

ينتهي المسؤول بإلقاء كلمته باختصار ، ليبدأ شخص آخر من المسؤولين بالتعرف على الطلبة جميعهم وما هدفهم وطموحهم إلى حد هذه اللحظة

بعد قرابة النصف ساعة ينتهي المسؤول من التعرف على جميع الطلبة باستثناء شهرزاد ، ليكون الدور قد وصل عندها ، ليبدأ بالتحدث إليها

المسؤول : ما هو هدفك إلى حد هذه اللحظة وأيضاً ، إن كان بإمكانك أن تروي لي كيف كانت طريق الوصول إلى هذا المكان ؟
شهرزاد : في الحقيقة هدي في إلى حد هذه اللحظة هو أن يتحقق بالشكل المطلوب وكما حلمت سابقاً وكما رسمته في مخيلتي ، وأيضاً أريد أن تزداد المعرفة في مجتمعي وأن أكون قد حظيت بمكانة أمام جميع الناس ، وان يكون هذا الابتكار له فائدة في كل مكان يوجد فيه

وهذا لنفسي أولاً قبل ان يكون لأي أحد آخر ، فانا التي تعبت وعانت ولم تعرف للنوم معنى وتخلت عن كثيراً من الأشياء مقابل شيء واحد ، وفي نهاية المطاف أمل أن كل ما أسير إليه يكون صحيحاً وله فائدة لي ولأسرتي

وطريق وصولي إلى هذا المكان كان صعباً للغاية واستغرق مي الكثير ، فانا من الأساس قد نشأت في أسرة فقيرة ومنذ ان كبرت وأصبحت مدركة للأمور علمت أن أبي مصاب بمرض خبيث ولا يستطيع العمل فكانت كل الأحمال موضوعة على عاتق أمي ، فمن حد تلك اللحظة أيقنت أن الحياة في نظري صعبة جداً ولن أستطيع أن أنال الشيء الذي أريده بسهولة ، لأنه لا يوجد من يحضره لي او يسهل الطريق علي ، فباشرت بالسعي كثيراً ومضت علي شهور كنت لا أرى فيها أحداً ولا اخرج أمام الناس والبعض كان ينعتني بالمغفلة والانطوائية ولكنهم لم يكونوا يعلموا ما هو

حالي وما هي الظروف التي أجبرتني على ذلك ، ورغم كل شيء رأيتته وذقته إلى أني لم استسلم حتى في لحظة دخولي إلى المستشفى ، ازدادت قوتي وشعرت بأني خلقت من جديد ، وبدأت طريقاً جديداً كنت حينها قد نضجت عن السابق قليلاً ، وبعدها بفترة توفى والدي وكانت هي صفعتي الأولى التي أتلقاها من الحياة ، وكان الشيء صعباً جداً علي وعلى أسرتي وإلى حد الآن ما زال الشوك عالقاً في حلقي ، إلى أن وصلت إلى ما أنا عليه وبالشكل الذي تراني فيه أمامك

يتأثر المسؤول من كلام شهرزاد وهي تروي قصتها له ، مقارنة مع غيرها من الطلاب الذين وصلوا إلى هذا المكان بكامل الرفاهية وهي وصلت دون أب ولا أم ولا حتى صديقة ، انه لأمر محزن جداً ، توشك الدموع أن تنهمر من عينه ، بموقف لا يسمعه احد ويستطيع تمالك نفسه . يلتقط المسؤول أنفاسه معاوداً الحديث مع شهرزاد ،

المسؤول : في الحقيقة إن أمرك صعب جداً وأنا ارفع قبعتي احتراماً لك ولأمثالك لأن مشوارك كان مليئاً بالتضحيات والعثرات الكثيرة ، والجميل انك لم تستسلمي لشيء وبقيت تتابري إلى آخر رمق ، شهرزاد : في الحقيقة الحياة كانت تعلمني من كل موقف يحصل معي درس لم أكن أتمكن من نسيانه في المرة القادمة ، فمع تكرار الشيء ، أصبحت اعلم الكثير عن أمور الحياة وزادت خبرتي

عن الأشياء ، وأوجه كلامي إلى كل الحاضرين ، ان لم تذقك الحياة طعم المرارة وصعوبتها ، عليك ان تقوم بالتذوق لوحدك وان تسير في طريق مليئة بالأشواك لعلها تعلمك دروس تستفيد منها في حال سلكت طرق أخرى جديدة ، وان اعتدت على ان كل شيء تريده سيكون في حوزتك بمساعدة أشخاص آخرين ، سيأتي عليك يوم لا تجد فيه أحد ليعطيك ما تريد ويضعه في حوزتك ، وفي هذه اللحظة ستدرك معنى كلامي جيداً

بعد حديث عميق ومؤثر بين المسؤول والفتاة ، يقول لها : تستحقين أن تنالي المراتب الأولى بجداره وأيضاً تستحقين من خلف هذا التعب ان يكون لك اسمٌ يتداول بين جميع الناس افتخاراً بما قمتي به رغم الظروف السيئة ،

ينتهي الحديث الآن ليعود كل واحد إلى مكانه ورشده التام ، ولا شيء يضاهاى شعور الفتاة بالرضا عن النفس امام الجميع لما اخرجت من كلمات مكتومة بداخلها كدماء تخثرت داخل إصبع احدهم لاصتدامه بشيء صلب ، ولم يعد يعرف كيف يعالجه سوى بالصراخ ،

أحد المسؤولين يتحدث إلى الطلاب ويقول لهم : احضروا لي أعمالكم التي حفظتموها على أقراص مرنة وستقوم جهاتنا المختصة بالبحث حول الاختراعات وتقييمها والنظر حول احتياجها بالنسبة للوطن والمواطن وعلى الصعيد العالمي ، وسيكون

موعد الإعلان عن النتائج في غضون ثلاثة أيام ، وسيكون هناك
مكافأة لكل شخص يتصدر اختراعه المرتبة الأولى

تتقدم شهرزاد لتسلم اختراعها المحفوظ على القرص المرن ، وهي
تخفي بداخلها فرحة أعوام وفرحة أناس كثيرون غيرها ،

المسؤول مرةً أخرى : شكرا لكم جميعاً على حضوركم هذا
ومجيئكم إلى هذا المكان الذي من خلاله سنقوم بتعزيز وتطوير
الكثير من المهارات لدى طلابنا وأبنائنا ، ونراكم في غضون ثلاثة
أيام في نفس الموعد

يبدأ الناس بالمغادرة من القاعة وشهرزاد تجلس وحيدة صماء ،
بعيدةً عن فوضى العالم الخارجي تنصت إلى هدوئها الداخلي
محاولةً الابتعاد عن التفكير بما سيحدث في الأيام القادمة

لم يتبق احد في القاعة ، مجبرةً الآن على النهوض والمغادرة كباقي
الناس ، تنظر من حولها لا أحد سوى المقاعد ، تفوق على نفسها
لتنهض بسرعة كبيرة متوجهة إلى بوابة المغادرة

تخلي المكان بدقائق قصيرة ، لتكون الآن على الأسفلت مجدداً
وخارج القاعة تماماً ، تسير متوجهة إلى غرفتها لا شيء يدور في
ذهنها سوى أن تنام قليلاً لتهرب من حرب الأفكار التي لا تعرف
أحداً ولا تصغي لأحد سوى أنها ترتبط بالمشاعر والأحاسيس أكثر
من اللازم

ها هي تصل إلى غرفتها خلف الباب ، تخرج بطاقتها كالعادة وتمررها في مكانها المناسب ، يفتح باب الغرفة لتدخل بحالة غريبة من نوعها ولا تدري ما عليها فعلة . يجتاحها شوق كبير ودافع من الفضول لمعرفة نتيجة اختراعها ، تشعر أن الثلاثة أيام بحجم ثلاثة سنوات وأكثر ، لا بأس المهم أن لا يذهب كل هذا التعب فراتاً وهباءً منثوراً ، لأن الشخص الذي تُسلب منه طفولته في مرحلة نعومة أظافره ، ولا تسنح له فرص للعيش كباقي الناس ، لكن بصبره وصلابته وتحمله لكل هذه المشاق . يجب ان ينال في نهاية المطاف شيئاً يليق بحجم تعبهِ وشغفه للشيء الذي أرادهِ ويات معلقاً دون علم أو معرفة عنه

تخلع قميصها وتلقي بنفسها على أريكتها التي تساند الحائط . بوضعية من الجلوس ترفع قدميها بشكل مستقيم ومتساوٍ لتضعهم على مقعد ، بمحاولتها أن تريح نفسها بالشكل الكامل ،

ترفع رأسها محدقةً بالسقف وتفاصيله ، تنظر إلى جمال وزخرفة الطلاء الحديث الذي لم يلفت أنظارها من اللحظة التي دخلت بها إلى الغرفة سابقاً منذ قدومها من المنحة ، والى حد هذه اللحظة التي توشك فيها أن تنتهي من كل شيء ، تتأمل بجمال المكان من حولها ، لتبدأ الآن بحوارها الداخلي كالمعتاد لتقول في السابق كنت اجلس تحت سقف خرب وانارة باهتة للمبة وعنكبوت يرقد في كل زاوية من الغرفة ، والآن اجلس على أريكة من النوع الباهظ

ومن القماش الثمين وتحت سقف تملأه الزخرفات والطلاء الحديث
ولبة من النوع التي لا يؤثر شعاعها على العين ،

وفي الحقيقة لا يوجد فرق بين الخراب والجمال ، إلا أنني استنتجت
شيئاً واحداً وهو عندما تكون الموارد عند الشخص قليلة ولا يكون
الجو المناسب موفراً بالشكل اللازم تزيد براعته في ابتكار الأشياء
والمجازفة من أجل تحسين الأوضاع إلى حال أفضل وعدم اعتماده
على أي شخص كان ، سوى أن يستمر في المحاولة للوصول إلى
المراد والمطلوب ومهما كان الأمر صعب إلا أنه سيتحقق رغماً عن
كل شيء

وفي الغالب عندما يكون الجو مناسباً وموفراً للشخص كل الأشياء
التي يريدها ، من المحتمل أن تصاب روحه بالعجز والملل من أن
يبتكر شيء جديد ويحاول أن يقدم منفعة لنفسه وللآخرين إلا أنه
سيجد أن كل الأشياء التي يريدها موفرة بالشكل اللازم وأكثر
وفي هذه الحالة سيصاب الشخص بالفشل وتعويده على أن كل
شيء يريده سيكون موفراً بالشكل المطلوب ،

وفي هذا السياق أود أن أقول : ان كلما قلة الموارد والمساعدات
الخارجية أمام الشخص ، سيكون مبتكراً وناجحاً بالشكل الذي
يناسبه ويناسب من حوله ، وإن زادت الموارد وكان كل شيء موفر
بالشكل المطلوب ، ستتعدد الأمور أمامه ولن يستطيع إدراك شيء

وسيلجأ للمساعدة من أناس آخرين رغم أن كل شيء أمامه يتضح
بسلاسة عالية

بعد استلقاء طويل وبعد ان اجتاحتها حرب الأفكار الطاحنة
ومسألة الحسابات التي لا تنتهي ، تشعر بأنها أخذت قسطاً من
الراحة بالشكل الكافي ، محاولة النهوض

بحالة من الأرق والتعب والهزل ، تقف على قدميها وهي تسير
وتجبر نفسها مثل قطعة تناولت الطعام وأصابها كسل شديد ،
تخطو إلى الأمام متجهة إلى المغسلة لتشطف وجهها بقليل من الماء
محاولتها لطرده تلك الكوابيس التي تقترحها ما بين اللحظة
والأخرى

تنتهي من عملية التgisيل لتعود إلى سريرها ، تحديق في أرجاء
الغرفة وكأن الظلام يزداد في المكان ، بوضعية منها تضع قدمها
على السرير وأخرى على الأرض ، لتفتح الستارة وترى إن كان
الظلام قد حل في الخارج أم أن شيئاً ما أغشى عليها لدرجة الطمس
والسواد . تلقي نظرة من نافذة الغرفة لترى الظلام في الخارج يخيم
شيئاً فشيئاً ويزداد بمرور الوقت كالمعتاد

تلملم نفسها الآن وتنظر إلى ساعة الحائط لترى أن الوقت قد مر
مسرعاً وأكثر من أي وقت مضى والساعة الآن التاسعة ونصف
مساءً . ترقد في سريرها وتشعل الللمبة التي بجانب سريرها ، إنارة

خافطة تساعد الشخص على النوم بسرعة أكثر من أي وضعية أخرى

بحالة من السهو تقول شهرزاد : عليك المقاتلة بشرف كبير تجاه أشياءك وبدافع حب كبير وقناعة تامة على أن الذي تبذل قصارى جهدك عليه ، هو شيءٌ عائدٌ لك ومصالحتك الشخصية قبل كل شيء ، وعليك عدم التبرير قطعاً لأي بشري ، فالبشر في بعض الأحيان يتحولون إلى ثعالب مفترسه وكالضباع تفرز منهم موادٌ مخدرة يستطيعون أن يضيعوك في طريقٍ غير طريقك دون أدنى شعور منك وأنت تتأذى دون أن تشعر وكأنك مخدرٌ لعملية إزالة قلبك

كل الكلام الذي قيل سابقاً هو عن تجاربها الشخصية ليقتردي بها الغير من الأشخاص ويستفاد بها على مر العصور ،

تستلقي في فراشها كطفل صغير ، بوضعية من ضم القدمين وبانحناء على شكلٍ حلزوني ، لا شيء يدور في ذهنها سوى أن تحظى بنوم هنيء خالٍ من الأحلام والكوابيس المرعبة والتي باتت تلاحقها ما بين الحين والآخر ،

ينتشل الليل نفسه من داخل شهرزاد ، بمحاولةٍ منه أن يوقعها في نومٍ عميق ، تغلب نفسها بكل الاتجاهات ، الجو مؤهل للنوم والهدوء يملأ المكان ، ما زالت في فراشها. يزداد دفناً أكثر وأكثر

تمر الساعات ولا صوت يعلو على نسمات الهدوء ولفحات الهواء المتسرية من فوهة النوافذ ومن خلف الستارات . تغط الفتاة بنومها العميق ليبدأ الليل بتجهيز نفسه للانسحاب لأن مهمته قد توشك على الانتهاء في اللحظة التي تصحو شهرزاد من نومها ويكون الصباح في آنذاك قد أشرق من ساعات بعيدة

عن كذب بعيد في زاوية الغرفة المظلمة ، يجلس كابوس الأحلام ، يحاول الاقتراب منها ومحالة المس بأفكارها ، لكن تردعه قوة أنفاسها المتدفقة في أرجاء الغرفة ، ويؤنبه ضميره إن حاول المساس بها لأنه قد طُفح الكيل بسبب عدد المرات التي من خلال تكرارها تولد داخلها ضجيجاً لا يهدأ . لكن الآن لا شيء يضاهي طيلة الفترات التي مرت بها شهرزاد وهي تعاني من مصيبة لأخرى ، لقد كان الأمر وشيك أن يعرقل طريقها في المرة الأخيرة ، إلا أنها استمرت بالمحاولة حتى آخر رمقٍ عندها . هو الذي بقي لها الآن وكان خط الدفاع الأول أمام ذلك الكابوس

يبدأ النهار بالطلوع بحالة من القيظ وتشرق الشمس للمرة اللامعدودة ، يتسرب النور من بين ثنايا الستارة ، وما زال الوقت يمر حثيثاً دون انتظار . تستيقظ شهرزاد من نومها دون صراخ المنبه ولا ضجيج المركبات كما لو اعتادت سابقاً في الحي الذي نشأت فيه استيقظت من النوم وما زالت كل الهموم والأشواك عالقة على أجنان عينها ، تنهض في وضعية جلوس وهي تحديق بالأرض . ويبدأ

تملأها قلة الحيلة والتعب ، تفرك عينها لتصحو بشكل أفضل ،
وتزيل القذى المتجمع في زاوية عينها

ما زالت تحرق بنفس المكان وتهز برأسها لتستنتج شيئاً غير
معروف، تشعر باللاشيء كما لو أنها لم تشعر به سابقاً ، لو أن
صخرة كبيرة وضعت على صدرها لما ضاق بهذا الشكل ،

تقول شهرزاد بينها وبين نفسها ، أن على المرء أن يكون أكثر ذكاءً
وحنكةً ما بين الموقف والآخر ، لأن موقف واحد يثبت لك ويوضح
أمامك العديد من الأمور التي يجب تجنبها والتي ولم تكن تعي بها
سواء كانت خطأ أم صواب . وأيضاً يجب التقليل من التدقيق على
جميع الأمور والمسائل ، فبعض الأشخاص يتحسسون لدرجة
كبيرة ولا يريدون أن يفتش احد وراء أخطائهم المخفية ، فما زالت
الأمور تسير بالسليم يجب عليك أن تكون صامتاً مع نفسك حتى
النهاية

وأيضاً أن بلاد الغربية لا توحى بالأمان مهما توفرت لك السبل
والإمكانيات ، فلا وطن غير حزن الأم وعطف الأب ، ولن تجد
الأمان وأنت بعيداً عن عائلتك ، وان كانت هجرتك لدراسة
وقضاء فترة زمنية فعليك المعاودة من حيثما أتيت أو أن تقر
الاستقرار برفقة شخص آخر ينهي معك ما تبقى من حياتك
وتعتاد عليه كموطنٍ بديل عن الذي تركته وراءك في سبيل
الوصول إلى عيش أفضل من الذي كنت عليه

وأربعة أمور عليك إدراكها جيداً ، أن الغربة تزيد من الحب والاشتياق والمحافظة على العلاقات كما هي ، والغربة تصنع الرجال وتعزز من العزم فإن كانت لك سجنٌ ستعرفك ما هو معنى الحرية ، وإن كانت لك مقبرة ستعلمك ما معنى أن تعيش بكرامة ولذة كبيره برفقة من تحب ، وإن كانت لك داء فعليك الانتباه لصحتك جيداً وقبل كل شيء

وإن كانت الأيام ثقيلة عليك ، عليك أن تهرب بخفة روحك وبقدراتك التي تمتلكها تستطيع أن تراوغ كل الأمور التي تحاول الإيقاع بك ، فانجو من المرة الأولى ولا تنظر للخلف فتلقى نفسك مصطدماً في مكان لا يتناسب مع حجم الألم الذي لا تحتمله أنت وروحك

ما زال الصباح في بدايته ، تنهض شهرزاد بعد أن خمدت في جلوسها العميق وهي مع ذات نفسها تتحدث وتحاوّر تفاصيل الأشياء التي مرت بها ، محاولة إيصال فكرة للغير أن حياة الغربة ليست بهينة وإن الشخص الذي يسعى إلى تغيير ذاته ونفسه والوصول إلى قمة يريدها ، يجب عليه أن يتعب ويضحى كثيراً .

بمشي متثاقل وعدم اتزان ، تخطو متوجهة نحو الحمام وهي تجلب معها منشفتها وملابسها لتأخذ حماماً بارداً لعله ينشط الخلايا مجدداً ويعيد لها تركيزها واتزانها أفضل من السابق

داخل الحمام تخلع ثيابها . تلتفت برأسها وكأنه مكان غريب بالنسبة لها ، وكأنها ترى الشياطين لأول مرة ، تقف تحت دش الماء، تُشغل مسخنة الماء وتقف منتظرة انهماك المياه الساخنة من على رأسها حتى ترتطم بأسفل قدميها ،

تقف بأثقال جسدها المنهك ، بعد انتظارها لحظات قليلة على أن تنهمر المياه الساخنة ، صوت خرير الماء يأخذ مساحةً في أنحاء المكان ، لتبدأ المياه بالنزول بغزارة قوية على كافة أنحاء جسدها، تغسل شعرها وتضع الكثير من الشامبو عليه ، تكرر العملية بمراحل طويلة

تسرح في ذات نفسها تحت غزارة الماء ودفء المكان ، تتجدد الأفكار داخل عقلها ، تغمض عيناها وتحلق في الأيام القادمة . ترى النصر أمامها وكأنها خطف من الحياة شيئاً ثمين

يمر الوقت وما زالت شهرزاد تقف تحت دش الماء الساخن ، لتنتهي الآن من عملية الاستحمام بإغلاقها لشبر الماء ليعود الهدوء كما كان وتعود هي إلى عالمها الأصلي والذي والى حد هذه اللحظة لم تستطع الهروب منه بحالة طبيعیه ، في كل مرة كان يصفعها شيئاً يختلف عن الآخر يأخذها لعالم غير الذي هي به الآن . عالمٌ سفلي تخرج من حوض الاستحمام ، وقطرات الماء تتساقط من على جسدها ومن بين خصل شعرها ، تبدأ بتنشيف نفسها جيداً

وترطيب جسدها بأفضل حال ، لترتدي ملابسها الداخلية وتظهر في غرفتها وتباشر بعملية لبس ملابس الخروج

تجلس على أريكتها المقابلة للمرأة ، بإمعان النظر في تفاصيل وجهها الجميل وملامحها التي تثير بالهدوء وعدم الصخب ، تضع يدها على شعرها المبلول . لتقوم بتسبيله قبل تمشيته بالشكل المطلوب ، تقف مجددا لتستدير إلى خزانة الملابس ، تفتح باب الخزانة بإصدار صوت نعيق يشبه صوت الغراب لربما تحتاج الخزانة إلى صيانة ، لا يهم . تقلب بين الرفوف باحثاً عن لباس فاتح اللون ، تُقلب الفاتح والغامق وجميع الألوان ، ها هي الآن تقف حائرة تضع يدها على خاصرتها والأخرى تحك بها رأسها . تعود مجدداً لتنتشل بنطال لونه اسود مشابهة للفترة التي عاشتها قبل مجيئها الى هذا المكان ، وتأخذ ايضاً قميصاً من اللون الزهري الفاتح .

ترتدي البنطال ، تشعر بالضيق من أسفل قدميها رغم أن البنطال فضفاض تشعر بذلك كيف كانت الحياة تخنقها في كل مرة كانت تحاول الفرار بأقل الخسائر

أوشكت على الانتهاء ، تقف أمام المرأة بكامل قواها ، تحاول اصطناع ضحكة غير التي دفنت بداخل روحها منذ زمن . ضحكة تجعل منها شخصاً آخر أمام الأشخاص الذين ستقابلهم حينما تخرج

يسرق الوقت من خيالها لدقائق معدودة وهي تقف أمام المرأة ،
لتصحو الآن على نفسها وكأن المرأة خطفت من وجهها ملامح
الجمال كلها ، بحالة من الكركبة تغادر غرفتها كما تغادرها
كل مرة ، خارج الغرفة والسكن بأكمله ، تحت حرارة الجو العالية،
تسير متوجهة إلى حديقة الجامعة ومكان يجتمع في الهدوء
والخلاء ، والبعد عن تجمعات البشر وفوضاهم ،

بخطوات منتظمة وظل اعوج ، يحمر وجهها وهي تسير نحو
الحديقة وحرارة الشمس تسطع فوقها وكأنها المذنبه. لا بأس ها
هي الآن توشك على الوصول

رائحة الأزهار تستقبلها بالشكل الذي يتناسب معها ، أشجار السرو
تملأ المكان وباقات قوس قزح مصنوعة من الورد على أطراف الممرات
، مكان يبهج النفس ويريحها

تمر من فوق الحصى والذي ينبت من بينه نبات من الإنجيل ،
تستمر بالسير وهي تتلفت في أرجاء المكان ، تسير مباشرة باتجاه
أرجوحة صغيره معلقة تحت ظلال شجرتين متعانقتين منذ دهر
بعيد ، أجواءً مليئة بأنغام العصافير وألحانها ، مكان تجتمع فيه
الشمس وأيضاً في الوقت نفسه أشجار السرو تخيم الظل في المكان
بجانب الأرجوحة تضع يدها اليسرى بعملية اتزان للنفس . تمعن
النظر قليلاً بحدق ، لتلقى أمامها قطعة سوداء اللون لا تُرى من

عتمة الليل ، تسير نحوها بخطواتٍ ثابتةٍ باحثة عن عود خيزرانٍ لتطرقها به وتجعلها تلوذ بالفرار

تلوي القطة ذيلها يميناً ويساراً وعلى شكل نصف دائري . تتقدم شهرزاد ويدها مطرقاً من الخيزران محاولةً منها أن تعرض حياتها للخطر ، تستمر بتقدمها نحو القطة ، والقطة تحديق إليها بنظرات حادة ويبروز مخالبتها والتي تعتبرها خط الدفاع الأول لأي شيء يهدد حياتها بالخطر

مسافة صفر ما بينها وبين القطة ، بسرعةٍ بديهية ترفع يدها مع عود الخيزران وتحاول ضرب القطة ، ما إن رفعت يدها وإذا بالقطة تنقض عليها بمخالبٍ حادة كالسيف وأكثر ،

تنتهي الحرب ، لتلوذ القطة بالفرار وهي بكامل الأمان ، والدماء تسيل من يد الفتاة لأنها حاولت أن تمس بحياة الآخرين ، فكانت النتيجة أنها لاقت رداً قوياً لم تكن تتوقعه من حيوانٍ أليف

تنظر إلى يدها بعد أن بردت أصابتها ، تشعر بالألم وبالضعف تجاه ما تعرضت له من قبل قطةٍ صغيرة . كانت تظن أنها الأقوى لكنها كانت مخطئةً عندما ظنت ان المطرق الذي كانت تحمله سيمنحها القوة الكافية لمواجهة القطة ، وهي لم تكن تعلم بأن الظلم حباله قصيرة ولا يدوم طويلاً

والشخص المظلوم يكون أكثر قوةً وشراسةً وحرصاً على كرامته وعلى نفسه من أن يمسه مكروه وهو لم يخطئ بحق أحد ، كذلك

القطعة هي التي نشأت وترعرت في المكان وهي من أصحاب الأرض ،
والفتاة هي الشخص الغريب الذي لا يملك من المكان شيء سوى
الجلوس والاستمتاع بالوقت كباقي الأشخاص . فكانت طريقتها
في طرد القطعة غير مناسبة ، إلا أنها لاقت ردع قوي قد يعلمها
الكثير من الأمور ، كعدم معاودتها للمساس والتدخل في شؤون
الغير

وظنها كان خاطئاً عندما ظنت بأن الحيوانات التي في بلاد الغرب
كتلك الحيوانات التي في بلادها ، فالقطعة والكلاب وغيرها ،
يتمتعون بحياة أفضل من حياة بعض الأشخاص . وأيضاً توجد
مراكز عناية مخصصة للحيوان حفاظاً على سلامة حياته ، ومن
الشيء الذي لم تكن تعلمه ، بأن هذه القطعة هي صاحبة هذه
الحديقة ولا يحق لأي احد كان أن يقوم بطردها أو يعرض حياتها
للخطر

تتطأطئ الفتاة رأسها بالأرض على ما قد فعلته ، يؤنبها ضميرها
وحالة من التمني لو أن القطعة تستطيع الكلام ، لذهبت إليها
وقدمت اعتذارها الشديد على ما حصل ، لكن على المرء أن يخطئ
لكي يتعلم ،

فما دمت تسير بخير وتنعم بحياة هنيئة خالية من العثرات
والكدمات ، عليك ان تبقى بعيداً عن حياة الآخرين دون أن تقوم

بأذيتهم بشكل لا يتناسب مع حجم تربيتك وأخلاقك الحميدة .
وكما تود أن تعيش بسلام ، اجعل غيرك يعيش بسلام .

تهداً الحرب ، ويعود كل واحدٍ إلى دياره ، الفتاة تعود بالهزيمة ،
والقطة من كئيب بعيد تقف على جدارٍ استنادي وتلحق محالبها
التي لطخت بدماء شهرزاد . ابتهاجاً بدفاعها عن نفسها وخروجها
بأقل الأضرار والخسائر

ها هي الآن تعاود الرجوع من حيث أتت وهي تسير مثل الغريب عن
الديار وكأنها لم تأتي إلى هذا المكان من قبل . تنظر الى يدها
بحالة من الضعف وهي تضمد إصبعها بيدها الأخرى رغم أن مكان
الجرح قد جف والدماء قد نشفت في مكانها

تخطو مسرعةً وحرارة في الجسد تتدفق إلى الأعلى ، توشك ان
تصل إلى غرفتها لأن موقع السكن بجوار الحديقة ولا يبعد مسافة
مئة وخمسون متراً . تتوجه إلى المصعد وتصعد فيه مع مجموعة
من الأشخاص مختلفون الجنسيات واللون . ينظرون إليها
باستغراب رغم أنها بمظهر لباس جيد ، إلا أن الخطأ كان في
تعايير وجهها حيال ما تعرضت له

يتوقف المصعد على الطابق الثالث ، تخرج منه بحالة من الجنون
بين الممرات بحالة من عدم التركيز وكأنها أضاعت غرفتها ،
تتلقت يميناً ويساراً وتعود بذكرتها مع هدوءٍ داخلي . لتتذكر أن

عرفتها تقابل لوحةً فنيةً كبيراً مثبتةً على الحائط وتعني ، عدم
التدخل في شؤون الآخرين

تقول شهرزاد : يا للهول ما الذي يحدث منذ الصباح !! هل يعقل
بأن كل هذا الخراب ناتجٌ مني ، . تسأل نفسها بلغة من العقاب
والمعاقبة إلا أنها لم تتوصل إلى المسار السليم . بمشيٍ خفيف وهدوء
تسير وهي تنظرُ في عممة خيالها وكما استدلّت على مكان غرفتها
، تستمر بالمشي إلا أن وصلت الآن . تأخذ نفساً عميقاً وتتهد
كطفل صغير ، وتقول الحمد لله على كل حال

تسند نفسها على الباب ، وتخرج البطاقة من جيبها لتفتح الباب
كالمعتاد ، باستدارةٍ نصف دائرية ، تمد يدها نحو المكان المخصص
للبطاقة لتفتح باب الغرفة وهي واقعةٌ عليه بكامل ثقلها بضعفين
لشدة ارتخائها وهزلها الشديد . بطريقةٍ أو بأخرى في لحظةٍ اغشي
فيها على السماء تلقى شهرزاد نفسها على سريرها الذي يستقبلها
دائماً بأحضان من الدفء والأمان . بإرخاء جميع أطرافها وحواسها
الخمسة فوق السرير . يحوم النعاس فوقها لكن لا محالة للنوم في
ظل أوضاع كهذه

تقترب الساعة من الرابعة عصراً ، ساعةُ الشيطان بدأت . وما تزال
في استلقائها على السرير وغماض عينيها وارتخائها التام
ومحاولتها لخلق واقعٍ اخر غير الذي كانت به

إنارة الغرفة مطفاةً والستائر تحجب ضوء الشمس وانعكاس السماء على زجاج النوافذ . يزداد المكان ظلمةً كلما تقدم الوقت وتزداد هي محبةً وتعلق في السرير . بهدوء تام يبدأ عقلها بمراجعة الأحداث التي مرت بها ، ليقف عند حادث القطة والحديقة ؟

يبدأ العقل بالعتاب بصراخٍ لكلام غير مسموعٍ لمن هو غير ذلك الجسد المستلقي على السرير . يقول : كيف لك أن تفعلي فعلةً كهذه من أين أتيت بالجرأة التي جعلتكِ تفكرين بإيذاء أرواح سبعة ويعرف أن تلك الأرواح لا تؤذي إلا عندما تدافع عن نفسها وعند شعورها بأن الديار للأمان ، . اصغ إلي للحظة ، . يعاود العقل بالرد ، لمن أصغي !؟

أنتِ لا تستحقين الإصغاء لأنني اعلم بأن الأمر في قمة السخرية ولا يحتاج كل هذا التعقيد ؟ ولكن لماذا هذه التصرفات ! أنا اعلم جيداً بأنكِ فتاةٌ واعيةٌ ولم تعد طفلةً كالسابق ؟ لقد رأيت الكثير من الأشياء ليظهر الشيب على رأسك وتكونين شخصاً يعي ما يفعله جيداً !

وأنت الآن على أبواب النجاح ولم يتبقى سوى القليل لتكوني قد اجتزت الكثير من الأميال التي لم يستطع من هو اكبر منك سناً أن يجتاز نصفها ! لكن كل هذا حدث لأن صفاءك الداخلي بقي كما هو ولم يتلوث

والآن أقول لك أن تعودى إلى اتزانك ولا تصابى بعدوى الغرور
مثل بعض الاشخاص اللذين تمتلئ قلوبهم بالحقد والكراهية
والكبرياء والتعالى على أنهم الأفضل دائماً وان النجاح دائماً
حليفهم ، عليكِ إلا تصابى بالغرور وان تتجنبى فعل خطيئة
كهذه قد تحرمك من تحقيق هدف انتظر طويلاً

يهدأ العقل ويبدأ القلب بتسارع دقاته ، نشفان في الريق وشحوب
يظهر على ملامح الوجه ، يزداد المكان عتمة . يقشعر بدن شهرزاد
وتشعر بالوحدة لما يحدث معها من دوامات غير مفهومه ، تحاول
النهوض من الفراش لكنها بلحظة ضعف الميت قبل أن تأتيه سكرات
الموت محاولاً أن يهرب منها . إلا أنه شاء أجله فلا باليد حيله

بعيداً عن كتب هذا العالم على النافذة ، يجلس ملاكٌ صغير بُعث
من حيث السلام ، ويبدو انه اشتم رائحة حريقٍ داخلي لملاكٍ بشري
لا يعرف للخطأ طريق ويسير في الطريق السليم دائماً محاولاً
الخروج بأقل الأضرار . حسناً هذا الملاك من اجل شهرزاد فهي
الملاك البشري التي ومنذ بداية الحديث ومنذ ان خُطت أولى حروف
تلك القصة ، لم تمر أي حادثة وقد ذكر فيها أنها كانت تنوي
الشر لأحد

وأن الإنسان بطبعه يتقلب لدرجات ما بين الخير والشر . ما زال
الملاك يرقد على النافذة ينظر بعيونٍ عاجزة لا شيء سوى أنها
يناجي الله بأن يخفف عنها كل الحروق والألام وأهمها الروحانية ،

بتغيير وضعية جلوسها على السرير تضع وسادة تحت وجهها مباشرةً ، ما زال البركان بداخلها لا يهدأ وكل شيء يثير بالغلينان، إلى أن وصلت الأمور إلى حد الأعناق وأكثر ، يقشعر بدننا وتشعر بأنها مهيئة للاستفراغ ، يرتعش جسدها وتبرد أطرافها وكأنه ملك الموت

يقف على رؤوس أصابعها . إنها الآن تفيض عيناها بالبكاء ويصاحبه صراخٌ إلا أنها تولي رأسها بالوسادة وتزيد بالصراخ والدموع تنهمر ، وكأنها السماء في ليلة ظلماء شديدة البرودة بدون موعِدٍ ولا ميقات يزور الودق المكان ويبقى برفقة الظلام والسماء تصرخ من شدة الألام .

تزيد في بكائها بصوتٍ نحيب ، ولا احد بجوارها ليخفف عنها ويهدأ من روعها ، انها وحيدة ولا احد يعلم كيف يكون المرء وحيداً مغترباً ، كيف لصانع السم أن يذوق سمه ما زال غيره مبتهجاً بصنعه

تحاول الهدوء بتوصلها مع حلٍ سلمي بينها وبين نفسها ، وأن لا تُعاد أفعال تخريبية ضد أشخاص بريئون ، وأنها ستعود لالتزامها مع نفسها بعيداً عن البشر ، وأنها ستزيد في حرصها على أسيائها لأنها الآن تعيش آخر مراحل النجاح وما زال الأمر مجهولاً ،

وأن هذه الأيام ستمر بخيرها وشرها بسلاسةٍ أو بخشونة ، ومهما كان طعم المرِ علقمٌ . ليس أمامها سوى أن تقوم بمضغه رغماً عنها

تعود الأمور إلى وضعية الاستقرار والهدوء يعم المكان ، ترفع رأسها الذي كانت تخفضه بعمقٍ داخل الوسادة . بكل مهلٍ وكان شيئاً بحجم السماء يجلس على ظهرها ، تحاول النهوض برفع رأسها أولاً الذي يقابل النافذة التي يجلس عليها الملاك

ترفع رأسها ناظرةً إلى النور الممتد من الخارج والنابع من عنان السماء ، توشك على النهوض ليستقيم رأسها مقابلاً للنافذة وهي تبخلقُ وشعورٌ بالتوتر . ها هو الملاك يحلق بعيداً من حيث أتى من حيث السلام لتعود المياه إلى مجرياتها

تقف على قدميها بكامل ثقلها وهي تجبد يديها مع تتأؤب شديد يكاد أن يمزق فمها ، تتقدم نحو النافذة خطوات قليلة . تركز نفسها على الحافة وهي تنظر إلى العالم وان كل شيءٍ ما زال يسير بالشكل السليم ، المركبات والبشر والحيوانات والطيور ، وأنه لم يحدث ضرر لأي مخلوقٍ كان وان الحرب التي كانت بها ما هي إلا حربٌ سلمية تحصل مع أي شخصٍ يمتلك مشاعراً حساسة لا تستطيع إيذاء احد وان هذه المشاعر لم تخلق إلا من اجل الحفاظ على السلام العام

بعد وقوف طويل بجوار النافذة والنظر إلى حركة الناس والمركبات وشعور بالسلم . تعود الأمور الى مجرياتها وتستقر حالة شهرزاد النفسية وكان دعاء ذلك الملاك استجاب في لحظةٍ فُتِحَ فيها باب السماء . تتراجع الى الخلف وهي تنظر إلى نفسها والى

تلك الملابس الجميله المزخرفة ، وتقول انه الآن حان موعد التركيز أكثر من اللازم وانه لم يتبقى سوى ليلة واحدة ويكون حينها قد جاء موعد الإعلان عن نتائج الاختراعات

تجلس على أريكتها وهي تخلع حذائها ، ليست هنالك روائح كريهة اذا نحن في السليم ، تبدأ بخلع ثياب الخروج وتبديلها بثياب النوم لأن الوقت قد قارب من الساعة مساءً . تنتهي من تبديل ثيابها لتنهض بكامل نشاطها وتسير نحو المرأة وهي تحاول إضاعة الوقت بالعبث في خصل شعرها وتأمل تفاصيل وجهها الجميل ، وتفقد كل علامات التعب ان وجدت عليه لكي تستطيع الظهور بأفضل وجه في الأيام القادمة والتي سيحدد مصيرها من خلالها

تقول شهرزاد بوقوف طويل أمام المرأة ، بحالة من الشرود الذهني في عمق الواقع وتشكيقاً بصدق الخيال ، أنها قد عانت كثيراً لكي تصل الى هذا المكان الذي اخذ الكثير من حياتها وسلب منها حقوقها كما يسلب الأعداء الأرض . لكن في الحقيقة كانت تتغلب على مشاكلها بالنسيان وبحملها كامل المسؤولية عن اي مشكلة كانت تتعرض لها ، ولم تكن تلجأ للناس ولا تظهر على وجهها علامات الشفقة وقلة الحيلة ، فهي لم تُخلق سواعدها عبثاً ولم يعلمها والدها المشي لكي تبقى جالسةً تحديق في كل مصيبةٍ كانت تتعرض لها

وأيضاً تقول أنها وقعت في العديد من الحضر العميقة ولم تطلب العون من احد بل كانت تنتشلها روحها قبل جسدها ، في طيلة ذلك المشوار الطويل كانت الملائكة تقف معها جنباً إلى جنب

والشيء الذي عزز من فرصة نجاحها إلى حد هذه اللحظة هو إصرارها الكبير وتعلقها بالشيء الذي أرادته دون التفكير في كلام الناس السلبي والذي لا ينطق من أجل الفائدة ، وان كلام الناس يشبه السيجارة التي تفوح منها رائحة التبغ الكريهة والتي لا ينبع منها سوى الأمراض والوباء بشكل غير ملحوظ ،

من بعد سهوٍ طويل وإطالة النظر بالمرآة ، يراودها شعور بخلو الأفكار من دماغها وأنه لا شيء الآن أمامها سوى الترويض للمرحلة القادمة والتي ستكون مصيريةً أكثر من أي وقت مضى

بحالة من إزالة عينيها عن المرآة ، تلتفت نحو الحائط لترى الوقت بأي اتجاه يسير ، بتمعن في عقارب الساعة وصوت دقتها ولا صوت يعلو فوقها . الساعة الآن الثامنة ونصف مساءً بتوقيت الأحلام

المعلقة على رؤوس عقارب الساعة المدببة

تتحرك مجدداً من بعد وقوف طويل على قدميها بطريقة أو بأخرى سرق الوقت من أفكارها كثيراً لكن لا بأس أن كانت الفائدة عائدةً لها قبل أي شخص آخر . بتحركها البسيط يعود تنشيط الدم في جسدها وداخل عروق يديها البارزة ، تفكر الآن في الخلود إلى النوم للحفاظ على سلامة أفكارها من التهشم بسبب

كثرة الأمور من حولها في هذه الفترة القصيرة والتي ازدادت
ازدحاماً

ولا شيء أسوأ من أن يعود الشعور الذي بذلت قصارى جهدي في
نسيانه والتخلص منه ومحاولة البدء بصفحة بيضاء خالية من
كل التشوهات والعثرات ، صفحة تتسع لنجاحات جديدة بعيداً
عن كل ما ذكر في كل تلك الصفحات التي قامت برويها

لا شيء الآن سوى النوم وان عليها اخذ قسطٍ كافٍ من الراحة ،
لكي تستطيع الظهور بأفضل حال وأمام لجنة كبيرة يعترف بها
في جميع أنحاء العالم . متوجهة إلى سريرها يتوهج النعاس في
عينها لتشعر بالانطفاء الكامل رغبةً كبيره في النوم . تخفف من
انارة الغرفة لتحولها إلى نور خافت لأنها لا تستطيع النوم في
العممة بسبب معاناتها من فوبيا منذ صغرها

تستلقي في السرير وتغمض عينها دون أدنى تفكير بما سيحدث
غداً وماذا يختبئ خلف هذا الليل الطويل ، ورغم أن الساعة لم
تتجاوز التاسعة مساءً وما زالت الضوضاء في الخارج تعوم إلا أن في
فترة لحظية شعر عقلها بالإرهاق وأراد الهرب بأقل الخسائر
والأضرار المعنوية ،

يُغشي النعاس عليها لتصبح بحالةٍ من الرُقَاد العميق ، وتحت
صفاء السماء وتوحد القمر وانعزال النجوم

يمر الوقت مسرعاً ليقف عند موعد الغدأة، صوت شخير الفتاة يعم أرجاء الغرفة ونورٌ أزرق مظلم يتسرب من بين الستارة وزجاج النافذة. ليعطي لمعاناً على وجهها . أصوات زقزقة العصافير بدأت تعلق شيئاً فشيئاً والأمور تسيرُ بحالةٍ مستتبة

في وسط هذا الهدوء الذي يدل على أن الملائكة تحرس المكان للحفاظ على تلك الروح البريئة من أن يمسخها سوءٌ أو إيذاء غير مقصود . انه النور الحقيقي والمعتاد عليه الكثير من الأشخاص.

بدأ يظهر مع طلوع الشمس من أسفل الوادي ومن جهة المشرق

بسطوع الشمس العالي وتسريبات النور من بين شقاق الستارة ، تتسرب نطفٍ من الشمس اللاسعة نحو وجه شهرزاد ، محاولةً لإنهاضها قبل الموعد المحدد لها وانه يجب عليها أن تأخذ قسطاً كافٍ من الراحة لتستطيع الاستمرارية في هذا اليوم المهم . ما زالت تغط في النوم إلى اجلٍ غير مسمى

أحلام اليقظة تبدأ بأعمال عميقة في ذهنها . تبدأ بأخذها من عالمٍ إلى آخر ، تريها المغريات والنعيم لتزيدها شوقاً وقوة نحو التمسك بحلمها أكثر وأكثر . وأن الأشخاص الذين يسعون إلى تغيير واقعهم من الأسوأ الى الأفضل ويريدون التميز لأنفسهم عن باقي البشر ، هم ليسوا أشخاصاً خارقين عن الطبيعة وقدراتهم لا تفوق قدرات البشر العاديين فالجميع جاء إلى هذا العالم بنفس الطرق والوسائل . لكن هؤلاء الأشخاص أرادوا التقدم في المعرفة من خلال

تضحياتهم الكبيرة بحق أنفسهم وبيدئهم قصارى جهودهم في تقديم سنوات طويلة مليئةً بالتعب والمشقة ليستطيعوا رؤية النور الحقيقي الذي يختلف عن ذلك النور الذي يراه باقي طبقات المجتمع ، وانه مهما ازدادت صعفات الحياة بهم إلا انه في نهاية المطاف ، صفة واحدة ربما تكفي

تتوارى أشعة الشمس من خلف الستارة وتزول عن وجه شهرزاد ، بعد ان لسعتها لساعات طويلة ، تدق الساعة مع ضوضاء الخارج . تقلب نفسها على السرير وكأنها شعرت بحمأة المكان لربما شعرت بأنها على كانون شواء . تصحو من نومها من بعد عمقٍ طويلٍ في ظلام العينين الطامس ودفء المكان وعمته ، تشقشق عينها كوردةٍ جورية في أوائل شهر يناير . تنهض من السرير بطاقات جديدة وشحنات ايجابية وراحةٍ كافية لجسدها وأفكارها لتكون مهينةً للظهور بأفضل حالٍ .

باستلقاء في وضعية جلوس على حافة السرير ، تحاول الفتاة إدراك جميع الأمور التي ستحصل معها اليوم ما بين إعلان النتائج وما بين محاولتها لتقبل الخسارة أو الفوز بعد كل هذا العناء والمشقة . تقف على قدميها وهي تطل رأسها من نافذة الغرفة بتمعنٍ بالنظر الى الأجواء في الخارج ، ازدحام كبير للناس في حرم الجامعة والكل ينتظر بفاغ الصبر

الساعة الآن التاسعة ونصف صباحاً ، ولم يتبقى على بدء الإعلان عن النتائج سوى نصف ساعة ليكون الجميع قد تواجد في المكان والكل ينتظر بفارغ الصبر لما سيحدث بعد تلك الثلاثون الدقيقة المتبقية أو بالأحرى ثلاثون لعنه سوف تغير الكثير من الأشياء التي لم تتغير منذ أعوام طويلة وبات الغبار عليها بأكمل وجه

تبدأ بتحضير ثيابها لتأخذ حماماً سريعاً من الماء الدافئ ، تسير بسيرٍ بديهي نحو الحمام . تدخل الآن وتشغل دش الماء ، بانتظارٍ قصير وهي تمد يدها تحت الماء لتفحصها إن كانت باردة أم ساخنة لتبدأ بالاستحمام بشكل سريع . تبدأ المياه الساخنة بالنزول وخيرٌ مريحٌ للسمع . بمرور خمسة دقائق تطفأ الفتاة الماء وكأن العالم توقف للحظات قصيرة ما أن ذهب صوت الخريز وعادت كل الأمور إلى مجرياتها

تظهر إلى غرفتها وتبدأ بارتداء ملابسها الداخلية . تقف أمام مرآة خزانها المتصلة في الباب نفسه ، باب الخزانة ، . تقلب ما بين الرفوف ، اسود قائم وابيض سكري واصفر والعديد من الألوان ، لا شيء يلفت نظرها لتبهت قليلاً وتسرح في تفكيرها العميق تعود بها الذاكرة من حيث أتت وتذكرت بأن أمها قد أعطتها ثوب طويل ومن نوع القماش الخفيف والملون بالتركاوزي المرقط . تقلب رفوف الخزانة مجدداً وبدقة أكثر لتجد الثوب مختبئاً في ظلمة الخزانة وخلف الثياب السوداء . تنتشل الثوب وتباشر بارتدائه ،

أمام المرأة مجدداً تمشط شعرها وتضع عليه شالمةً كعادتها وكما يناسب لون ثيابها . تطيل النظر إلى نفسها داخل المرأة بتفقدٍ لجميع ملامح وجهها خوفاً من أن تكون هناك طفرةٌ تختبئ تحت جفون عيناها ولا تعلم ان كانت تلك الطفرة ستظهر في الوقت الغير الراهن لخللٍ ما أو إحداث تغييرات نفسية بسبب مشكلة ما أو سوء فهم .

بانتهائها من ارتداء الثياب وتجهيز نفسها بالكامل للخروج والتوجه الى المكان المناسب الذي لطالما بقي معلق لسنوات عدة على رف الأمنيات المجهولة . مجدداً أمام المرأة تأخذ الابتسامات العريضة ببروز الأسنان حيناً كبيراً على وجهها ومساحة تغمرها الضحكة ولهفة من التشويق تجاه كل ما سيحصل في خلال النصف ساعة المتبقية

إنها الآن بحالةٍ من البهتان وتركيز نفسها على طاولة خشبية من الطراز الحديث والمزخرف . تحاول خلق شخص آخر داخلها ، شخصاً لا يعرف الخوف ولا الهرب يتقبل الفوز والخسارة ولا يظهر للناس بأنه ضعيف ولكن يحاول في داخله أن يبقى مترناً بأفضل حال ويعلم بأنه لو كان خيراً لأتى

يحين موعد المغادرة الآن إلى المثوى الأخير ، تقف باعتدال جسدها ويرسخ أفكاراً داخل عقلها وقلبها وباطنها ومحاولتها لتقبل الهزيمة بكل صدرٍ رحيب ولكنها دائماً كانت تأمل الفوز لما قدمته

من تضحيات ومطاحنات عديدة وفي نهاية المطاف كل شيء عائداً اليها

تغادر غرفتها . وتسير نحو المصعد

ولا شيء أمامها غير أن الطريق أمامها تتلبس ثوباً من الأبيض الناصع ولا احد يعلم ان كان هذا مؤشراً للخير او الشر . بصعودها الى المصعد ليهبط بها طابقين إلى الأسفل لتكون على المخرج المؤدي إلى الإسفلت

بحرارة الجو الموقدة وغلجان الإسفلت ومن عليه ، تبدأ بالسير السريع متوجهة نحو القاعة التي سيعقد فيها المؤتمر المتعلق بامور الاختراعات لطلاب المنح . في القاعة تزرّف قطرات من العرق على وجهها ، وها هي تمر من تحت المكيف برودة جميله ومكان يبعث بنسمات من الهواء الباردة وشعور بالراحة والأمان ، رغم أن تلك النسمات غير طبيعيه إلا أنها تقدم أفضل ما عندها بأملٍ أن لا تحدث الضرر لأحد

تسير من بين الممرات والمقاعد المتلاصقة التي لا تبعد عن بعضها البعض سوى مسافة لوضع الأقدام ، يبدو أنها من أول الحاضرين . بوقوفها الاعتيادي تحك جلدة رأسها بإصبعها وتلفت يميناً ويساراً ، لتباشر بالتوجه إلى أولى المقاعد وفي الصف الأول . تجلس الآن بتحديق وتأمل طويل في السقف والى تلك الإنارة المتدلية والمثبتة بسلاسل معدنية بلون فضي ناصع وشديد اللمعان

بانتظار قصير دام دقائق معدودة ، يبدأ الطلاب وذويهم بالتوافد إلى القاعة والمباشرة بالدخول والالتزام بالمقاعد والانضباط بالشكل المناسب لحين أن يكتمل العدد ويبدأ المهرجان دون إضاعة الوقت في أمورٍ تتعلق بالنظام والانضباط وعدم إصدار أصوات لا داعي منها

بحالة من الهدوء العارم . صدى الصوت يحتل المكان ولا صوت يعلو فوق طقطقة أصابع اليد ، ينظر كل الحاضرين نظرةً واحده منتظمة بتلفتهم إلى الجهة اليسرى والتي تقابل باب القاعة الكبير. ما إن أطالوا النظر لوقتٍ غير معدود وإذا برجالٍ ذو لحى بيضاء والشيب يكتسح رؤوسهم متوجهين إلى داخل القاعة . يصمت الهدوء الآن ليبدأ الصمت بالكلام وبترحيب كبير من الحاضرين يقف الجميع بتصفيقات حارة

يجلس جميع الناس إلى مقاعدهم . ليقف أحد المسؤولين عن المهرجان بالحديث وبإلقاء كلمة ترحيب تليق بالحاضرين وتليق بحجم هذا اليوم العظيم ،، ليبدأ بالقول :

الضيوف الكرام السادة الحاضرين والطلاب المجتهدين الذين بذلوا قصارى جهدهم للوصول إلى هذا المقعد وإلى هذا المكان الذي زادنا شرفاً بوجودهم ، ابدأ قولتي دون أن أطيل عليكم ، أننا اجتمعنا في هذا اليوم من أجل تحديد مصير أكثر من ثلاثين طالبٍ وطالبة قد قدموا من أنحاءٍ متفرقة من البلاد والعالم . وأنا على أمل كبير بأن النجاح حليفهم جميعاً دون استثناء ، لأن كل شخص

قد وصل الى هذا المكان من بعد عناء كبير ومشقه ، لم يعد فارغاً كما جاء ولم تفشل خطواته ليكون واحداً من أسرتنا التي تفخر بأبنائها وطلابها ، فعليكم أن تعلموا جيداً بأن النجاح يحتاج الى تضحيات كثيرة والى أشخاص لا يفكرون كثيراً ويحسبون على المدى الطويل ويضعون عثرات أمامهم بتفكيرهم الزائد عن حده والذي يفوق حد الخيال وأكثر ، وان النجاح يحتاج إلى شخص واحد لا اكثر وان تعداد الأشخاص وكثرة الألسنة من حولك هي التي ستوطئك في باطن الأرض وتعيدك قرون عديدة إلى الوراء

ينتهي المسؤول من إلقاء كلمته أمام الحضور العام ، يتفاعل جميع الحاضرين بالتصفيق الحار ومنهم شهرزاد . ضوضاء المكان تختلف عن أي مكان آخر فهناك قشعريرة ما بين الحين والآخر وخوف من غصة النجاح التي تشبه الموت لكن بطعم الفرح

يظهر مجدداً مسؤول آخر على المنصة الخشبية ليبدأ بإلقاء كلمةٍ أخرى على الحضور . بإنصات الجميع وانشدادهم الشديد خلف المسؤول ، بينما كانت شهرزاد لا مبالية بشكل أو بآخر تمجد نفسها وشرودها الذهني بعيداً عن المكان . مضت عشرُ دقائق والجميع منصتٌ إلى كلمة المسؤول ولكنها تنصت في عالم آخر

ملاك الخير يحوم أمامها وهي تجلس على صفحة بيضاء وفارس من بعيد يعتلي حصاناً اسوداً قاتم اللون . ذلك الفارس يشبه أباه المتوفى والذي كان دائماً يعدها بأن يكون سندا لها حتى النهاية

ولربما هو الآن جاء لإكمال ما تبقى من الوعود . ، قادمٌ إليها يحمل في يده رايةً بيضاء ترفرف بكل ترفٍ ، تُبشر بقدوم الخير من بعد عناء كبير ومشقه . ترى الشمس قادمةً من بعيد يفوق نظرها سفح الجبال وأكثر

بمرور نصف ساعةٍ على إلقاء المسؤول لكلمته ، تتم في فمها بتعبيرها عن الضجر والملل الذي أصابها داخل هذه القاعة وهي تهدر في الوقت بانتظارها للحظة التي سيتم فيها الإعلان عن النتائج . وكل هذه الأمور ما هي إلا أمور رسميه لا تقدم ولا تأخر في شيء

بعد مضي وقتٍ طويل من الانتظار . يتحدث إحدى المسؤولين بقوله : سيتم الآن الإعلان عن أسماء الأشخاص الذين قبلت اختراعاتهم ونجحت بالشكل الذي يلائم طبيعة العمل والسوق

دقائق قليلة لخطف الأنظار ، تمتلئ المقاعد بالخوف والحيرة والتوتر ، ومقاعد أخرى وكان ليس لها علاقة بالموضوع كله من شدة برودة أعصابها وسيطرتها على الشخص النفسي الذي بداخلها ، ومن هؤلاء الأشخاص كانت شهرزاد والتي تجلس وهي تضع يديها على وجهها بترك مساحةٍ قليلة للعينين فقط ،

لحظات قليلة ويبدأ المسؤول بالمناداة على أسماء الطلبة الفائزين والذي عددهم خمسة طلاب من بين أكثر من ثلاثين طالب وطالبة ،:

يبدأ القول الآن ، الفائز الأول معنى في هذا العام وصاحب الابتكار الذي احتل المرتبة الأولى هي شهرزاد . بتصفيق كبير وتفاعل من قبل الحاضرين وشهرزاد توشك ان تقع على نفسها من صدمتها حينما سمعت اسمها يحتل المرتبة الأولى . ناحت الآن بالبكاء الشديد وعلى ما يبدو بأن هذا نواح الفرحة والنصر وان كل قطرة ذرفت منها في هذه اللحظات ما هي إلا تعبٌ وقد زال

يكمل القول الآن بالمناداة على الأسماء المتبقية . الجميع في عالم وهي في عالمها الآخر ، لا شيء يوصف مدى شعور الفرحة الذي تشعر به الآن من بعد تلك السنوات الطويلة المحملة بغبار التعب الذي اعتادت عليه وأصبح جزءاً منها ، لكن الآن وبعد كل شيء قد مضى حان موعد الراحة الأبدي الذي يشبه الخلود . ومن هنا نستطيع القول بأن رحلة البحث والعناء قد انتهت ، وبدأت رحلة العودة من جديد بشخص جديد وروح جديدة وحياة تتجدد في كل يوم بتطورات عديدة

احتفالات عارمة وسط القاعة بأجواء تملأها الفرحة والسرور ، عدى عن وجوه البؤس والحزن التي لم يحالفها الحظ رغم أنها لم تقلل من شأن الشيء الذي كانت تسعى إليه ، إلا أن هناك أولويات لأشخاص قد تعبوا وضحوا إلى أن وصلوا في مكان كهذا

رغم شعور النصر الذي انغمست به إلا أنها لم تشعر بطعم النصر الحقيقي ، ذلك الطعم الذي تكون متكاً به على احد ، على شخص

كنت تعتبره رفيق دربك في كل الحالات وفي كل المسارات كان مصدر دعم وإصرار لك رغماً عن كل شيء ورغماً عن عدم تواجده معك ، إلا انه رسخ أفكاره بدماعك ورحل على أجنحة الملائكة وأكتافها . أبي لا لذة للنصر بدونك غير أني افخر أمام الجميع بأنك أبي الذي أنجبني على هذا العالم ليراني بالشكل الذي حلمت بان يراني عليه

بعد جلوس مطول لشهرزاد على مقعدها وهي غير مدركه للوضوء العارمة حولها وباحتفالات النصر من قبل الطلاب مع ذويهم . لا طعم للحياة من دون أب ، تشعر وانك نسرٌ كبير لكن أجنحته مكسره لا يستطيع فعل شيء سوى أن يبقى جالساً يراقب العالم عن كذب كعصفور صغير في أولى لحظاته على الحياة

يوشك الجميع على الانتهاء ويبدأ الناس بالمغادرة من المكان . يظهر أحد المسؤولين مجدداً ليلقي كلمته الأخيرة وينهي هذا الاحتفال

يبدأ بالقول : انه لمن الفخر والاعتزاز لنا ولجامعتنا أن نتشرف بطلابنا المتفوقون والذين يرفعون اسم الجامعة في كل عام إلى أعلى المراتب ، أود أن أقول للطلاب الذين لم يحالفهم الحظ أن الحياة لا تقف على الخسارة الأولى وانه عليكم المحاولة مرات عديدة ويتعب وجهك حتى يكون النصر حليفكم ، والى أي شخص منكم عليه العلم بأن الوصول إلى مرحلة كهذه ليس

بسهل كما يعتقد البعض ، وان هذه خطوة جيدة للمعاودة مرة
أخرى لتحقيق نجاحٍ مبهر

وهنا أود القول إلى طلابنا اللذين كان الفوز حليفهم . إلى كل
طالب منكم ، مبلغ مالي قدره خمسون ألف دولار وبعثة على حساب
الجامعة إلى إحدى الدول التي تهتم بالاختراعات واحداث التقنيات،
وأيضاً لقد وضعت أسماءكم على لائحة الشرف في كوريدور
الجامعة لتكون فخراً لنا ولكم على مر السنين القادمة

إنه لشيء عظيم أن ينال المرء مراده من بعد مكوثٍ طويل وانتظار
دام لسنوات استمرت ببذل مجهود وعطاء كبير . رغم لذة النصر
التي تذوقتها شهرزاد إلا انها لم تشعر بذلك الشعور العظيم الذي
لا يستطيع أي شخص كان ان يصف شعوراً كهذا وهو لا يملك
روحاً تستطيع احتماله

هي فقدت روحها منذ زمن بعيد ولم يتبقى إلا ذلك الجسد
المنهك والمثقب بحقن الدواء والعلاج ، وأنه لمن الصعب أن تجد
شخصاً يملك جسداً سليم ومعافى وعينان جميلتان وصحة جيدة
أن يصل إلى ما يريد دون شعور بالنقص أو حتى أن يكمل فرحته
من كل مناحي الحياة ،

تضع يدها على قلبها وتضعف من داخلها لتصاب بحالةٍ من الهش
والفراغ الشديدين ، لا شيء أمامها تصاب بالغباش وكأن حبل
المشقة على عنقها . تتذكر أمها وباقي أسرتها وأخوتها الصغار

اللذين كانوا سبباً ودافعاً لوجودها في هذا المكان وليس من اجلها هي بل من اجلهم ومن أجل أن تراهم ينعمون بحياة أفضل من التي هم بها

بحالة من بعثرة المشاعر وعدم الوصول إلى نشوة واحده تجاه شعور واحد . تلملم نفسها محاولةً منها أن تسيطر على كل الأشياء من حولها ومن داخلها . لترسوا الآن على برٍ واحد وهو أن الشيء الذي هلكت نفسها من اجله ها هي تحققه الآن وبكل جدارة ليتبقى أمامها أن تبدأ بتحسين حال أسرتها من ما هم عليه إلى الأفضل ليكون والدها سعيداً ومرتاحاً في قبره على ما أنجب وترك خلفه

بضجيجٍ يملأ المكان تعود شهرزاد إلى واقعها الافتراضي بلحظات قليلة لينتهي ذلك المهرجان لكن أولاً على جميع الطلبة الناجحين سيتم تكريمهم وإعطائهم مبلغ من المال ومنحٌ للدراسة والتطوير من أنفسهم عوضاً عن كل السنوات الماضية التي كانت محمله بالتعب

أحد المسؤولين عن المهرجان ، يتحدث على المايك موجهاً كلامه إلى كل الطلبة اللذين حالفهم النجاح ان عليهم الان التوجه الى المنصة الخشبية من اجل ان يستلموا جوائزهم ومنحهم والمبلغ المالي . ينصت الجميع في المكان ليبدأ بالمناداة بحسب الترتيب

يبدأ الان بالمناداة ، الطالبة شهرزاد فلتتوجه بكامل الشكر والاحترام. تنهض عن مقعدها بحالة من التوتر والقلق والخوف

الشديد ، ارتباك بشكل ملحوظ من قبل شهرزاد . ها هي الآن تصعد على المنصة لتبدأ باستلام جائزتها ومنحة دراسية ، وأيضاً مبلغ مالي عبارة عن شيك بقيمة خمسون ألف دولار

تستلم الآن جائزتها لتباشر بالتقاط صورة تذكارية مع اللجنة المسؤولة . بابتسامة طويلة ووبروز أسنانها وجمال ملامحها تقف أمام الكاميرا بكامل أوزانها ودون أثقال داخل روحها . صوت (تشيز) يتكرر بأكثر من عشرة مرات . تعود الآن إلى مقعدها وهي فرحة من أمرها ولا شيء يضاهاي شعور فرحتها الآن وبهذه اللحظات

بمرور الوقت وحالة من الفرح والسرور التي تغمر شهرزاد رغم كل الخدوش التي بها ، إلا أنها الآن تستطيع المقاومة من اجل أسرتها التي تحتاج إليها في ظل هذه الظروف الصعبة

لحظات قليلة وينتهي هذا الاحتفال الذي دام أكثر من ساعتين ولكنه كان مميزاً جداً ولن يقدر احدٌ على نسيانه وخاصةً الأشخاص الذين كان النجاح حليفهم من بعد عناء كبير وبذلهم لمجهود طويل

ها قد أوشكت حبال الطريق على الانتهاء وأيام قليلة ستكون قد عادت إلى ديارها وبين أسرتها بعد مضيها أكثر من شهر في مكان أصبحت روحها تتعلق به شيئاً فشيئاً وان هذا المكان لن تنساه أبداً ستبقى ذكراه مخلدةً إلى الأبد

يبدأ الناس بالخروج من القاعة ، من بعد مضي اكثر من ساعتين على بدء الاحتفال . لم يتبق إلا القليل من الأشخاص الجميع يلوذ بالفرار وتبقى شهرزاد جالسةً على مقعدها دون ادنى تفكير للمغادرة . يبدو الان انها تخطط لهجرة اخرى لكن داخل أفكارها بعيداً عن ترهلات العالم الحقيقي

في الحقيقة أنها لا تعلم من أين ستبدأ الآن وكيف عليها الخروج من هذا المكان تشعر وأنها ضائعة لا شيء يوحي بالأمان ، ترى السبل أمامها مبهمة بنسيج خيوطٍ مقطعه كأوتار عودٍ هجره صاحبه الفنان منذ زمن طويل وأصبح خالياً يكسوه الغبار بلا قيمة او ثمن

احد المسؤولين تقع نظراته على شهرزاد ، بشكلٍ او بأخر يحدق في وجهها ويطيل النظر بتمعن . يحاول قراءة الأفكار التي تتبخر من داخلها وترسو على وجهها محاولةً إخفائها إلا أنها تبان رغماً عنها . وان للجسد حدود وطاقات للتحمل وهي ليست بملاك لكي لا تتأثر . بل هي كسائر البشر والجميع لا يختلف عن الآخر

يسير نحوها بكامل ثقته وبصوت طقطقة ناتجة عن نعله الأسود الباهظ الثمن والذي يعتبر دلالةً على أن هذا الرجل من أصحاب الطبقات العليا . من خلفها وهي بحالة استقامة واعتدال بجلوسها وسهوها الشديد ، يضع يده على كتفها . ما إن لامست يده كتفها

وإذ بها تهلع من نفسها وبنظرة عميقة تملأها الدهشة والاستغراب
بما الذي يحدث الآن !

تطيل النظر في المسؤول بتحديق وتمعن دون أن تسافر مع خيالها
إلى بؤرةٍ أشد قذارةٍ من الذي تراه ، إلا أنها بحالةٍ مستتبّة
حوار قصيرٍ بدايته تبادل النظرات قبل أن تنطق الأفواه بما داخلها ،
وليعرف كلاهما كيف عليه ان يتحدث تجاه الآخر وما الكلام
الذي سيقوله . يبدأ المسؤول بالحديث ويابتسامهٍ عريضةٍ يتحدث
إليها

كيف تشعرين بعد تحقيق هذا النجاح المبهّر ؟

ترد عليه لتقول بلغةٍ ساذجةٍ : في الواقع إنني أولاً حققت الهدف
الذي أريد والذي سعيت طويلاً من أجله ، وأيضاً لا أرى في ذلك
إبهاراً لأن ما بداخلي قد مات وأنا أحاول الوصول إلى هذا المكان ،
لكن لا بأس ها قد وصلت وحققت ما أريد ومن الممكن أنني شعرت
بلذة النصر للحظات قليلة لكن الشوكة التي بداخلي عالقة منذ
زمن بعيد ولم أستطيع إلى حد الآن من إخراجها من داخلي دون
أدنى شعور بالألم

وها الآن مبهمّةٌ تائهةٌ ولا اعلم كيف علي ان أعلمَ والدي وان أقوم
بإيصال رسالتي له بطريقةٍ يفهمها هو ويستطيع استيعابها بالشكل
الصحيح !

المسؤول : وأين هو والدك ؟ هل يمكنك الاتصال به أو أن كان بإمكانني مساعدتك فماذا علي أن افعل ؟

الفتاة : بدبول عيناها وارتخاء جسدها ترد عليه لتقول ، هل تفهم لغة الموتى وهل لديك القدرات للوصول إليهم بالشكل الذي أريده أنا ؟

المسؤول : بضحكة استهتار وبزوغٍ للعينين من قبل المسؤول ، يتشكل الذعر على وجهه ولا يعرف ما عليه قوله ! . ينطق الآن بكلمات مكررة وغير مفهومة ، ليقول وما شأن الموت في الذي أقوله ؟

شهرزاد : قد قلت لي للتو انك ستساعدني ؟ وأنا الآن اطلب المساعدة ؟ وما الغريب بالأمر !

المسؤول : تفيض عيناها ليفهم ما بداخلها ، يتمالك نفسه قليلاً ويقترب نحوها أكثر . بصوتٍ خافت يهمس إليها ويقول : إذا أنتِ والدك متوفى!

القاعة بحالةٍ من الخلو ولا أحد غير الفتاة والمسؤول . لا شيء سوى صوت نحيب يقشعر الأبدان ، يبدو أنها تذكرت والدها رغم أنها كانت تحاول بكامل جهودها لتستطيع إيصال فكرة للمسؤول بأن والدها متوفى ولا تريد أن تلفظ هذا على لسانها ، لأنها في كل مرة تحاول ان تبدأ بصفحة جديد خاليه من الشحوب ناصعة البياض . تلقى صفقة جديدة اكبر من التي تعرضت لها قبل

وبتزامنٍ مع كل الأحداث أصابته حالةٌ من اليأس إلا انها أصبحت ترى والدها يُشكل عائقاً لها في كل طريق تسلكه . وانها وإلى حد هذه اللحظة تفعل كل الأشياء التي كانت تريد أن تحققها ووالدها على قيد الحياة ، لكي يستطيع أن يفخر بها وبصنعها . لكن الحياة تكون قاسيةً جداً عندما تسرق منك شخص بحجم السماء واكبر ، ولا تستطيع أن تعوضك بشيءٍ آخر . وعوض الأب يختلف تماماً عن اي عَوْضٍ آخر ، فكيف عليك ان تقنع شخصاً يسكن في القصر بأن الخيمة أجمل وأكثر أمان ؟

باستمرار الحوار وعلو لصوت النحيب ، يحاول المسؤول أن يهدئ من روعها بشتى أنواع الطرق ويحمل نفسه مسؤولية ما حدث ، رغم انه كان عن حسن نية فهو أراد معرفة سبب الوحدة المتأخرة لها في وسط القاعة

نظرات مصحوبة بالذهول يَجَحَظُ المسؤول بها وهو على عجبٍ من أمرها ، فهو لا يفهم ما بداخلها وهي لا شيء سوى النحيب المستمر بغصة واختناق . بمحاولةٍ منه لفتح الحوار وتهديئة الأوضاع يتحدث اليها الآن ، أرجوك أن تكفِ عن هذا وما بك من الذي قام بِصَفْعِك ليحدث معك كل هذا !

ترد عليه الآن بوسط هدوءٍ مفاجئ ، لقد صفعتني الكلمات التي نطقت بها للتو :

المسؤول بحالة تعجب وتساقطٍ للكلمات من فمه وعدم سيطرته عليها : في الحقيقة أنا متأسف جداً ولم يكن بقصدي إيذاءك بكلماتي ، لكنني توترت قليلاً وكنت أظن أن لديك جداراً لتتكئي عليه في أوضاع كهذه . ترد عليه الآن بكلمات منسقة ، : الجدار بقي بداخلي ولم يدفن مع روح والدي المتوفى ، بل دفن بداخلي أكثر من أي شيءٍ آخر وبقيت استند عليه دون علمٍ أي احد بما كنت أتعرض له في الأيام السابقة ، . ولكي لا أصبح معياراً للشفقة قررت الالتزام بالصمت أكثر من أي شيءٍ آخر

يقتنع بكلامها ، بوضعيةٍ من هززة الرأس دلالةٍ عن الرضا بما حصل ، يتحدث اليها ليقول : أنتِ على حق بكل شيءٍ قلتيه وأتمنى لك حياةً أفضل من السابق وان تتبدل أحوالك وتستتب الأمور ويسير كل شيءٍ على ما يرام بذلك الحجم الذي يليق بمقدار التعب الذي قدمته طيلة تلك السنوات التي كنت فيها لوحدك

والآن اطلب منك النهوض من مكانك بكامل قواك الجسدية والعقلية وبوعيك الكبير وإدراكك للأمور من حولك ، للظهور أمام ذلك العالم الجديد والذي سيكون اخفُ حملاً واكبرُ اختلافاً وحضارةً بشكلٍ يليق مع كل ما مضى ، وسيبقى الماضي هو أساس كل شيءٍ في هذا النجاح

بهدوء المكان ، يعم السلام في أرجاء القاعة وحالةٍ من الاطمئنان والشعور بالأمان من بعد حوار طويل . تستجيب شهرزاد لكلام

المسؤول وتنهض الآن بعلاماتٍ من الرضا عن النفس والشعور بالارتياح وكأن البكاء كان مخرجها الوحيد من كل هذا ، تأخذ الابتسامة حيزاً كبيراً على أنحاء وجهها لتقف باعتدال أمام المسؤول وتطلب منه إذنًا بالخروج ، هل استطيع الذهاب الآن؟

ليرد عليها بصوتٍ خافت وبابتسامة عريضة مع وضعية انحناء ، بالطبع تستطيعين الذهاب إلى حيث تريدين وإلى ما تريدين فأنت تعلمين جيداً ما عليك فعله من الآن وصاعداً

تسيرُ الآن بخطواتٍ مليئةً بالثقة إلا إن تجاوزت بأميالٍ قليلة لتلتفت إلى الخلف وهي تنظر إلى المسؤول وتودعه بعينٍ مبتسمة وبيدٍ مليئةً بالرحب والسعة

تخرج من باب القاعة الرئيسي ، تبدأ بالسير داخل الممرات وهي تبحث عن طريق الخروج . تشعر وأنها تائهة تتأكل الأفكار داخل رأسها بحربٍ شرسة لا تعرف السلم ولا السلام ، نزيهٌ في محور الأفكار وعدم القدرة على الاستجواب إلى أي شيء

وبعد محاولاتٍ عديدة للخروج من المكان ، تستدل على الباب الرئيسي وهي ترى النور منبعثاً منه إلى داخل المكان . بظنها الخاطئ ان هذا النور الذي كانت تبحث عنه . لكن في الحقيقة هي لا تريد نور العينين ، بل نور القلب والدماغ الذي لا يُرى بالعين المجردة

تسير باتجاه الباب الرئيسي وإلى النور كما رأت عيناها وظنت أن هذا هو المسار الصحيح وهذا النور هو النور الحقيقي الذي تريده . عند الباب تقف باعتدال وهي تضع يدها فوق جبينها لتقي نفسها من أشعة الشمس الحارقة والمنبعثة من أوسط بؤر السماء نحو الأرض مباشرة . حرارة المكان تزداد ومعدل الرطوبة يرتفع نسبياً ، يوشك النهار على الزوال ويحين موعد غروب الشمس

انها تمعن في نظرها وهي تدير برأسها يمينا ويسارا ، دون إدراك او معرفة بما يتوجب عليها فعله . بعد وقوف طويل تبدأ بالسير من جديد وعلى حرارة الإسفلت يتصاعد البخار وكأنه القدر

تسرع في مشيها متوجهة نحو المنزل الذي تقيم فيه (السكن الطلابي) ، تسير وهي تحمل معها جائزة ومنحة دراسية ومبلغ من المال ، شيك وقيمته خمسون ألف دولار . برأسها الكثير من الأفكار ولا تعلم ما عليها فعله ، وأنها الآن قد أنهت كل شيء وعليها العودة إلى الديار لمقابلة الأهل من بعد فراق طويل

بعد دقائق قليلة لتكون قد وصلت إلى المنزل ، تصعد نحو الدرج رغم أن المصعد يعمل جيداً وليس به أية أضرار ، لكن لا تريد أن تضطرب أفكارها داخل المصعد حينما يقوم بالصعود والتوقف على فجأة ، غير انه يصدر صوت رنين مزعج

توشك على الوصول لتكون قد قطعت نصف المسافة ، ولم يتبقى سوى إحدى عشر درجة ، أي يعني باللعنات ما يقارب الخمسون لعنه

وأكثر . بين الممرات تسير بتسارعٍ بدقات قلبها وكأنها تعرضت للتوبيخ من شخص ما ، ربما هذا الشخص يسكن داخلها وهي لا تعلم عنه شيئاً

ها هي الآن تصل إلى غرفتها ، تتنهد قليلاً وتخرج من حقيبتها بطاقة تعريف الدخول إلى الغرفة . تقوم بتمريرها في المكان المناسب لها ، تصدر نرين مع إشارة ضوئية خضراء . إذاً الأمور على ما يرام ، تركل الباب في قدمها وتباشر بالدخول إلى غرفتها مع إغلاقها للباب بأسفل قدمها اليمنى

داخل الغرفة وكأنها غريبة الديار . أو أن روحها خلقت من جديد بعد كل تلك النزاعات للوصول إلى الشيء المراد والتي كانت غايتها به منذ ريعان طفولتها ونعومة أظافرها . تحاور نفسها بتمتماتٍ غير مفهومةٍ تهمس في ما بينها ؛ يجب علي الجلوس قليلاً والاسترخاء على تلك الأريكة لاستطيع التفكير جيداً وإيجاد الحل المناسب لما تبقى ، فالطريق أوشكت على الانتهاء

ما إن أنهت حوارها البسيط واذ بها تسحب أريكتها الصغيرة وتجلس عليها كطفلٍ صغيرٍ ينقصه رجل يداعبه طوال فترة جلوسه ويهزهز به على قدميه . تحاول الدخول في دوامة تفكير طويلة ولكن أفكارها الكثيرة من حوالها ، جعلتها تصاب بالتشويش وعدم السيطرة على نفسها ، ترفع رأسها نحو السقف بتأملٍ وإمعانٍ طويل ، تحاول البحث عن ثغرةٍ من الخراب أو حتى نطفٍ قليلة

تتلاءم مع حجم الخراب بداخلها ، بمحاولةٍ من المواساة للنفس ،
لكنها تُطأطئ رأسها وهو خائبٌ ظنها

وأن أساس بناء الشيء هو الأساس الحقيقي الذي يضعه الشخص
قبل أي عملية إحداه لتغيير أو ما شابه ، فالمرأة قبل أن تقوم بوضع
الزوج والميك أب ، تضع كريم الأساس . وصاحب مهنة الدهان قبل
ان يقوم بأي عملية يقوم بوضع خلطة أساس توضع قبل عملية
الطلاء النهائية . بشتى أنواع الأمثلة والوسائل فإن الهدف والغاية
واحدة ، فإن أردت أن تكون متميزاً في عملك وفي حياتك ، يجب
عليك أن تأسس لها جيداً وان تضع خططاً بديلةً لأن الخراب
عندما يحدث ، يحدث فجأةً دون ميقاتٍ او معلوم وبحسب ما كنت
تسير من البداية ، ستحصد ما زرعته في النهاية

يمر الوقت وتوشك الشمس على الغياب . ما إن التهمت حرارتها
الإسفلت وكل ما يخط عليه ويظهر أطرافه لها ، بمرور الوقت .
الساعة الآن السابعة ونصف مساءً ، لقد انتهى نصف اليوم وذهب
ما ذهب لتبقى الآن مسألة الحسابات الطويلة لترويض النفس على
المرحلة القادمة والتي ستكون مرحلة الحسم النهائية بعد هذا كله
تبحث عن نفسها مجدداً ، لتجد أن جسدها تلاحم مع الأريكة
والتصق بشكلٍ أو بآخر لدرجة أنها شعرت بالخدر في منطقة
حساسة في جسدها . تتجاوز عقارب الساعة الوقت الراهن وبدون

تخطيطٍ وحسبان . لم يتبقى على موعد النوم سوى ساعات قليلة
وما زال كل شيء على حطته

تحرك رجليها وتجدد بنفسها ، بطريقة ما تحارب كسلها وتحاول
إبعاده عنها قدر الإمكان ولفترة طويلة حفاظاً على شغفها تجاه
الكثير من الأمور المتعلقة بما تبقى من مستقبلها

تنهض على قدميها ، تشعر باللاشيء وكأنها معلقةً بالهواء بجسدٍ
ورأس دون قدمان تتكى عليهما . يبدو أن هذا كله بسبب شدة
جلوسها الطويل واستلقائها من بعد تعبٍ جسدي إلى تعبٍ نفسي
ما بين تناقض الأفكار وترابطها

متوجهةً نحو الحمام لقضاء حاجتها وتغسيل وجهها بالماء البارد
لتعود إلى رشدها ، وتستيقظ بالشخص المناسب والمطلوب . خلف
الباب تميل نفسها عليه وتفتحه بيدٍ من رخاء ، صوت صرير الباب
كأنه باب قديم لم يُفتح منذ قرون ، وظلام المكان الطامس .
بمحاولةٍ منها إشعال إنارة الهاتف والبحث زر الكهرباء المخصص
لإنارة الحمام . بعد شقاءٍ وذرف القليل من العرق يتم إنارة المكان
بالشكل الكامل لتستتب الأمور نوعاً ما ، غير أن الإرهاق لم يزل
ويقي كما هو

تقف أمام المغسلة وتفتح الماء لينهمر الماء بتدفق وصوت الخريز
يختطف الهدوء من المكان ليحل مكانه . تنهي عملية الغسيل
وباعتدال الرأس مع الجسد أمام المرأة ، تحديق المرأة لترى نفسها

وتطمئن على هدوء ملامحها ، بإمعان طويل واستهلاك وقت كافٍ
ربما لا يُستغرق في عملية تجهيز عروسٍ بأكمل المواصفات . تنتهي
الآن والأمور على ما يرام ، لتغادر من عتبة الحمام متوجهةً نحو
سريرها ولا شيء يروق في ذهنها سوى الخلود في نوم عميق
تجلس على السرير ، وهي بكامل طاقتها وكأنها مجردةٌ من
العالم بأكمله ولا شيء أمامها سوى وطنها وأمها وعائلتها . تُطل
رأسها من النافذة بتوجيهه إلى الأعلى حيث هنالك سماءً كبيرة
أكبر من الأرض بكثير ، تختزن الأحلام فيها وتتجمع داخل
نجومها

حتى أنها تتوزع بأقسام متساوية ولكل واحد حظٌ ونصيب . وان
تلك النجوم تتقلب في كل يومٍ مرات عديدة وتسافر في الفضاء
بعيداً محلقةً نحو السماوات العليا . طالبةً من الله أن يحقق ما
بداخلها فيكون نصيبٌ لمن له نصيب أن يتحقق حلمه بفضل تلك
النجمة التي نراها فتاتٌ صغيرة لا فائدة لها كما يظن البعض منا
بعد سهوٍ طويل وتأملٍ بالسماء وزينتها . يبعث الجو بنسمات باردة
تلامس وجهها ورؤوس أصابعها المطلة من النافذة . أن تلك
النسمات دليلٌ على الطمأنينة والهدوء ، وان تلك النسمات لن
تنقطع وستبقى تتجدد ما بين الفيئة والأخرى دون انقطاع

تعود بنفسها الآن وتراجع إلى الخلف . من بعد ركودها الطويل
تشعر بعضال خفيف ، تستلقي داخل السرير وتضع يديها تحت

رأسها . يأكل النعاس من جفاف عينها وهي تتأمل بإنارة اللمبة الباهتة . رغم أن جمال السقف يستحق إنارة أفضل من هذه . تدمع عينها من شدة النعاس ، ويحتل الغباش عينها ، تتقلب في السرير يميناً ويساراً ، باحثةً عن الجانب المريح لها

يسرق الوقت الكثير من ساعات نومها وهي ما زالت يقظةً تقلب نفسها كالحبة في المقلاة . يختفي ضوء القمر ويبسط الظلام في أرجاء الغرفة لتصبح كالقبر المهجور . يهدأ الليل ويبعث بنسماته اللطيفة المتسرّبة من تحت ستارة النافذة . تغط الآن بنوم عميق ويتردد صوت أنفاسها في خياشيمها ، معلنةً حالةً من الشخير دلالة على إرهاقها الكبير طيلة هذا اليوم

وكأن الليل بحبل الصمت يُشقق . يعم الهدوء في أرجاء المكان ، ولا طرفة خيط تبان في المكان من شدة ظلمته ، تغمر نفسها بالغطاء ويلفح الهواء ما تبين من أطرافها وهي بسبات طويل ودقة الساعة تلحن وراء شخيرها وكأنها معزوفة موسيقية

يلوح الليل بحباله الطويلة والقمر يأخذ مكاناً خلف الغيوم ليحجب نوره عن عالم القاع السفلي . يخيم الظلام في المكان وتزداد الغرفة عتمةً وسواداً أكثر من الليل نفسه

إنها الآن ساعة الأحلام تهيمن في جوف المكان . بينما شهرزاد مبنجةً في نومها لا حيلة لها ، حرباً من الأفكار الطاحنة تغزو

مخيلتها محاولة العبث في بؤرة أفكارها وأمورها الحياتية ومعرفة بعض الأمور التي تعرضت لها طيلة هذا الفترة

بازدحام المكان . تتجاوز الساعة الواحدة ما بعد منتصف الليل . داخل رأسها تتبعثر كل المواقيت وترى الدجى بعينها ، يتناثر الدخان في المكان . تجلس على أريكة هزازة ، مصدره منها صوت صرير مزعج

تبدأ الآن بالحديث مع شخصٍ ملتحي ويلبس عمامةً على رأسه وعباءة بيضاء اللون وعمره يتجاوز الثمانينات (عجوز)

،لتقول انه منذ تلك اللحظة التي غادرت فيها وطنها وهي متعلقة بشيءٍ من داخل أعماقها ، شيء أثقل من المدن وأزقتها

أنها متعلقةً برجلٍ ليس كباقي الرجال ، لقد كان الحائط الذي تستند عليه والكتف الذي تغضى عليه والأمان الذي تشعر به ، لكنه رحل دون موعدٍ أو ميعات . لكن قبل رحيله ترك داخلها قوةً كبيرة وطاقات أعلى من التي كانت بها ، وهي التي جعلتها تصل إلى مكان كهذا يفتخر به أمام الناس جميعاً أو دون صفة المبالغة ربما يفتخر به أمام العالم أجمع ؟

لكن ما فائدة الفخر ان لم يكن صاحبه موجوداً ، لا فائدة في هذا العالم دون أب . ما أعني به هو عندما تفقد أبوك ، يعني انك فقدت أطرافك وسواعدك وكل ما لديك من عزيمة . ستصبح كالعصفور المبلول أو حتى أكثر ضعفاً منه . لكن بعد هذا كله

ستبقى تحت عناية الله وحرص ملائكته ، ويعونه ستمكن من إكمال مسيرتك الحياتية لكن وأنت فاقداً لذتها التي لا تستطيع تذوقها عندما كنت تحت رعاية والدك

فإنه لا شيء يضاهي قيمة الأب لابنه أو لابنته ، فحافظوا على آبائكم وكونوا على طاعة لهم . فلا احد منكم يستطيع أن يعيش بلا أجنحةٍ وسواعد ، فإذا أردتم التحليق عالياً في الفضاء الخارجي لتحقيق أحلامكم بإرادة أساسها النجاح والفوز لا الخسارة والفضل، ما يتوجب عليكم فعله والتمسك به هو أن تبقوا تحت حوزة آبائكم، فهم طريق الرشاد والفوز والنجاح

وأيضاً كما قال الله تعالى في محكم آياته : وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) (الإسراء:23-24)

فدائماً وأبداً طريق الصلاح والنجاح هي الطريق التي تكون متصلة مع الأب ، كاتصال العبد وربيه في الصلاة والسجود وتلاوة القرآن والدعاء

ويعد حوار طويل بما يسمى محادثة النفس ومراجعتها . شيء ما يهمس في أذن شهرزاد جعلها تنهض وهي بحالة من الهلع مصحوبة بنشفاً الرقيق ، تبحث عن شربة ماءٍ من حولها ، بفتح القليل من

عينها تبحث مسرعةً لتجد كوباً من الماء مغطى بصحن صغير
كانت قد خلته قبل بضعة أيام وما هي الآن تحتاجه

تمد يدها نحو الكوب وتكشف الغطاء عنه ، تبدأ بروي نفسها جيداً
وإزالة حالة الشحوب التي تشعر بها . تعاود الرقود في فراشها
وكأنه شيئاً لم يحدث

كل شيءٍ مستمرٌّ على حاله ، دقة الساعة ونسيم الهواء البارد
واختباء القمر خلف الغيوم . تكمل نومها العميق وتستتب الأمور
وكأنه شيئاً من القبيل لم يحدث

الساعة الآن الرابعة فجراً أي ما قبل طلوع النهار بقليل ، عودة إلى
الحلم مرة أخرى بعد هلعٍ واستيقاظ مفاجئٍ على همس شيءٍ غير
موجود

تعود مجدداً وهي تتَرَجَل على قدميها ببطءٍ شديد ، يتلاشى
الدخان من حولها وهي تلتفت باطمئنان على حال المكان . ترفع
رأسها إلى الأعلى (مكان مجهول) هي لا ترى شيئاً سوى نورٍ
منبعث من الجهة المقابلة لعينها ، توطئ رأسها بالأرض وتكمل
مسيرها لتصل الآن عند تلك الأريكة الهزازة التي جلست عليها في
المررة السابقة

تجلس مجدداً كما كانت أول مره . متجهاً إليها ذلك العجوز
الذي حادثته منذ قليل . يقول لها أين ذهبت هكذا على فجأةٍ ؟ لقد
كان الحديث معكِ مشوقٌ ومفيداً . لكن لا بأس أتمنى من هذا

اللقاء أن يدوم لفترةٍ أطول لتستطيعي قول أشياء أكثر ، فهناك العديد من الأشخاص ينتظرون هذا الكلام الذي أتحدث عنه تقول للعجوز : في الحقيقة قد نادت علي أمي وكانت على عجلةٍ من أمرها ، فانسحبت دون إشعارك بذلك ، وأنا اعتذر عن هذا (يعلم العجوز جيداً ما الذي حصل معها وأن هذا الكلام الذي تقوله غير صحيح . والشيء الذي جعلها تذهب هو شعورها بالسقوط عن علوٍ وارتطامها في الأرض بعد قطع مسافات جوية طويلة . وكان سبب حدوث ذلك هو إرهاقها الطويل والذي استمر لفترةٍ طويلة إلى هذا اليوم) ، يرد عليها قائلاً : لا بأس يا بنيتي ، المهم أنك على ما يرام . وابدأي الآن بقول ما عندك من كلام ، فالجميع هنا منصتٌ لك

حسناً كنت أود القول بأن هذا لم يكن عادياً بالنسبة لي وأنه لإنجاز كبير لفتاة مثلي أن تصل إلى هذه المراتب ، لكن في الحقيقة أنا لا أرى نفسي شيئاً كبيراً . بإمكانكم انتم أن تعتبروا هذا الشيء بمثابة تحفيز لكم ودعم وتقوية لأواصركم التي ربما تتراجع عند احتكاكها بجسمٍ غريب أو عند ارتطامها من مسافات مرتفعه ، وأود أن أقول أن لتحقيق النجاح عليكم التضحية كثيراً ربما تكون التضحية بالمال أو الجسد أو الاسرة والمكان المحيط ، وربما يكون في كل ما ذكر . المهم هو ان يتحقق المراد والمطلوب دون اليأس والشعور بالخوف والفضل ، والاهم من ذلك هو عدم إتباع كلام

الناس لأنه لا يشبه إلى ماء المستنقعات عندما تختلط بماء البحر ،
يصبح الأمر صعباً ومعقداً للغاية في وجود الناس من حولك
دائماً وأبداً مهما كان الشيء الذي تريده صعباً ومعقداً للغاية
كما تظن ، إذا كنت تُحِبُّه فسيهون كما لو انه لم يكن ، وإذا
بقيت ململماً في نفسك منطوياً على ذاتك جالساً في زاوية
غرفتك وأنت تحمل هاتفك النقال وتتصفح أخبار العالم من
حولك . كل هذا بلا جدوى إن لم تقف على قدميك وتباشر
بالتقدم نحو ما تريد بخطواتٍ واثقة وجسدٍ مليءٍ ومحصن بالثقة
والعزيمة والإصرار على النجاح

وأيضاً على المرء أن يطيل في صبره وانتظاره للشيء المطلوب ،
فأحياناً نلجأ إلى التكرار والمحاولة بأكثر من وسيلة . لكن الهدف
واحد وواضح كعين الشمس ،

والأشياء التي تحصل معك في حياتك اليومية وأنت تسعى لرفع
منصبك أو تحقيق هدفٍ ما ، لا يجب على احد معرفتها ، مهما
كانت خيراً ام شراً فهي أسرار بينك وبين نفسك وليس عليك أن
تفشيها لأحدٍ كان . والمخربين في وقتنا هذا أكثر من اللذين
يحبون الخير والصلاح ، فالنفوس ازدادت مرضاً وقبحاً من الداخل ،
بينما تنظر إليها من الخارج لترآها مرآة الخير والصلاح، بينما هي
ليست كما تظن . وليس عليك أن ترى الناس بالزاوية التي ترى
فيها نفسك

بعد حوارٍ طويلٍ مع ذلك العجوز وهو جالسٌ بجانب شهرزاد . تكاد عيناه أن تفيض من حبه للكلام وتأثره بالمواقف التي مرت بها وهو يتأمل كل جملةٍ نطقت بها . ليقول لها أكملني يا بنيتي :

تكمل حديثها ، لتقول : أن تعيش مغترباً عن بلادك ووطنك وأسرتك لفترةٍ طويلة ، وأنت لا زلت واقفاً على قدميك ، هذا يعني بأنك ما زلت قوي جداً إلى ذلك الحد الذي لن يمنعك عن تحقيق أي شيءٍ تريده من هذا العالم .

وان تكمل ما تبقى من حياتك دون أب ، هذا يعني بأن الطيور عندما تضيق بها الأرض وتتقصف أجنحتها ستستطيع التحليق مجدداً ولو لأرتفاعاتٍ قليلة لتثبت للعالم بأن الحياة لا تقبل الضعفاء والمكسورين ، وفقدان الأب هو أكبر انكسار لا تستطيع إصلاحه

وان الصفعات التي مررت بها لم تكن هيئةً أبداً ، فلم يكن بجانبني ذلك السند الدائم ، فقد كنت دائماً أتظاهر لأمي بأنني قوية منتصرة على كل شيء . في أغلب الأوقات كنت أنا عكس ذلك لأنني كنت اعلم واشعر بالضعف الذي بداخل أُمي والذي يستحوذ عليها ما بين الفينة والأخرى ، وغير الأثقال التي كانت على عاتقها وأتعبت كاحلها لترانا أننا وباقي أخوتي بخير وسلام

وغير صفقة الحياة بموت أبي المفاجئ والذي كانت فاجعةً بالنسبة لنا ، أنا وأُمي وأخوتي الصغار . لقد حملت المسؤولية بعمر الزهور ،

وبوقتٍ كان به من غيري يقضي أوقاته مرفه ما بين المطاعم
والمتنزهات والسفر إلى دول العالم وتغيير أجواء وروتين مختلف .
لكني اشكر الله على كل شيءٍ وهبني إياه سواء كان خيراً أم شر ،
فموت والدي كان بالنسبة لي كصدمة لا تصدق ولحد هذا اليوم
أنا مؤمنه بوجود والدي بجانبني ، لأنني لا أستطيع الوصول إلى
كل هذا بدونه

وأما موت والدي كان بالنسبة لي بأن يخسف الله بي الأرض سبعون
ألف ذراعاً ثم يلقيني في جزيرة مجهولة لا يسكن فيها إلا الوحوش
والغرباء . أما بعد ذلك كله استيقظت على نفسي فجأةً فوجدت
نفسي قد حلقت عالياً بإنجازاتٍ عظيمة تجعل والدي يفخر بابنته
التي تربت على يديه . وإذا تحدثت كثيراً عن فضل الآباء على
أبنائهم لن ينتهي الحديث وسأظل اكتب وأدون عبارات وكلمات
كثيرة ، لذا حافظوا على آباتكم فالشوق عند الموت صعبٌ للغاية

توشك شهرزاد على الانتهاء من الحديث مع ذلك العجوز ، يبدأ
المكان بالتبخر ويزول الدخان شيئاً فشيئاً . تخفت إنارة الضوء من
حولها

يقف العجوز على قدميه وهو يمسك في يدها ويقول : ارفع قبعتي
احتراماً لك ، وان كل شيءٍ مررت به لم يكن سوى عطاء الله وحباً
منه إليك وأن الله إذا أحب عبداً ابتلاه ، ولكن عوضه عن كل شيءٍ
قد احرقه وأوجعه . فلا تحزني وتعبسي على شيء فأنتي معيارٌ

للنجاح لكثير من الناس اللذين تتوفر أمامهم كل الإمكانيات للنجاح والتقدم ، لكنهم يرون كل الطرق أمامهم مغلقة ، هو فقط لأنهم لم يترنحوا ولو قليلاً لمعرفة الطريق الصحيح الذي سيسيرون منه إلى النجاح

ينتهي الحديث ويتمنى العجوز بأن تصل الرسالة إلى الكثير من الأشخاص وان يتمعنوا بها جيداً ويقارنوا أنفسهم مع هذه الفتاة ، التي صنعت نفسها من اللاشيء رغم العثرات والأشواك والندب التي واجهتها في كل طريقٍ كانت تسلكها ، إلا أنها واجهتها بشتى أنواع الطرق والوسائل التي كانت من خلالها تصنع حرباً فكرية وتخوض محاولات عديدة لتستطيع التغلب على عثرة أمامها . وها هي الآن بإنجازها العظيم قد زال كل هذا التعب

وبعد هذا كله ، تمر الساعات وغربال الليل قد انطفئ . والعجوز بنفسه قد غادر المكان أو حلق بطريقةٍ لا يراها احد إلى عنان السماء ليحل صباح اليوم جديد بإشراقٍ جديد وتجديد آمال وطاقات لم تكن من قبل . الساعة الآن الثامنة صباحاً بتوقيت إشراقات الشمس المنبعثة من أقصى السماء التي تتبعثر الغيوم فيها معلنة صفاء الجو وجماله

تنهض من فراشها بذاكرة مشوشة ، تشعر بأنها غادرت سريرها ليلاً وهي نائمة وذهبت لتجالس شخصٌ مجهول . تحاول استرجاع ما حصل معها لكن الكلام يهرب منها ورؤيتها تحجب عن ذاكرتها

وكان شخصاً ما ضرب على رأسها بمطرقة فولاذية، فلا سال الدم من رأسها ولا أصابتها الرضوض

ما زالت جالسة بوضعية انحناء وهي تركز جسدها على الحائط ، وتحاول إزالة القذى عن عينها لتصحو بالشكل التام والصحيح . يطول جلوسها ليتجاوز النصف ساعة ، ها هي الآن قد بدأت تدرك الأمور من حولها . تنظر إلى ساعة الحائط لترى الوقت يدهمها لكن دون جدوى لأنه لم يتبق عليها شيء لفعله ، سوى العودة إلى وطنها وأسرتها بكامل الفخر

تقف على قدميها وتبدأ بالسير نحو المغسلة لترشق وجهها بقليل من الماء البارد لعله يجدد طاقتها ويعيد فيها روح المرح وحب العمل لأشياء جديدة . تفتح مغسلة الماء وتمد يدها تحت خريرها المنهمر بقوة ضغطٍ عاليه ، تطيل النظر بالمرأة وهي تتأمل ملامح وجهها الناضجة . كل شيء على ما يرام ولا آثار لكدماتٍ أو شحوب سوداء ، تبدأ برشق الماء بعد أن أسرفت الكثير منه دون وعي . تنتهي الآن لتعود إلى سريرها وتجلس عليه وكان شيئاً لم يحدث ليعود العالم أمامها من جديد

نحو السرير محاولةً منها أن تبتث داخل نفسها روحاً تملأها الراحة والهدوء والرضا عن النفس . تجلس على سريرها وهي مستديرة نحو إطلالة النافذة الصغيرة التي ترى من خلالها مشاهد جميلة

لطبيعة المكان الذي تقيم فيه ، كما لو أن بريطانيا تشتهر بجمال طبيعتها الخلابه واخضرار الأماكن فيها

بعد سهوا الطويل وشرودها الذهني بأشياء كثيرة ، يُطرق باب غرفتها . تسمع دوي الطرقات لكنها لا تثير الضجة كثيراً ، تفتح الباب وهي مطمئنة لتلقى في وجهها مسؤول المنح الطلابية . يلقي عليها تحية الصباح . ترد عليها قائلةً بابتسامةٍ عريضة ، صباح الخير لك أيضاً ، هل تفضلت بالدخول أو انك على عجلةٍ من أمرك ؟

المسؤول : في الحقيقة أود أن أقول لك بأنه قد اقترب موعد رحيلك وعودتك إلى وطنك الأصلي وأنت مرفوعة الرأس بين أسرتك وأمام نفسك . ستصدر التذاكر يوم غداً وسيكون موعد رحيلك في اليوم المقبل له ، لذا كوني على استعداد تام وجهزي أغراضك جيداً دون أن تنسي شيئاً

الفتاة : حقاً ! كم انتظر هذا لكي أعود إلى أسرتي ووطني ، في الحقيقة وبعد أن خضت تجارب كثيرة ، لا يوجد شيء في العالم كالوطن والأهل ، هما شيئان متشابهان لكنهما متناقضان بالشعور لا أكثر . وسأكون على استعداد تام ولن أنسى معروفك معي ولن أنسى كل ساعة ودقيقةٍ قد قضيتها في هذا الحرم الجامعي

المسؤول : إذا أنت الآن تعلمين بكل شيء . وبالطبع يا عزيزتي لا يوجد شيء يضاهاى قيمة الوطن والأهل ، ، أخ أخ ها أنا منذ زمن بعيد وأنا مبعده عن عائلتي ووطنى ، لكن ماذا عساني أن أفعل هكذا الدنيا يوم لك ويوم عليك ، وها هي الأيام تسير وأنا أسير معها بانتظار اليوم الذي سيكون عادلاً معي

شهرزاد : تتناسى الرد عن كل شيء . تدمع عيناها لما سمعته مؤخراً من الرجل المسؤول ، تعجز عن القول بأشياء تخفف عنه . لا بأس يا عمي فعليك أن تطيل في صبرك فالله لا ينسى أحداً من عباده فعليك التحلي بالصبر إلا أن تحين ساعة الفرج

بلحظة صمت غير مسموع ، وبعد وقوف طويل على عتبة باب الغرفة ، يغادر المسؤول وهو مطأطئ رأسه بالأرض بتعابير من الحزن والأسى . تخرج رأسها من الباب وتبدأ بالمناداة لكنه لا يستجيب لها وكان أصابه الصمم فجأةً

بحالة من اليأس تعود بنفسها إلى داخل الغرفة . تغلق الباب لتستدير عليه وجسدها يعانقه من الخلف ، ترفع رأسها نحو السقف لتقول؛ يا الله هون على عبادك الضعفاء ، ثم تعاود مجدداً خفض رأسها بوضعية استقامة لتبتعد عن الباب وهي تسير نحو سريرها

تعود المياه إلى مجرياتها . تجلس على السرير وهي تعانق وسادتها وكأنه اللقاء الأخير . تدور الأفكار برأسها وهي خالية البال ، تُفكر

بماذا عليها فعله خلال اليومين القادمين واللذان سيكونان آخر يومين لها في هذا المكان الذي تغترب فيه بعيداً عن أسرتها واحضان عائلتها ووطنها الدافئ

تعود بنفسها من جديد وهي تبتسم محاولةً رسم صفحةٍ جديدة لها في واقعٍ جديد بعيداً عن العثرات والخدوش . وإنها الآن أصبحت مجردة من كل شيء فهي قد أنهت حلمها الذي كان عالقاً داخلها كشوك الصبار حينما يعلق في يد من لاقطيه ، لكن طعم النجاح مختلفٌ تماماً كما تشعر هي الآن

بوقت فراغٍ وحالة من الملل تسود المكان . تنهض شهرزاد نحو خزانيتها وتجلب دفتر مذكراتها وقلمها السائل لتبدأ بتدوين بعض الأمور التي حدثت معها موجهة نصائحها للناس من حولها واللذين سيقروا هذا الكلام

تبدأ الآن بالكتابة ، إلى جنس حوا والى كل فتاةٍ قويه بنفسها وذاتها وقدراتها ، أولاً و آخراً وارسخي هذا الكلام جيداً في دماغك أو اجعليه حلقةً في أذنيك واحتفظي فيه كما تشائين . عليك أن تعلمي بأنك لستِ خياراً لأحد ولم تخلقي من عبثٍ أو من اجل احد ، بل خلقتي من اجل نفسك وذاتك ومن اجل أن تأخذي حقلك في هذا العالم كباقي الناس من حولك

وانه لا بأس في واقع كهذا نجد فيه التمييز أصبح كعادة وان
الأنثى ليس لها حقوق كالرجل وأن خطأ الرجل يغفر عنه وخطأ
الانثى يصل إلى حدود الشرف والحسابات الكبيرة ويتعدى حدود
العيب والحرام . وقبل هذا كله عليك أن تفرقي بين الحلال
والحرام وبين الجائز والممنوع وكل شيء لم تتخط فيه حدود
نفسك ستبقين في السليم والصواب

ولا تستبعدي كثيراً أن اقرب الناس منك هم السبب الأول في
إحداث المصائب لك . واعلمي جيداً وكوني حريصة كل الحرص
انك لم تخلقي من اجل رجل مهووس لا يقدر قيمتك ، و عليك
عدم الانجرار وراء جنس الرجال والانجراف بتياراتهم القذرة والتي
لن توصلك إلا إلى طرق البؤس والظلام

فبعض الرجال مستغلون كثيراً فتجدين الواحد منهم يتعرف على
أكثر من امرأة ولا تشبع عينه امرأة واحده . فتجدين في حياته
المطلقة و العزباء والأرملة والمتزوجة والعانس والتي لم تنضح أصلاً
فالرجال بطبعهم ذكوريون جداً خصوصاً في واقعنا هذا ، يصعب
إيجاد الفئة الطيبة منهم . فإذا أردت أن تنالي قلب رجل يجب
عليك التحلي بالثبات والقوة وعدم الالتفات لهم تحت أي ظرف
كان ، فهم يحبون الأنثى التي يكون ثقلها في أخلاقها وعفتها

وارسخي في ذهنك جيداً ، أن لا تكوني أنثى تحلم بالزواج من رجل
ثري او ما شابه ذلك ، كوني مختلفة في فكري وأفكارك . لذا

فكوني من الأشخاص الطموحين اللذين يحبون اكتشاف أشياء جديدة ، كوني امرأة متعلمة ومنفتحة جيداً على هذا العالم الذي لا يقبل الضعفاء . والشهادة هي السلاح بيدك فمصير الأيام أن تتقلب وانه لا احد سيبقى لأحد ، الشيء الوحيد الذي سيبقى إلى الموت هو رجلٌ صالح يحبك في الله ويخاف عليك من أن يمسك الحزن والتعب أو شهادة جامعيه ربما تكفيك عن ألف رجلٍ ومن الواجب أن لا نتزوج إلا من نحب

وأيضاً إن الغربية تربه لكنها تعلم الكثير من الأمور التي يجهلها الكثير من الناس ، ونحن كبشر طبيعيين لسنا خارقين عن الطبيعة يجب علينا أن نتعلم العديد من الأشياء وان تزداد معرفتنا في هذا العالم الواسع لنستطيع العيش والاستقرار في ظل ظروفٍ كهذه . تشعر وانك تتعامل مع كلابٍ بشريه

وأفضل صديق في هذا الزمان هو الكتاب ، لأنك تجد فيه العديد من الأمور التي تواجهها في حياتك العملية سواء في العمل أو المنزل أو في أي مكانٍ ستقابل فيه بشر . والأمر كله متعلق بكمية الشجاعة التي تمتلكها ، فإن كانت لديك الشجاعة الكافية لمقاومة كل الظروف الصعبة والتحديات ، فسيكون النصر حليفك دائماً دون الشعور بالخوف من أي شيء كان

وان أصعب هزيمة يمكن أن تتعرض لها ، هي الهزيمة النفسية فهي تضعفك مدة طويلة وتوبخك من داخلك لتحولك هشاً فارغ

مثل بئر عتيق تجتمع فيه الجرذان والأوبئة والقاذورات التي لا
تستطيع تحملها لا أنت ولا نفسك

وان كنت شخص طموح يسعى لتغيير ذاته بعيداً عن صفعات هذا
العالم التي لا تتوقف حتى وأن رأتك أشلاءً منثورة على قمم
المزابل،

والغنى في الغربية وطن ، فأن تكون غني النفس قنوع بما لديك دون
حاجة احد ، أو انك تمتلك شهادة تغمدها كالسيف بجانبك
لتدافع فيها عن نفسك

ويعد تدوين الكثير من النصوص على دفتر المذكرات ، تنهض من
مكانها وكأنها خالية من كل شيء من الخوف والفقْد والشعور
باللاشيء وكل شيء قد يهتك الإنسان ويضعفه . وأن الكتابة
مفتاح الخروج من حالة الضجر والاكْتئاب في حالة عدم وجود
أشخاص يحتملون ما يمكنك قوله . فعند الوحدة لا يوجد إلا
الجردان والأسقف فهي لا تصغي جيداً وبالشكل المطلوب

نحو خزانتها الباهظة والتي لا تعتبر ملكاً لها . تفتح إحدى أبوابها
لتضع الكتاب على الرف وتغلق الباب ليصبح المكان من الداخل في
ظلمة تامة . تعاود الرجوع إلى مكانها لتجلس مع نفسها قليلاً قبل
أن يسحب النهار غيومه ويخلع من السماء وشاحها الأزرق ويحجب
الشمس عن كرة الأرض . فهي رهينة للوقت على كل دقيقة ستمر
دون الاستفادة منها

لحظة سكوتٍ وهدوءٍ عارم ، لا صوت يعلو فوق هبوب الرياح
وصفيرها ، تختبئ النسيمات خلف النافذة التي ترقد بجانبها ،

بجلوس طويل وبحالةٍ لاستدراك الأمور . تبدأ شهرزاد بحسابات
ذهنيه بسيطة لما ستقوم بفعله بذلك المبلغ الذي بحوزتها وقيمته
خمسون ألف دولارٍ . تحدث نفسها من الداخل ، ماذا سأفعل بهذا
المبلغ ؟ هل يتوجب علي السفر إلى بلادٍ غير البلاد التي أنا فيها
برفقة أسرتي أم انه سأقوم بفتح مشروعٍ صغيرٍ استطيع من خلاله
إن أعين أسرتي وأعين نفسي واخفف الأعباء عن كاهل أُمي . لا
اعلم ما علي فعله ، انه لأمرٌ محيرٌ للغاية

بعد تحرياتٍ طويلة وحساباتٍ دقيقة حول ما ستقوم بفعله في ذلك
المبلغ ، تبدأ بعمل تقسيمات وهميه لتستطيع الإرساء على برٍ واحد
إذاً المبلغ قيمته خمسون ألف دولار . سأقوم بتخصيص مبلغٍ
عشرون ألف دولارٍ وأقوم بإنفاقه على الفقراء والمحتاجين عن روح
والدي ، والقسم الآخر المتبقي من المبلغ سأقوم بفتح مشروعٍ صغيرٍ
بقيمة عشرون ألف دولارٍ وسيكون هذا المشروع عبارة عن محل صغيرٍ
مختص بالأجهزة الإلكترونية والخلوية وسيشمل تصليحها
وبرمجتها وكل الأمور المتعلقة بها ، أما القسم الآخر المتبقي من
المبلغ سأقوم بإنفاقه على أسرتي وعلى المنزل لترميم بعض الجدران
والأسقف الخربة والمتآكلة بسبب الرطوبة

تنتهي الآن من مسألة الحسابات لتزيد في جلوسها وتستلقي على سريرها وهي تضع يدها تحت رأسها وعيناها تعانق السقف

الدقائق تمر والفكر خالٍ من كل شيء . بابتسامات بسيطة على وجهها ، يبدو أنها شردت في ذهنها إلى الماضي لتتذكر كل الفترات التي مرت بها ما بين الفرح والترح ، إلا أنها استطاعت النجاة بأقل الأضرار للوصول إلى الهدف والحلم الذي كان منتظراً ومعلقاً لأجل غير معلوم

لأول مرة تشعر بشعور الطير الذي يكون محلقاً في السماء من شدة فرحه وهو يعانق الغيوم والشمس . غسق الليل يبدأ الآن ، تبدأ الشمس بالنزول إلا أن وصلت أسفل الجبال والقمم . والجو يأخذ لونه التركوازي الداكن . تغادر الطيور إلى أعشاشها وتبدأ خفافيش الظلام بالظهور ،

يبدأ صوت الصرصار بالاستيلاء على المكان فلا صوت يعلو فوقه ، يتسربلُ الليل بلونه الأسود ، تتراقص الأغصان وصوت أوراق الأشجار المتساقط الذي تجرفه الرياح المنبعثة بنسمات هادئة . يرقد الجميع في فراشه يبحث عن السلام أو عن خطة استراتيجية يواجه فيها بؤس هذا العالم بعد الثانية من منتصف الليل ،

تنهض من فراشها بصوت طقطقة عظام عمودها الفقري ، تنظر إلى السرير بذبول عيناها ، لتزيح الغطاء بيدها وتجلس مجدداً في فراشها الدافئ . تغمر نفسها بالغطاء ، تعانق الحائط وتضم نفسها

بشكلٍ حلزوني ، بإغماض عيناها تبحث عن النوم الذي لا شيء أهم منه في هذه الأثناء

بعد أثناءٍ قليله من الركود في السرير ، لا شيء في ذهنها جميع الأشياء في ظلمة عيناها . في خيالها البسيط وهي تتقلب داخل السرير ولأول مرة تشعر بأن العالم الذي بداخلها هادئ جداً لا تصدر منه فوضى داخلية

عراكٌ مع النوم كعادتها لا تستطيع أن تغض عيناها في اللحظة التي تضع رأسها على الوسادة . فهي منذ طفولتها وهي لا تصل الى الأشياء بسهولة ألا من بعد عراكٍ طويل . يتخبط الليل داخلها فلا شيء عليها فعلة سوى الانتظار ليوم غد لكي تتجهز على الشكل الكامل وتغادر إلى وطنها الأصلي الذي لا بديل عنه

بمرور الكثير من الوقت وإفراز العديد من العرق ، تداهمها لحظات النوم التي تأتي غفلةً دون إشعار . لتكون الآن بحالةٍ من السبات العميق وهذه المرة تختلف عن أكثر من أي وقت كانت عليه بالسابق

لا حلمٌ يضاجعها ولا سناجةٌ لليل ، هذه الليلة تختلف عن كل الليالي التي مرت بها . من الآن فصاعداً هي في النعيم فبحفظ الله ودعاء أمها وصفاء نيتها ، أنها ستبقى مستمرةً في هذا الشيء إلى أن تحققه بالشكل الكامل . ليست هي فقط بل كل شخصٍ على

هذا الكوكب يبحث عن تغيير وتطوير نفسه بقدراته الطبيعية
ويتحمّله لكل المشاق والمتاعب التي تواجهه

تتجاوز الساعة الآن الثانية بعد منتصف الليل ، فهناك قلوب
محطمة ونفوس مرهقة وعقول حائرة ، فلا بد أن تجد شخصاً
يقظاً في هذه الأثناء وهو بكامل صفاء العقلي والنفسي ،
فالأشخاص اللذين يسهرون طويلاً وإلى ساعات متأخرة دون جدوى
، هم أشخاصٌ مشتتون لا يعلمون ما عليهم فعله يظنون بأنهم
منبوذون في هذا العالم ، غير أن مشكلتهم الوحيدة هي أنهم لا
يتحررون من أنفسهم ولا يخرجون أمام هذا العالم لمواجهة . بل
يختبئون كالجرذان التي لا قيمة لها في مكان نظيفٍ وأمن

الغيوم مبعثره والجو في الخارج تسوده حالةٌ من الانصياع ، الكل
نائمٌ حتى الكلاب هنا لا تخرج للتجول في الشوارع ليلاً ، تطل
السماء على العالم البعيد ، وتزيح السحب نفسها لتعيد تكوين
نفسها من جديد . ينتشر الضباب في المكان ليظهر اللمعان على
الإسفلت وكأنه معدنٌ جديد الطلاء

نائمة الآن بفكرٍ خالٍ ولا يزورها الوسواس في منامها ولا الأحلام
حتى . فقد مرت سنين طويلة على حالة البؤس والغم التي
عاشتها بصبرٍ واحتساب دون اللجوء لأحد وما بعد الضيق إلا
الفرح

يقف الكلام على عتبات النوافذ والأبواب ، لا أحد يستجيب لا أحد يلتفت الجميع ينتظر طلوع صباح اليوم الجديد . أما بالنسبة لشهرزاد فهي تحصي في آخر أيامها أو في الحقيقة لم يتبقى سوا ساعات لتكون قد غادرت المكان وعادت إلى وطنها بحالة أفضل من التي خرجت بها

تشقق السماء ، ويبدأ الظلام بالانزياح عن وجه الشمس . لكن ما زال الضباب ينتشر في أرجاء السماء ، يبعث الجو بنسمات باردة تشبه رائحتها عبير الزهور الذي يتفتح في بدايات الربيع . تبدأ الديوك بالصياح وعواء الكلاب يصدع صوته من بعيد ، ما إن اقترب الصوت وإذ بجواره شابٌ بسيطٌ تجاوز العشرين من عمره خارجاً للتجول برفقة صديقه الوفي

بطلوع الشمس واستقرارها في وسط السماء ، تزداد حرارة المكان ويزول الظلام لنستطيع القول بأن اليوم الجديد قد بدأ منذ اللحظة هذه . حركة السير في الخارج مزدحمة كما لو أن الصباح في أوله والجميع يذهب إلى عمله ودوامه الرسمي . غير أن الفتاة ما زالت نائمة هائمة على نفسها لا شيء يدعوها إلى القلق فالأمور منذ اليوم ستكون على ما يرام

وما أن مرت ساعاتٍ قصيرة على صباح اليوم الجديد . وإذ بها تستيقظ من نومها وعلى وجهها آثار الوسادة من شدة نومها

العميق ، تفتح عيناها كطفلٍ صغيرٍ يرى الحياة لأول مرةٍ بعد أن
خرج من بطنِ أمه

ما زالت في السرير يخمد الكسل فوقها وعيناها متلاصقتان
ببعضهما البعض كل واحدةٍ على حده . تجبد يداها بعلوٍ
وانتصاب باتجاه السقف محاولةً الانفكاك من مصيدة الكسل التي
أصيبت منها منذ استيقاظها

في غضون نصف ساعة ما بعد الاستيقاظ ، تكون الآن قد أدركت
الأمر من حولها وأصبحت ترى النور الحقيقي المنبعث من النافذة
والذي يدل على أن وقت النوم قد انتهى

تنهض من السرير لتتخلى عن فراشها الدافئ وتسير نحو الحمام
لقضاء حاجتها ورشق وجهها بالمياه الباردة لإزالة كل الشحوب
والإفرازات الهرمونية التي خرجت منها وهي نائمة . تنتهي الآن من
الغسول لتعود بكامل نشاطها وحيويتها

تنظر في غرفتها لتلقاها رأساً على عقب وكأنها لم تكن في يوماً
تلك الغرفة الباهظة التي دخلتها منذ أول مرةٍ وصلت بها إلى هذا
المكان . تبدأ بترتيب الغرفة وبالشكل الكامل لتترك خلفها أثراً
نظيف وطيب يعكس صورةً جميلةً عنها وعن وطنها ولأنها لم تعتاد
في يوماً إلا على النظافة والترتيب في كل الأمور الحياتية

بمرور ما يقارب النصف ساعة ، لتكون قد انتهت من تنظيف غرفتها
وتوضيبتها بالشكل الكامل وأفضل مما كانت عليه . إفرازات العرق

على جنبينها لتمسحها بيدها وتستلقي على الأريكة . بلحظةٍ امعانٍ
في أرجاء الغرفة ويبدو أنها نظرات الوداع واللقاء الأخير
بجلوسٍ طويل وصل إلى حالةٍ من السهو والشروء إلى عالمٍ آخر .
تقف على قدميها مقررةً الخروج في جولةٍ تنزهيه في أرجاء المدينة
والتقاط بعض الصور التذكارية ليكون الوداع يليق بحجم المكان
الذي استقرت فيه لفترةٍ قصيرةٍ لكنه . سيخلد في ذاكرتها إلى
الأبد

نحو خزانتها لإلقاء نظرة على الثياب لتستطيع اختيار لباسٍ
جميل تخرج فيه للتجول في مدينة كهذه تهتم في المظاهر كثيراً
وغير أنها تحب أن ترى نفسها دائماً أنيقةً ومتميزة من حين لآخر
تفتح باب الخزانة وتبحث بكل هدوءٍ عن بنطال قماش كانت أمها
قد اشترته لها من السوق قبل أن تسافر بأيامٍ قليلة ، ليكون معها
بشكلٍ احتياطي غير أنها تحب التغيير كثيراً . تقلب ما بين
الرفوف جميعها إلى أن وصلت إلى المكان الذي تعلق القمصان عليه ،
ليلفت انتباهها قميص وردي اللون معلقاً داخل الخزانة ويحوزته
بنطال اسود هو الذي كانت تبحث عنه منذ لحظات

تمد يدها نحوه لتأخذه والابتسامات على وجهها ، وبعد أن أخذته
وضعتة على مقربةٍ منها . فوق السرير تضع القميص والبنطال
بجانِب بعضهما لترى تناسق اللون . كل شيء على ما يرام لتبدأ
بارتداء الثياب بشكل كامل ،

توشك على الانتهاء . لم يتبق سوى آخر زرٍ في القميص ليكون قد أُغلق بالشكل الذي يناسبها كما تحب وكما تعودت . تقف أمام المرأة لترى نفسها جيداً . ترتب شعرها وهيئتها بأحسن صورة هي لا تحتاج لوضع الميك أب فهي تثق بنفسها وبجمالها دون إضافات خارجية لا تقدم في شيء غير أنها تضيع الوقت والمال دون الاستفادة من شيء . تتناول قلم الكحل البسيط لتخط عينها الجميلتين والواسعتان

وكأنه القمر في لحظات قصيرة قد هبط إلى كوكب الأرض . أصبحت الآن بأكمل وجه للخروج وهي مستمتعةً مع نفسها بعيداً عن ضجيج العالم

تنظر في غرفتها يميناً ويساراً وباستدارةٍ بشكل دائري وهي تتفقد المكان والنوافذ خوفاً من دخول أجسام غريبة عن طريق النافذة كالحشرات والزواحف والطيور

لحظة المغادرة من صلب المكان . خلف الباب تمسك بطاقتها بيدها لتمررها في مكانها المناسب بانتظار إعطاء الضوء الأخضر ليفتح الباب وتباشر بالخروج . الأمور تسير بشكل مستتب يفتح الباب وتغادر إلى الخارج ، نحو المصعد بخطواتٍ تملأها الثقة وبكامل أثقالها التي لا تجعلها تلتفت إلى أي شخصٍ كان خصوصاً إن كان ذكراً

عند المصعد تضغط على السهم الموجه للأسفل وتنتظر وقوفه على الطابق الذي هي فيه . يتوقف المصعد لتصعد به وتختار الطابق الأرضي

مرةً أخرى يتوقف المصعد لتخرج منه والمكان مزدحمٌ من حولها ، على الإسفلت الذي ينصع كالألماس ربما من شدة نظافته يستطيع الناس أن يسكبوا الطعام عليه ويتناولوه دون الخوف من التسمم أو أن تتسخ أجزاء منه

تقف في موقفٍ خاص للمركبات التي تعمل على الشارع لنقل الركاب . تتوقف مركبة بجانبها ، تفتح النافذة الالكترونية ليخرج السائق رأسها منها ويتحدث إليها قائلاً : إلى أين تريدان الذهاب ؟ ، شهرزاد : حقاً كنت ابحث عن مكان هادئ ومليء بالأشجار والورود ؟ . السائق : يبدو انك غريبةٌ عن هذا البلد ، لكن لا بأس سأوصلك إلى مكان جميل

الفتاة : على ضمانتك إنه جميل ؟ ، السائق : لا عليك فقط اصعدي واتركي الأمر لي ،: تصعد وكلها أمل بالسائق ، تغلق الباب ويبدأ السائق بالسير متوجهاً إلى المكان الذي تحدث عنه للتو على الطريق وهي داخل المركبة والنوافذ مغلقة بإحكام ، تنظر إلى المكان من حولها لترى تعانق الأشجار لبعضها البعض واخضرار المكان وعلو البنيان وانتظامها على خطٍ واحد ، كل شيء جميل هنا هذه البلاد تستحق بأن يقال عنها بلاد مقدسه لأن الأشخاص

الذين يعيشون فيها يحافظون عليها ويهتمون بها ويسيرون خلف القانون والنظام موحد على كافة الشعب دون استثناء

بعد سيرٍ طويل تتوقف المركبة ، والفتاة من شدة قطعها للمسافات أصبحت تشعر بالدوار الشديد . السائق : تفضلي بالخروج وها نحن الآن أمام اكبر حديقة في أكسفورد وستشعرين في الأمان والراحة وأنتي تستمتعين في الطبيعة الخلابة

شهرزاد : شكراً جزيلاً في الحقيقة يبدو المظهر من الخارج جميلاً جداً فالأشجار مترابطة بجانب بعضها البعض والمكان في غاية النظافة

تفضل الإيجار لو سمحت ، تمدها نحو كتف السائق ، ثلاثة دولارات . يأخذ السائق المال وتخرج من المركبة

أمام الحديقة منظر يحبس الأنفاس من شدة جماله . تخرج هاتفها من جيبها وتبدأ بالتقاط صور عديدة وبوضعية مختلفة . إلى أن انتهت ، نحو بوابة الحديقة ، رجال الأمن يحيطون بالمكان ولافتات مكتوب عليها ممنوع التدخين ، الرجاء الحفاظ على النظافة

تصل عند البوابة من مسافة صفر تلامس يدها بوابة الحديقة ، لتبدأ بالحديث مع موظف الدخول ، كم تذكرة الدخول ؟

الموظف : دولارين ، شهرزاد : في الحقيقة تخيلت بأن السعر سيكون باهظاً ، لكن لا بأس تفضل . تفتح البوابة الالكترونية لتدخل إلى

الحديقة ، ممرات مرصوصة بالحجر الايطالي ونبات من الإنجيل مزروع بجانبها ، وكل أنواع الأزهار موجودة في هذا المكان ، يا لحجم الروعة والأناقة ، هذا المكان مليء بالحب والحنان . هنا يستطيع المرء أن يشعر بحجم الراحة الحقيقية

تستمر بالسير باحثاً عن مكان تجلس فيه . بزواوية عينها ترى شجراً من السرو المتقزم ويجانبه مقاعد خشبية دائرية الشكل مغروسة في التراب ، يبدو أنها أشجار من الكينا لكنها قطعت منذ زمن وأصبحت تستغل على شكل مقاعد جميلة ومريحة

لا شيء سوى الجلوس والاسترخاء والتأمل في رونق المكان وجماله ، مناظر خلابة تأخذك بعيداً عن عالم الضجيج والازدحام ، تعيدك إلى القرون الأولى ما قبل الميلاد . انه لشيء جميل أن يشعر المرء بأكداس من الراحة والهدوء عندما يأتي إلى هذا المكان لوحدته دون رفقة أحد

على رأس لسانها كلام يتراجع إلى داخل عقلها ، تود أن تحدث نفسها قليلاً ، لكن شيء ما يردعها ويقول ، - لقد جئت إلى هنا من أجل الراحة ، لا من أجل خلق التوترات والضغوط النفسية - في الحقيقة هي تود أن تقول شيئاً مزيدياً وكلام ممزوج بماء الذهب لشدة حاجته للغير

تتعالى على نفسها وتجمع قواها من داخل أعماقها ، لتسترد أنفاسها وتقول ،. إن الجلوس على بئرٍ من الماء المتدفق حد الأفئدة

لن يستطيع أن يروي عطشك الممزوج بحرارة الشمس ، فإذا أردت الحصول على رشفة من الماء عليك الغوص إلى أسفل البئر من أجل أن تروي حاجتك من الماء ، لكن أن بقيت جالساً دون جدوى غير أنك تنظر للناس من أمامك وهي تلقي بأوعيتها وتملأها بالماء وتأخذ حاجتها من البئر ، فستبقى على حالك جالساً دون أي منفعة ولا فائدة غير حرارة الشمس التي ستلتهم وجهك

فالشئ الذي عليك معرفته دائماً ، إن كنت تريد شيئاً من هذه الدنيا فعليك الانجراف خلفه دون الخوف وتشتت من شيء . فهذا العالم لا يقبل الضعفاء ولا يضعهم في دستور كبريائه الذي لا يتسع إلا للعظماء وأصحاب القلوب القوية والتي لا تعرف اليأس أو الخوف حتى تحقق أهدافها ومتطلباتها . ومن ثم تقف بعيداً عن هذا العالم وهي تشاهده عن كثب وتصفق لهذا وتحفز هذا وذالك وكل من يسعى وراء أحلامه

وأيضاً إن الورد لا يطلب الماء بل يسقيه زارعه . فعلى المرء أن يزرع الورد داخل نفسه وفي كل طريق يسير فيه لتكون تلك الورد بديلاً عن كل العثرات التي سيواجهها والخدوش التي لا ميعاد لها . فالروح الداخلية للإنسان ما هي إلا بستان تزرع فيها ما تشاء وتقلع ما تشاء ، فإن زرعت الورد داخلك فسوف تحصد شيئاً جميلاً وثميناً ، لكن إن لم تزرع شيئاً وجعلتها خربة لحشائش الأرض فسوف تحصد عشب يابس لم يذق طعم الماء منذ أن نبذت رؤوسه

داخل بستانك . الذي هو بعيد عن خراب العالم الخارجي الذي
ملأه آثام الظنون والحقد والبغض والشتائم

وإن كان هناك خرابٌ سيحصل فهو عائدٌ عليك وحدك لا على
العالم الخارجي . فأنت الذي تبني وأنت الذي تهدم ، وفي الوضع
الطبيعي ودون وجود شواذ ، أن الأشخاص لا يختلفون عن بعضهم
إلا بالتجارب والإرادة ، فهذه الأشياء هي التي تحقق كل شيء

يسرق الوقت من نفسه ساعات كثيرة ، وبسهو شهرزاد وجلوسها
الذي يشعرها بالراحة وهدوء المكان من حولها ، جعل الوقت يمر
دون الشعور به . توشك الشمس على الغياب بعد إشراقها الذي
تجاوز ثلاثة عشر ساعات من مطلع اليوم الجديد ، وإذ به قد
أوشك على الانتهاء فعند الغروب يصبح الوقت قصيراً جداً عكس
الشروق تماماً

تقف على قدميها بشعور بالخدر وعدم القدرة على السير من طيلة
الفترة التي كانت تجلس فيها . بمشيٍ خفيف دون التثاقل تسير
وهي ترفع رأسها نحو السماء رغم كثافة الأشجار وتعانقها ، إلا
أنها ترى نور الشمس يبعث من بعيد بطاقة مليئة بالدفع والأمان
والسرور ،

تكمل سيرها لتغادر المكان قبل أن يحل الظلام . وأن كل شيءٍ من
أمامها يصفق لها على خوضها هذه المرحلة التي كانت مليئة

بالتحديات والصعاب إلا أنها استطاعت الصمود والمكافحة بكل ما لديها حتى وصلت إلى ما هي عليه

خلف البوابة بعد أن خرجت من الحديقة ، تلتفت وهي تنظر بعينٍ واحده إلى المكان لترسمه في مخيلتها ليكون ذكرى جميلة تتذكره في الأيام القادمة . تكمل سيرها إلى موقف السيارات القريب من الحديقة لتغادر إلى حرم الجامعة وتستعد للعودة إلى موطنها في اليوم التالي

قراءة الماء متر سارتها شهرزاد على قدميها لتصل إلى موقف السيارات . ينظر الجميع إليها بنظرة يروها وكأنها ورقة من النقود ، تقف وهي حائرة لتقول : أريد الذهاب إلى جامعة أكسفورد ؟ ، إلى من الدور الآن لأصعد معه . حالة من الصمت وتبادل النظرات من قبل السائقين

سائقٌ من بينهم جميعاً يكتسح الشيب شعره والسواد في وجهه وكأن مدينةً بأكملها قد انقطع التيار الكهربائي عنها ، . ليقول : تفضلي بالصعود معي ، تنظر إليه بوجه من الذعر والخوف وقلة الثقة ، لكن لا حل أمامها سوى أن تصعد معه وإلا سيحل الظلام في المكان ، لتكون تكلفة الإيجار قد ارتفعت وقل عدد المركبات ،

تعود إلى رشدها ودون الحاجة إلى الكثير من التفكير ، تتقدم نحو المركبة . تفتح الباب وتصعد في المقاعد الخلفية . يشغل السائق مركبته ويأشر بالسير متوجهاً إلى جامعة أكسفورد

على الطريق يشغل السائق موسيقى اسبانية (بيلا تشاو) ويرتدي على رأسه قبعة من القش ، ينظر بالمرآة إليها لتدير وجهها عن عينيه . متعجباً من أمرها لماذا تدير وجهها كلما نظرت إليها ؟ ربما ملامحي سيئة لهذه الدرجة أم أنني عجوز ولا ترغب إلا بالشباب ؟

يعود مجدداً لينظر إليها بعينٍ فارغة ، وهي تكاد أن تصعق من شدة اشمئزازها من الموقف . بعد أن فاقت حدود الصبر لديها ، لتقول له أوقف المركبة وأنزلني هنا ، ، ينظر إليها بدهشة واستغراب ؟ لماذا ماذا فعلت لك ؟ أم أن المركبة غير مريحة لكنها إصدار ألفين وأربعة عشر !!

تنطق بكلامٍ غير مفهوم وبوجه يملأه الاستخفاف وعدم الرضا عن شيء . في الحقيقة لا يهمني ما هي مواصفات المركبة لكن تهمني أخلاق السائق ، فمنذ أن صعدت داخل المركبة وانت تنظر إلي بنظرات مزعجة ، فلقد حفظت معالم وجهي أكثر من معالم الطريق التي تسير فيها منذ أكثر من عشرين سنة ، ! . وهذا الأمر يزعجني

يندهش السائق من فصاحتها وبلاغة قولها ، ليقول لها : لست من هذه البلاد ؟ . مجدداً تتعجب شهرزاد منه !! في الحقيقة لا ، أنا عربية الأصل ولا تسمح لي أخلاقي وتربيتي بأن ينظر إلي رجل

غريب عني بهذا الشكل أو أياً كان ، فهذا تصرف غير لائق ويفسر
بأشكال كثيرة

تتغير ملامح وجهه إلى الحزن لتدبل عيناه ويفقد سيطرته على
المقود ، يوقف المركبة ويلتفت إليها قائلاً : أنا اعتذر لك عن
بشاعة الموقف لكن في الحقيقة ظننت انك من هنا !،

تتحدث شهرزاد : لا بأس فليكن خيراً ولتعود الأمور إلى مجرياتها .
مجدداً تدير وجهها إلى جهة الزجاج الذي يحاذيها من جهة اليمين
للمركبة وهي تنظر إلى الأشجار وربوع المكان وإنارة الأعمدة .
يشغل السائق مركبته مجدداً ويستمر بالسير وهو بحالة من
التعجب

بمرور عشرة دقائق ما زالت الأمور مستتبه وكان السائق قد قيدت
عيناه ولجم فمه عن شهرزاد ، فلم يعد ينظر ولا يتحدث اليها من
بعد ان وبخته بطريقة مهذبة . يخفف السائق من سرعة المركبة
ليكون قد وصل إلى جامعة أكسفورد

تفتح حقيبتها الصغيره لتخرج محافظتها وتقوم بدفع الإيجار .
يرى السائق كل شيء على مرآته ، ليقول لها : لا أريد منك مالا
ولا إيجاراً عن التوصيل ، سامحيني فحسب وليكن إيجار الإيصال
هو أن تقبلي اعتذاري عن الشيء الذي حدث

تتعجب شهرزاد ! لتقول : لا بأس يا عمي فهذا شقاؤك وتعبك
وأنت تقطع المسافات لتبلي حاجات الناس وتقوم بواجبك تجاههم.

ولا احد معصوم عن الخطأ وخير الخطائين التوابون ، وأنت اعتذرت في المرة الأولى وانا قبلت الاعتذار فلا داعي لكل تلك الإحداثيات والتوترات

تفضل الإيجار من فضلك واسمح لي بالذهاب ،، وبعد نطق كل هذا الكلام يتعجب السائق مجدداً من حنكة شهرزاد وكأنها قد عاشت عشرين عاماً من التجارب فوق عمرها . ناظراً إليها بنظرات ضعف وقلّة حيلة ، شكراً لكِ يا بنيّتي على هذا المعروف التي قدمتها لي ، وسأعدك بأني لن أضايق أحداً من الآن فصاعداً مهما كانت جنسيته أو لونه أو دينه ، الاحترام لا يعرف جنساً ولا لون ولا ديانة ،، وإلى اللقاء

تغلق باب المركبة بكل لطفٍ وهدوء وبابتسامة عريضة تودع فيها السائق من خلال مرآة باب المركبة

ظلام المكان من حولها رغم إنارة أعمدة الكهرباء التي تعمل على الطاقة الشمسية . تقف في الشارع على برودة الإسفلت الذي عانقته نسيمات المساء المنبعثة مع ضباب الجو الذي تظهر عليه علامات الخريف حيث أوراق الأشجار منثورة بجوانب الطرقات

تلقت إلى الخلف متوجهة إلى الطابق الذي تقيم فيه داخل غرفتها في سكن الجامعة . في الطابق الأول وقبل أن تصعد إلى إحدى الطوابق في الأعلى ، تقف للحظات وهي تخير نفسها إن كانت ستصعد على الدرج أم ستختار المصعد ،، بوقوف مطول

وبحركة الناس المستمرة على المصعد حيث يصدع صوت رنينه في أذنها بشكل مزعج ، غير أن الدرج يعتبر مكان مهجور فلا احد يقوم بتنظيفه والاهتمام به

نحو المصعد ، تضغط على الزر الموجه للأعلى ، تنتظر حتى يقف على الطابق الذي اختارته . يتوقف المصعد ، تصعد داخله هي ومن كان ينتظر معها ، في الداخل الجميع يختار الطابق الذي سيتوقف عنده ، تختار شهرزاد الطابق الثالث الذي تقيم فيه

لم تمض دقيقة واحدة لتكون شهرزاد في الطابق الثالث وبين الممر، تسير نحو غرفتها وهي تخرج من حقيبته بطاقة العبور إلى الغرفة، تمرر البطاقة كعادتها ويفتح الباب بعد إعطاء الضوء الأخضر . تدخل إلى الغرفة لتأخذ نفس عميق وتسند نفسها على باب غرفتها لشعورها بالدوار الشديد بسبب المواصلات ورائحة المركبات من الداخل وهواء المكيف الاصطناعي

تبدأ بالسير إلى الحمام ، لتغسل وجهها وتنظف أسنانها جيداً قبل أن تجهز حقيبتها وتخلد إلى النوم لتستغل كل دقيقة في النوم لأخذ قسط من الراحة ، لأن يوم غد سيكون شاقاً ومتعب للغاية . تنهي الآن تغسيل وجهها وتنظيف أسنانها ، تتوجه نحو خزانتها وهي تجر حقيبتها معها ، تبدأ الآن بعملية توضيب الملابس وكل الأغراض التي جاءت بها إلى هذا المكان . تنتهي من التوضيب

لتنظر إلى الخزانة من الداخل وتراها مجردةً من كل شيء ، وكما كانت في السابق من قبل أن تقوم باستعمالها

تجهز نفسها للخلود إلى فراشها . تتجاوز الساعة التاسعة مساءً وإذ أنه لم يتبقى شيئاً غير ان تنام لساعات كافية تكون فيها قد استعادت نشاطها وحيويتها لبدء اليوم الجديد والذي سيكون

مختلف عن أي يوم آخر . فيوم غداً ستقابل وجه السماء وتعاقد الأغصان الأشجار وتتبادل الطيور زغاريد الفرح والسرور ، من بعد غياب استمر لبضعة شهور . لتكون قد أنهت كل شيء بالشكل المطلوب ولم يتبقى إلا أن تقابل أسرتها لتعود بهجة الحياة داخلها من جديد وبشكل لا يشبه السابق أبداً

تخطو آخر خطواتها إلى الفراش وداخل هذه الغرفة وهذا المكان . تريح ركبته على السرير وهي تنظر إلى العالم الخارجي ترى الهدوء يسبق العاصفة والشوارع خالية ، غير أن نسمات الهواء في الخارج ترف بأوراق الأشجار المتساقطة . تعود إلى وضعية الوقوف لتفتح فراشها وتجلس فيه وهي تمد جسدها بالكامل ليعانق وجهها الحائط وتغضو على أمل أن تنام دون نزاعات

تغلق عيناها كسماء لا قمر فيها يسودها الطمس والظلام ، وترخي جسدها وكأن الفراش مليكها . بمرور القليل من الدقائق لتكون بسبات عميق وكعادته المكان وكأنه مقبرة مهجورة لا صوت يعلو فيه غير أصوات الصرصار وهبوب الرياح

دقة الساعة وصراعٌ بين العقارب ، الجميع يركض بلهفة بدافع حب كبير معها على أن يمر هذا اليوم بسرعةٍ لتكون قد وصلت إلى مسقط رأسها . وأيضاً قصتها ليست كأى قصةٍ أخرى فهي أصبحت تحاكي الوقت والأشجار والنوافذ والستائر والإسفلت وكل شيءٍ تمر به من أجل الوصول إلى الرmq الأخير

بين كل دقيقة تمر ورقاد شهرزاد في فراشها هناك أحلام تقترب ومواعيد ستنتهي غداً عند مطلع صباح اليوم الجديد . وانه من الآن لم يتبقى سوى خمس ساعات لتكون قد استيقظت بالشكل الكامل وعلى حب استعداد كبير ودافع للرحيل والعودة إلى بلدها الأصلي

صفاء السماء ثابتٌ لا يتغير ، تندثر النجوم بشكل عشوائي ويطل القمر بنوره على المكان . يتسلل النور من النافذة إلى السرير الخشبي الذي تنام عليه ، وعقارب الساعة لا تعرف لغة للحوار فهي لا تقبل السير خلف احد ، بل تجعل الناس يسرون خلفها باحثين عن دقائقٍ قليلة تساوي شهور من الجهد لإيجاد الراحة والسلام

على أمل أن تقابل ما تريد وان ترى كل الأشياء بسلامٍ وأما دون ذلك فسلام على الدنيا وما فيها .

عودةٌ هنا وهناك خارج الغرفة من إطلالة النافذة على رونق المكان الذي تعيش فيه وتراصُ الأشجار ، وإنارة الأعمدة الحمراء ونظافة الشوارع والأرصفة .

بعد وقتٍ زمني طويل وتقلب حالة الجو في الخارج وزوال النجوم ، ها هو الدجى يحل مجدداً والسماء مزرقّةً بسوادٍ خفيف ، تتجاوز الساعة الخامسة صباحاً ما بعد طلوع الفجر بقليل اذ انه لم يتبقى على موعد المغادرة سوى ساعة ونصف

يتحرك شعور داخل شهرزاد وكأن احدٌ يوقظها من نومها بصراخٍ عنيف . تصحو من نومها وهي بحالة نشاطٍ واستعدادية كاملة للرحيل ، تنهض وهي تنظر إلى ساعة الحائط ، الوقت يداهما والسماء تتفتح لصباح اليوم الجديد

تغادر فراشها بجسد نشيط وغير مرهق ، تتوجه نحو الحمام مباشرة لتغسل وجهها وتنظف أسنانها لتفسد رائحة النوم من فمها ويزول النعاس عن وجهها . داخل الحمام صوت الخريز يتدفق بقوة والأمور تسيير على ما يرام

بعد مضي دقائق قليلة لتكون قد أنهت عملية الاغتسال . تغادر الحمام متوجهةً إلى غرفتها وهي تخلع ملابس النوم لتبديلها بملابس جميلة تناسب حجم هذا اليوم الذي يختلف عن باقي الأيام التي مرت بها

تتناول ثيابها وتبدأ بعملية الارتداء وبسرعة زمنية تختلف عن السابق بكثير . ترتب شعرها وتقوم بتسريحه بلمسات بسيطة دون الحاجة إلى مصفف شعر أو ما شابه ذلك . تقف أمام المرأة لتتفقد

معالم وجهها الجميلة وترسم عيناها بالكحل داكن اللون دون الحاجة إلى وضع طبقاتٍ من الميك اب على وجهها

دقائقٌ قليلة لتكون قد أنهت وضعيتها تجهيز نفسها بالشكل الكامل . تقف قليلاً وهي تنظر في أرجاء الغرفة بنظرات يسودها الفرح والحزن على شيئين جميلان . الأول هو فرحها من بعد انتظار طويل في إنهاء هذه المهمة الصعبة والتي أخذت جزءاً كبيراً من حياتها اليومية ، والثاني هو حزنها على الذكريات التي خلتها في هذا المكان والتي سيصعب عليها إعادة كل لحظة منها في أي مكان آخر ، فالذكريات عندما تتخلل إلى أعماق القلب والروح يكون من الصعب التخلي عنها ونسيانها بسهولة كما يعتقد البعض

الساعة الخامسة والنصف صباحاً هدوءٌ عارم في المكان وها هي تطول لحظات وقوف شهرزاد وهي تنظر في أرجاء الغرفة . لا شيء يستحق الانتظار أكثر ، تجر حقيبتها البسيطة وتتقدم نحو باب الغرفة ، تمر بطاقة الخروج ليسطع الضوء الأخضر وتخرج من غرفتها بعد ان تركتها مرتبة كما استلمتها سابقاً

في هذه اللحظات تكون شهرزاد قد تخلت عن المكان الذي كانت تلبث فيه منذ لحظاتها الأولى في جامعة أكسفورد . لم يتبق غير القليل لتحلق بين السحاب بكامل الفخر والعزيمة على ما عملته طيلة لحظة غيابها عن المنزل والوطن

تغلق باب الغرفة بكل نعومة وخفة في الصوت قدر الإمكان ، خوفاً من ان يستيقظ احد الجيران في الغرف المجاورة لأن الجميع ما زال يغط في نومه العميق . تسير بخطوات ثابتة دون إصدار صوت طقطقة او ما شابه ذلك ، . عند المصعد تنظر إليه وهو منطفئ ولا تصدر منه أي أصوات رنين وتسوده حالة من الهدوء والركود وكأن النعاس غلب عليه أيضاً

تقف قليلاً وهي تتمهل في ما عليها فعلة . بعد دقيقتين تضغط على السهم الموجه للأسفل من المصعد ، ليفتح الباب مباشرة وتصعد فيه . مجدداً يتوقف المصعد في الدور الأول من الحرم الجامعي والسكن الطلابي لتباشر الآن بالخروج وظهرها يودع المكان ما زالت تسير وعجلات حقيبتها يداعبن الحصى على الإسفلت . إلا أن وصلت الآن إلى محطة خاصة للمركبات الخصوصية والتي تعمل لنقل الركاب على ساعات متفاوتة ويتناوب دون توقف حتى آخر الليل ومطلع الصباح ،

داخل المحطة لا يوجد سوى مركبة واحدة يستقلها سائق عجوز يحتل الشيب رأسه بالكامل إلى أن أصبح قطعة قطن بيضاء . بوقوفها ووضع إصبعها في فمها تنظر إلى السائق وهي تترجل نحوه بخطوات بطيئة الظل إلى أن وصلت عنده

تمعن في النظر من النافذة الأمامية لتلقى السائق العجوز مستلقياً على الكرسي ومنحنياً على كتفه ويصدر منه صوت شخير مرتفع

والنوم سيد الموقف . بحالةٍ من التعجب! ولماذا هذا العجوز نائم ما الذي اجبره على الخروج في وقتٍ كهذا بدلاً من النوم وأخذ قسط من الراحة . ما زالت تتمتم في سرها خوفاً من يسمعها السائق وهي تتحدث عنه

لحظة التفكير لإيجاد الحل حيث انه لم يتبقى الكثير من الوقت ليكون موعد الطائرة قد بدأ وفي هذه الحالة لا يصلح التأخير أبداً . بمرور عشر دقائقٍ من الانتظار والترويض لحل مناسب ومجدي في مثل حالةٍ كهذه . قررت أن تقوم بإيقاظ السائق العجوز

تجرباً وتقدم نحو نافذة المركبة المطلّة على السائق من الجانب الأيمن له . تطرق باب المركبة بشكل خفيف ودون إصدار صوت مزعج ، ما زال العجوز يكتّم النوم على أنفاسه إلا أن جاء الضجج باستيقاظ السائق وهو ينظر من حوله وكأن العالم بأكمله تغير عين السائق ترمش ، إذاً كل شيءٍ على ما يرام ، يقوم بذلك عينيه بيديه الاثنتين ليستطيع الاستيقاظ بأفضل شكل . تُفتح نافذة الزجاج من الجانب الأيمن للمركبة ، ليبدأ الحوار الآن :

السائق إلى شهرزاد وبصوت في بدايته الخشونة ، يبدأ السائق حواراً مع شهرزاد : ما الذي تريديه يا حسناء في هذا الوقت المتأخر ؟

الفتاة : عفواً لكن الوقت ليس متأخر والعكس يثبت ذلك حيث أن السماء بدأت تتشقق إلى لونها الأزرق

السائق : حسناً لا يهم . إلى أين تريدين الذهاب ؟

الفتاة : إلى المطار ؟ هل يمكنك إيصالي ؟

السائق : بالطبع هيا اصعدي .، تنظر إليه وينظر إليها وهي تحدق بعينيه وكأنه كان يحتسي الكحول طوال الليل وما قبل غفوته بقليل ،

تفتح باب المركبة وتصعد في المقاعد الخلفية . يشغل السائق مركبته ويياشر بالسير نحو المطار . على الطريق تشتم الفتاة رائحة غريبة تشبه البنزين لكنها تميل إلى معقم الجروح أكثر ، ربما كحول . تنظر في أرجاء المركبة بنظرات غريبة ودون ارتياح . تحاول أن تتغاضى عن الأمر لكن شيئاً ما يدفعها لمعرفة الحقيقة لصالحها الشخصي وحرصاً على نفسها من أن تصاب بالأذى

تتجراً لتمد يدها نحو كتف السائق وتقول له ، : لكن من فضلك هناك رائحة غريبة في المكان ولا أستطيع أن أشمها في مركبة أخرى؟. هل تفقدت مكان الوقود قبل أن تسير بنا أم انك تصطحب معك معقم جروح !

يلتفت السائق وهو يردد في جوفه صوتاً مليئاً بالخشونة ، : في الحقيقة يا بنيتي هذه رائحة كحول ولكن أنا أتعاطى الكحول بشكل يومي وباستمرار لكي أستطيع أن أنسى همومي ، ورغم ذلك لا افقد وعيي فأنا أتمتع بيوم عادي ودون الوقوع في مشاكل أو

حتى لا أتعرض للسهو وأنا أقود على الطريق . لا تقلقي كل شيء
على ما يرام

تتعجب شهرزاد من حديثه الذي قاله بدمٍ بارد وباستهتار كبير
وكأنه يعلم ما تخبئ الأيام له . مجدداً وبعد أن لقطت أنفاسها
لتقول له ،: ولكن ما هي الهموم التي جعلتك تلجأ إلى سمٍ من هذا
النوع ، الذي تعتبر انه جيداً ومفيداً !

ينظر السائق إليها من مرآته الأمامية قائلاً لها ، بعد أن خلع
نظارته التي يرى العالم بدونها غباشٌ وضباب . في الحقيقة منذ
أكثر من خمسة أعوام فقدت زوجتي وولدي الوحيد في حادث سير
مؤسف لم يكن متوقعاً حدوثه في يومٍ من الأيام ، لأنه سابقاً تعذبت
كثيراً حتى استطاعت زوجتي الإنجاب فهي كانت تعاني من عقمٍ
ورغم ذلك لم أتخل عنها وبقينا نحاول حتى من الله علينا بولد
كان الوحيد لنا

ومن بعد ذلك اليوم أيقنت أن حياتي ستبدأ تسير بالشكل الطبيعي
ودون الوقوع في العثرات مجدداً وأنها ستكون جميلةً مع هذا المولود
الجديد ، لكن مع الأسف وبعد خمسة وعشرون عاماً حصل ذلك
الحادث الذي حدثتك عنه للتو وتغيرت حياتي إلى الأسوأ فأنا لا
املك سوى مركبتي هذه وبيتٌ صغير يؤويني عن بغض هذا
العالم وفي الأصل أنا رجلٌ لدي الكثير من الأملاك والمصالح
الشخصية لكنني تخليت عنها لأشخاص أحوج مني بها . وأيقنت

من بعدها أن صفةً واحده لم تعد تكفي لنقاوم فيها مرارة الحياة
وقسوتها

يصمت الصمت نفسه ويزوغ الهدوء من المكان ، فوضى عارمة تتشكل
على الوجوه والملامح . السائق بحالة من الحزن والأسى ، وشهرزاد
يؤنبها ضميرها على كل لحظة تراجلت فيها أمام السائق حين
سألته عن سبب الرائحة الغريبة

تنطق بكلمات ملعثة وغير مركبة بالشكل الصحيح ، إلى السائق
الذي لا يدري بأي أرض يسير . تتجراً مجدداً لتقول ، : انا اعتذر
لك عن فعلتي هذه ولكن فضولي دفعني من دواعي الأمان
والحرص على الأرواح التي وهبنا اياها الله لنحافظ عليها ونعيدها
له بالشكل السليم ،

وأيضاً إن جسدك هو أمانة عليك وصحتك التي تتمتع بها
وتعيش يومك سعيداً دون اية اضطرابات او مشاكل ، لذى
فالجميع منا يتعرض لصفعات عديدة وتكون في غاية الصعوبة لكن
ليس علينا سوى التحلي بالصبر والعزيمة والإيمان بالقدر خير
وشره ، وعن نفسي أنا أتحدث كفتاةٍ لم تبلغ مراحل العنان من
عمرها حيث فقدتُ والدي وأنا في اشد حاجتي إليه ولم تكن أسرتي
تملك مالاً ولم يكن لدي أخ ليكون محل والدي . لقد كانت
الأمر سيئةً جداً لكنني تحملت الكثير وعانيت الكثير وكله من
اجل أسرتي أولاً ومن ثم نفسي وأيضاً لم أنس والدي فهو السبب

الأول لوصولي لهذا المكان ما أريد قوله لك ، أننا لو نظرنا إلى همومنا ومشاكلنا ولو قليلاً وتمعناها جيداً لوجدنا أن كل ما يحدث هو أمرٌ طبيعيٌ مسيرٌ مع الطبيعة بأمرٍ إلهيٍ ويدور على الجميع دون استثناء حتى الملائكة ستأخذ دورها ولو طالَت الأقدار والأزمنة . وأنه ليس عليك سوى مقاومة ما تبقى من هذه الحياة وان لقاؤك مع زوجتك وولدتك الوحيد سيكون في الجنة فالله لا ينسى العبد الصبور ، وأنصحك بالابتعاد عن الكحول ولو كانت لا تذهب عقلك إلى أماكن بعيدة وخارج هذا العالم ، لكنك تتناول السمّ البطيء والذي يقتل الروح قبل الجسد

بعد سيرٍ طويلٍ ليكون السائق قد أوشك على الوصول . يكمل حديثه بلحظات صمتٍ وتعجب من شهرزاد والتي تقدم نصائحاً وكأنها تعرفه منذ دهرٍ طويلٍ ، لحظةً من الضعف وموقفاً تهتز له الأبدان . تفيض عينان السائق ويبدو بحالةً من الضعف والندم الشديد والعجز على أفعاله الضارة بصحته والتي لا تقدم ولا تأخر بشيء ، وأنه كيف لرجلٍ مثله أن يخفض من قيمة نفسه بعادات سيئة كهذه

انه يمتلك عقلاً سليماً ناضجاً بما فيه الكفاية ليقاوم كل الأشياء الصعبة لوحده دون الحاجة لأحد . بعد حوارٍ مع النفس وتأنيب الضمير الذي وقع عليه فجأةً وبعد أن أدرك الأمور في رأسه

بشكل جيد يحاول الهدوء وكأنه لم يحدث شيء يخفي دموعه
بنظارتها التي تساعد في تحسين النظر والرؤية الأفضل

ما زال المكان تسوده حالة من الصمت البليغ وكل هذا الكلام كان
حواراً داخلياً مع النفس . يتحدث السائق قائلاً لها : يجب أن أطلق
عليك اسم فتاة الخير والصلاح ، لأنه أولاً معالم وجهك تدل على
الأمن والسلام فلا أظن أن من يرى ملامحاً كهذه سيبقى غاضباً
ويضطلع الأمور السيئة ،

ثانياً انك صريحة جداً وتبين رأيك في الأمور التي ترينها تحتاج
إلى إصلاح وتهذيب . وأيضاً كلامك هذا لم اسمعه من احدٍ من
قبل فالجميع هنا يهتم بنفسه ولا ينظر إلى من حوله فهل يحتاج
المساعدة أم لا أو انه يأكل جيداً وينام جيداً ، كل هذه الأمور
ليست موجودة هنا

والشيء الثالث والأخير ، سأحاول التغيير من نفسي قدر الإمكان
وسأعيش ما تبقى من عمري بالطريقة التي تجعلني أقابل زوجتي
وولدي في الجنة ولو ليوم واحد . وفي الحقيقة لا اعرف كيف علي
أن أقوم بشرك وتكريمك بالشكل الذي يليق بك ، أريد أن أقول
بأنك فتاة رائعة وتستحقين أن تكوني في المقدمة دائماً لأن العالم
أصبح بحاجة ماسه إلى أشخاصٍ مثلك

تحاول ضبط نفسها وان تبقى عادية دون تعلي في النفس او حتى ان
تصاب بالكبرياء للحظة قصيرة . يوشك السائق على الوصول لم

يتبقى سوى مئاتٍ قليله من المترات ليكون قد وصل الى المطار .
تسرق شهرزاد من الصمت اجابة لهذا السائق ؛، هذا واجبي تجاه
الأشخاص الذين ينتابهم الضعف في لحظات يكونوا فيها على
مراحل الهشاشة والانكسار ، واننا نحن البشر خلقنا من طينة
واحدة فنحن معرضون للتعب والانكسار والخذلان واليأس والضجر
حتى من انفسنا ، فلا تقلق ولكل داءٍ دواء

تتغير ملامح السائق إلى الأفضل وكأنه وردةٌ جورية تتفتح في
بدايات الربيع . لحظاتٍ من تبادل النظرات من خلال مرآته
الأمامية ، الابتسامات تأخذ حيزها وشهرزاد تتصنع من اجله
وتبتسم بطريقةٍ عفوية تجعله يشعر بالأمان أكثر عن اي يوم قد
مضى على تلك السنين القاسية التي عاشها بحرمان كبير

رغم طول مسافة الطريق التي قطعتها شهرزاد داخل المركبة إلا
أنها لم تشعر بالملل بقدر ما شعرت بالحماس والتفاعل في الحوار
مع السائق وفي تقديم النصائح له والتخفيف عنه ومواساته
بطريقةً لا تجعله يشعر بتأنيب الضمير

يستمر بالسير إلا أن وصل أمام المطار . تخرج شهرزاد حقيبتها
الصغيرة التي كانت تحملها على كتفها في كل مرة تخرج فيها .
تأخذ بضع دولارات لتعطيها إلى السائق ، ما إن مدت يدها نحوه وإذا
به يلتفت عليها وهو مبتسماً ويقوم بإرجاع يدها ليقول : أنا الذي

يجب عليه أن يدفع المال وليس أنتِ ، لأن النصيحة في هذه الأيام لا تشتري بثمن ، ولذلك لا أريد منك ثمن أجرة التوصيل

وكان لسانها تلجم بملاك من السماء ، يتلعثم الكلام داخل فمها ولا تستطيع النطق بشيء مفهوم ، غير أنها تحدق بشكل غريب إلى السائق وغير أن نيتها من الداخل لم تكن إلا للإصلاح ، فقد كان الجزء ، إن جميع الأموال لا تساوي حجم النصيحة

تراجع داخل نفسها وتلملم علامات الفجع عن وجهها ، لتعيد المبلغ إلى حقيبتها وتقول للسائق : شكراً لك على حسن هذه المعاملة وأتمنى لك حياة أسعد من التي عشتها في السابق وادعوا الله أن يعوضك بأشخاص يعرفون قيمتك وقدرك من بينهم

تفتح باب المركبة ، وتنظر النظرة الأخيرة إلى السائق وهي تودعه بدواعي الحزن والأسى على حالته غير انه بدأ يخفي كل شيء بابتسامته لا ادري إن كانت حقيقية أم لا . ما زالت تقف عند الباب وهو يلوح لها بيده ويودعها بطريقة تناسب رونقها ولطفها التي كانت تنبع من أعماقها

ها قد مضت لحظات لتغلق باب المركبة ، تسير متجهة نحو الجهة الخلفية منها لتفتح الغطاء الخلفي للمركبة وتأخذ حقيبتها التي تجرها على عجلات صغيره . تغلق باب المركبة الخلفي وهي تلوح للسائق بأن كل شيء على ما يرام وأنه يستطيع المغادرة . تبدأ

المركبة بالتحرك إلا أن أصبحت تختفي عن الأعين ولا تُرى على
ضفاف الشارع البعيد

ما زالت تقف شهرزاد في مكانها ، تلتفت بكامل أثقائها وهي تنظر
إليه ببلاغة وحب كبير ودافع بالشوق للدخول من بابهِ الصغير
والذي لا يمثل ضخامته من الداخل والخارج إنه المطار . تسير وهي
تجر حقيبتها وهي رافعةً رأسها باعتزازها بنفسها وبأمل كبير على
أن تكمل طريقها بأقل الأضرار ، وكما هي الآن بعيداً عن ما قد
مضى من أحداث ذاقت فيها مرارةً تكفيها من ما تبقى من حياتها

تضرب نسيمات من الهواء الباردة بوجهها . مع طلوع الصباح المفعم
بطاقة مليئة بالحيوية والنشاط والذي يعتبر هواءه الأنقى
والأفضل على مدار اليوم ،. تدخل من الباب الصغير ، إضاءة المكان
والشاشات المعلقة والأجهزة الحديثة والعاملين في المكان ، هنا يشعر
المرء بالأمان

ما زالت تقف على قدميها ، تنظر بتلفت كبير بالنظر وباستدارةٍ
نصف دائرية لتجد مكاناً تجلس فيه من ازدحام المكان وتوافد الناس
أليه بأعداد هائلة . بعد سيرٍ قصير بين الممرات إلا إن وجدت مكاناً
تجلس فيه للحظة التي يكون فيها المكان أقل ازدحاماً من ما هو
عليه

الساعة الآن السادسة صباحاً ، لقد بقي على موعد طائرتها نصف
ساعة ، لذا لا داعي للقلق حيث أنه يوجد هنا أكثر من عشرين

شباك للموظفين المسؤولين عن كل الأمور المتعلقة بإجراءات
المغادرة

جالسة تفكر في استغلال وقتها بتدوين بعض الأحداث على دفتر
مذكراتها ومن ضمنها بعض من النصائح التي قد تفيد البعض
من الناس . تفتح حقيبتها لتصطحب دفتر المذكرات كصديق لها
لطالما كانت تحدثه عن كل الأشياء التي تحصل معها

تبدأ بالكتابة الآن ، كل شخص منا تعصف به رمال الحياة حتى
تصيب عيناه بالغباش والانعدام بالرؤى ، وكل شخص منا يمتلك
قلباً ربما يستخدمه في الحب والمودة وإما العكس ، وكل شخص منا
لديه عقل كبير بحجم السماء واكبر يستطيع من خلاله تحليل
الأمور التي تحصل معه مهما كانت بالسهولة التي يظنها البعض
أم أنها صعبةً بعيداً عن اعتقادات الغير

وأود أن أقول شيئاً بأنه على المرء أن يستخدم تلك الأشياء جيداً،
فهو من خلالها يستطيع ان يقدم النصيحة للناس وان يساعدهم
ويخفف عنهم ويكون سندا لهم في محنهم

وكما حدث معي في هذه الليلة عندما قمت بالتعليق على بعض
الأمور الخاطئة التي يقوم بها السائق ، إلا أنني قدمت النصائح له
وقمت بإرشاده إلى الطريق الأفضل . فنحن البشر خلقنا بسطاء
جداً فلا داعي للتعقيد وخلق المساءلات في كل الأمور والأحداث ،
فعلى المرء أن يكون أكثر سلاسة وإدراك للأمور من حوله خصوصاً

أن كان في مكان بعيداً به عن وطنه وأسرته ، أو حتى في مكان عمله فهو يشعر بالانقص والتهشم ، خصوصاً إن كان المكان الذي يتواجد فيه يشبه الغابة والقوي يأكل الضعيف وينهش عظامه قبل لحمه بلا رحمة

باندماجها الشديد وتأثرها الكبير بالأمر التي عاشتها وتقوم بتدوينها للناس ليتجنبوا الوقوع فيها . كتبت ما يقارب الصفحتين على دفتر المذكرات لتقلب الآن صفحة أخرى وتستمر بالكتابة لتبدأ بنفسها أولاً قائلة :

إنني ممتنة جداً لهذا العالم ، ممتنة لنفسي أولاً ولكفاحي ونضالي، وشغفي الذي خلق مني فتاةً قوية لا تعرف للخوف طريق ولا تهاب شيء ، لقد خضت الكثير من الصعاب وتكبدت أموراً أكبر مني عمراً وحجماً وقوةً ، إنني من الأقلية الكادحة التي لم تتبع القطيع وكانت مسؤولةً عن نفسها وعن قراراتها ، ولأنني لم أفكر يوماً في احتساء مشروب ما غير القهوة والشاي ولم أفكر يوماً بأن اخطئ لمشاهدة فيلم رومانسي ولم أفكر يوماً بأن أغذي روعي على أنغام موسيقيه ولا حتى أغنيةً فيروزية ، لقد كانت طموحاتي بسيطة جداً ، ولا حتى الخروج برفقة الأصدقاء لتناول طعام مميز في أحد المطاعم الفاخرة

لقد كان لدي حلمٌ واحد منذ وان نبتت أظافري وثبتت ملامحي وأصبحت الناس تعرفني بوجهٍ واحد ، والى حد الآن ما زلت مواظبةً خلف طريقٍ واحد ، أقوم ببناء وتكوين نفسي عليه شيئاً فشيئاً .

وإنني ما زلت أسوقُ أحلامي ورائي ، وما زلت اصعد السلم درجةً درجةً حتى استطيع الوصول إلى القمة ، وما زالت عزائمي تزيد يوماً وراء يوم ، كلما رأيت أشخاص يقومون بالذم والشتم خلف ظهري ، وما زالوا يسنون ألسنتهم لكي يبادروني بطعناتٍ قاتله توقفني قليلاً عن الطريق .

وأنا فخورة بنفسي وبجميع الأشياء التي حققتها إلى حد الآن . رغم أنها لم تعد تساوي شيء بعدما رحل الشخص الذي يستحق أن يفخر بي أمام العالم ، رحمك الله يا أبي وسيبقى اسمك ممجداً أينما وجدت أنا وخطت قدماي الطرق

لكن لا بأس فانا من أصحاب الشخصيات التي تمكث اللامبالاة فيها منذ زمنٍ ، إنني أخبئُ بداخلي ألف شيطان إن ألزمتُ على أن أكون طاغيةً إلى ابعد الحدود وان أخوض آلاف الحروب مع هذه البشرية المتوحشة

وكأنها من بعد تلك الكلمات القصيرة التي دونتها على دفتر مذكراتها ، شحنتها بطاقاتٍ قويه وأعادت إليها روح تملؤها القوة والحب في المحاربة للبقاء في الدرك الأعلى دائماً . بطيها للصفحات

تغلق دفترها الصغير وترفع رأسها بعد أن أوطأته لفترة دون أن تحركه يميناً ويساراً ،

تشعر بعضال شديد في رقبتها ، رغم أنها لم تطول أكثر من خمسة عشر دقيقة ، لكن ما حصل معها هو أن أنسجتها تعرضت للارتخاء في حالة الشroud التي كانت تتعرض له وهي تكتب عن نفسها وتسترجع أحداثها المعريشة داخل رأسها

ها قد مر الوقت لتنهض من غفلتها على صوت الموظف الالكتروني والذي ينادي من خلاله على الأشخاص اللذين بدأت رحلتهم وعليهم التوجه الى قاعات المغادرة لإيداع تذاكرهم على أحد شبابيك الموظفين ومن ثم المغادرة على متن الطائرة لساعات معدودة

تنهض من مكانها لتتحرك مع فوج كبير من الناس متوجهين إلى قاعة المغادرة . المسافة قريبة جداً تكاد أن تصل وهي تسير وحقيبتها من خلفها .

داخل قاعة الانتظار وبعد طول من الانتظار لم يتبقى سوى القليل ليهون كل شيء وتعود الأمور إلى مجرياتها من جديد لتكون قد انتهت أحداث قصة عناء الكثير من الأشخاص والتي عاشتها الآن شخصية واحده ، ومن تلك اللحظة سيعيشها الكثيرون حول العالم ، بقلوبهم وألسنتهم وعقولهم

لا رغبة لديها في الجلوس مجدداً ، تُخرجُ تذكرة السفر والجواز ويطاقتها الشخصية من داخل حقيبتها البسيطة ، متوجهة نحو شباك الموظف المسؤول عن المغادرة . تمد يدها من داخل نافذة صغيره على شكل نصف دائري والتي وضعت خصيصاً من اجل تمرير البطاقات والجوازات والأمور اللازمة لاستكمال أي إجراء متعلق بالسفر

تتلاصق بغرفة الزجاج منتظرةً استكمال الإجراءات بأسرع وقت ممكن دون الحاجة الماسة لوقت أطول . ما زالت تقف وهي تدعوا الله في سرها على أن تمضي الأمور بشكلها الطبيعي

ما إن مرت دقائق قليلة واذ بالموظف يعيد لها جميع أغراضها ، قائلاً لها أتمنى لك رحله سعيدة . تغادر الآن لتخرج إلى الساحة الخارجية عند موقف الطائرة التي ستقلع بها من خلالها إلى مسقط رأسها

تسارع في سيرها وهي على عجلة في أمرها ، المكان مزدحمٌ وكأنه كوكبٌ آخر . تسير من بين الناس بحذر شديد خوفاً من أن تتصادم بأحد وتحدث الضرر له ولنفسها

تشعر الآن وكأنها كأبله ، فقدت صوابها والجميع ينظر إليها بدهشة وهي ترى الأشياء من حولها بطرف عينها . تعود إلى نفسها لتهدأ وتقول في ذاتها : ما الذي يحدث معك ، كفي عن التصرف كأطفال الصغار ، وكأن جسدها سمع أوامر عقلها ، لتهدأ

وتعود إلى وضعها الطبيعي . تستتب الأمور لتساوى بمشيها مع الناس من حولها

وفي هذه الأثناء لتكون شهرزاد على عتبة الطائرة ، تبدأ بالصعود على الدرج الحديدي ، وصلت عند باب الطائرة حيث المضيفات يستقبلنها بابتسامات جميلة ووجه بشوش ،

بدخولها من الباب وهي ترافق المضيضة لكي توصلها إلى المقعد الذي ستجلس عليه ، تنظر في المكان من حولها وهي ما زالت تبتسم كثيراً ويبدو الأمر عادياً بالنسبة لها

في هذه الأثناء تكون قد جلست على مقعدها وأخذت المضيضة الحقيية عنها لتضعها في المكان المناسب لها ، ولتأخذ راحتها في الجلوس بشكل أوسع دون الشعور بالضيق

يبدأ الركاب بالصعود على متن الطائرة بالتزامهم وانضباطهم بكامل الأسس والمعايير المتفق عليها عالمياً ودولياً وأهم هذه الأشياء هو الالتزام بالهدوء قدر المستطاع . تذهب الفتاة إلى عالمها الخاص بشرودها الذهني من نافذة الطائرة المطلة على المنظر القريب لعيناها والجميل والذي سيصبح بعيداً في هذه الأثناء بعد مرحلة الإقلاع من قبل كابتن الطائرة

ما زالت الابتسامة ترافق وجهها وهي في ذهنها تقول :، إن النجاح يحتاج إلى تضحيات كبيرة وطموح عالٍ وجسد صبور يتحمل كل المشاق بشتى أنواعها وأشكالها دون الكلل أو الملل أو حتى التفكير في

التراجع والهزيمة على العاتق الشخصي فذلك يعود بالندم
والخسران الكثير على الشخص نفسه

بفترة وشيكة تمتلئ الطائرة بالركاب ، ليبدأن المضيفات بتفقد
الركاب على متن الطائرة لأنه لم يتبقى إلا القليل وتكون الطائرة
قد حلقت في رحاب السماء

يستعد كابتن الطائرة ليبدأ بالتحرك إلى الأمام ويدافع سرعة
كبيره للإقلاع بأمان . ما زالت تسير الطائرة وأصوات عجلاتها
تصاخب الإسفلت . ها هي الآن تقلع من البر والى الجو وهي تمر
من فوق البحر واليابسة ومشهد جمالي رائع تحبس له الأنفاس

تستقر الطائرة وسط السماء وهي تعانق الغيمات وتلقي السلام
على الطيور ، تجلس شهرزاد في مقعدها وهي تتأمل أولى اللحظات
التي ستلتقي بها في أسرتها التي من بعد أن رحلت عنهم وهي تعيش
في الهام كبير وحالة من عدم القدرة على الإدراك لما يدور حولها ،
إلا أنها وبعد أن لامست جروحها شعور النصر وتحقيق الأهداف
والمراد

ها أنا اليوم أكبرُ وكلُّ شيء يكبرُ معي ، النجوم والكواكب، الأيام
والسنين ، الأشجار وأوراقها ، كل شيء بات بالتغيير فجأة
بعد الكثير من العناء والتضحيات ،

انه لشيءٌ مسخ أن تنام في كل ليلة على واقع مرير تمتلئ أحشاؤه بالتعب والهزل ، أن تسير بك سفينة الحياة سنوات طويلة على شراعٍ من الخوف والحرمان في بحر يعادل حجم السماء ويفوق عمقه كعمق السبع سماوات . ولكن بعد كل ذلك تستيقظ على سرعان دقات قلبك لتكون حينها قد جردت من كل المسخ الذي حل بك

ولعنات الشياطين عنك ، تنظر من حولك لترى أجنحة الملائكة قد بسطت لك عالماً خاصاً وذهناً جديداً يليق بحجم التضحيات التي سلبت منك الكثير وحرمتك من الكثير إلا انك وبعد كل هذا وقفت على قدميك وأنت ترى العالم شيئاً مختلف وكأنه في بدايات الربيع ، وكل الأشياء التي سعيت لها أصبحت بحوزتك دون الشعور بالتعب والخوف عما حل بك سابقاً ، فكان ذلك الشعور الجميل كفيلاً بأن يعوضك عن ما مضى من سنوات مريرة وعن مئة عام أخرى ستأتي

بعد مرور أربع ساعات والطائرة ما زالت تسير محلقةً في السماء ، بدأت الآن تشعر بالتعب والهزل وبنوبات نعاس متفاوتة تصيبها لتغفو للحظات وتصحو ، يستمر بها الحال هكذا إلى أن قاربت الطائرة على الهبوط لتكون قد اقتربت من حدود دولتها

تحاول الاستيقاظ " والرجوع بشكل أفضل مما هي عليه ، لكن عدد ساعات نومها القليل لم تساعدها على المكوث طويلاً في حالة من الصحو التام

بلحظات ليبدأ مكبر الصوت الالكتروني بالمناداة داخل الطائرة ، على الجميع الالتزام بأماكنهم وعدم التحرك بتاتا ، ما أن انقطع الصوت بعد دوي دام لدقائق ، وإذ بالطائرة تهبط والجميع يتشبث بمقعده ويصحو بالشكل الكامل وهو ينظر من النافذة المطللة على المنظر الجميل ،،

وكان الأرض تدور أمام أعينهم ، تقترب المسافات رغم بعدها بألاف الكيلومترات لتكون الطائرة قد هبطت مسافات طويلة بعد أن قاومت الهواء ، لدرجة أنها أصبحت بعيدة عن السحب بأكملها . تغمض شهرزاد عينها وتمسك بمقعدها جيداً ،

الأمر تسير بالشكل السليم والطائرة أصبحت قريبة من الارض بمسافة تقارب الخمسون قدماً ، إذاً حان موعد العناق واللقاء ليكون بين عجلات الطائرة والإسفلت . لتصبح الأمور حينها على ما يرام القليل من الوقت قد مر ، ها هو الكابتن يستعد للهبوط ليخفف سرعة الطائرة وينحدر بمستوى أعلى من الذي كان عليه ، تستوي الطائرة في المكان لتكون الآن قد لامست عجلاتها الأرض وباتت تسير حتى توقفت في المكان المناسب لها

يفتح باب الطائرة وتفتح عينها لتجد العالم يقف فيها دون شعور بالدوران ، لكن ما تشعر به الآن هو الغثيان بسبب قلة نومها وعدم تناولها لوجبة خفيفة تساعدها على تحمل جهد ومشقة السفر . يبدأ الناس باقتناء حقائبهم مباشرين بالمغادرة من داخل الطائرة ، تمسك بحقيبته البسيطة كمشهد أم تمسك يد ابنتها الصغيرة لتساعدها على المشي ، كذلك هي . الآن تجرّها من المكان المخصص لها ، وتباشر بالخروج من الطائرة كباقي الناس من حولها

تتقدم وهي تسير بخطوات ثابتة خشيةً أن تصدم بأحد الأشخاص من أمامها

بلحظات وشيكة لتكون قد وصلت عند باب الطائرة الذي ستخرج منه إلى حيث ستكون طليقةً حرةً بعدها . تقف على عتبة الباب وهي تشمخ رأسها كجندي يقف أمام السلام الوطني لبلاده . تشتتم رائحة وطنها رائحة البلاد العريقة ، إنها التتهيدة الأخيرة من بعد كل الألم الذي حل بها ، ما زالت تستنشق عبق هواء وطنها والناس تنظر إليها وتخرج من الباب بمحاذاة لليمين ولليسار عنها

تخلو الطائرة من الركاب ولا أحد بقي سواها وما زالت متنهدة بحجم الألم الذي بها . إحدى الموظفات في الطائرة تتقدم نحوها وهي تمد يدها نحو كتفها وتقول ، هُوْنَ عَلَيكِ فلا شيء يستحق الحياة أكثر من البقاء بجانب الأسرة ، فلا تضيعي الوقت

بالوقوف، بل اعزمي أمرك واذهبي من حيث أتيت فهناك الكثير من
الحب ينتظر قدومك إليه

بعد أن تلفتت للموظفة ، لتقول لها : إن ما تقوليه هو صحيحاً
حان وقت المغادرة . تمسك حقيبتها مجدداً لتنزل من على متن
الطائرة وهي تبسّم والموظفة تبسّم في وجهها ، تشعر الآن بحالة
من الخلو التام والرضا عن النفس . بقطعها لمسافات قصيرة لتكون
قد ابتعدت عن الطائرة بضع أمتار وما زالت الموظفة تقف في مكانها
والهواء يداعب شعرها الحريري

الآن بأثقال طينها تسير بين حشد من الناس . إنها الوحيدة هنا
التي لم يأت احد لاستقبالها ، جميع من حولها قد استقبلوا من
قبل عائلاتهم وأصدقاءهم بطرقٍ جميلة تقشعر لها الأبدان حباً ،
إلا هي تتصنع حالةً من الاكتفاء بالنفس والشعور بالرضا بكل
شيء ، وأن الشيء الوحيد الذي يشغل بالها هو حال أسرتها
ووالدتها في طيلة فترة غيابها عنهم ، ومجدداً نكرر القول بأنها
هاجرت إلى بلاد الغرب من اجل تحسين وضع أسرتها أولاً وثانياً من
اجل الشيء الذي حلمت به منذ صغرها

خارج المطار تقف على الإسفلت المنقح بالحنين والاشتياق ، إنها
الذكريات عندما تخون صاحبها تكون مؤلمة جداً . من بعد الغياب
تتنفس رائحة البلاد من جديد ، وعودة إلى حركة السير المزدحمة
والزقاق المليئة بالخراب ، لا شيء يدور في ذهنها غير أنها تفكر في

الذهاب إلى المقبرة لزيارة قبر والدها الذي وافته المنية منذ قرابة العام ، هناك كم هائل من الكلام تريد أن تفصح له عنه

على الشارع العام تقف في الجانب المخصص لتوقف المركبات إلى الجهة التي تريد الذهاب إليها . تمد يدها وهي وتؤشر بإصبعها لسائقي المركبات المارة بسرعة هائلة . لم تنتظر طويلاً لتتوقف مركبة مهترئة بعض الشيء من الخارج ومقاعدتها تبدو جيدة ومظهرها الداخلي بحالة جيدة لاستقبال الركاب ، لكن صاحب هذه المركبة يبدو شخصاً تظهر على ملامحه التعاسة والحزن

تتقدم نحو المركبة وهي تنظر إلى السائق لتقول له : أريد الذهاب إلى المقبرة ، هل يمكنك إيصالي وعلى الطريق سأدلك عن أي مقبرة أريد الذهاب ؟

السائق ، بالطبع يا بنيتي فلتصعدي الآن ولن نختلف على شيء تبسم قليلاً للسائق ، لتفتح باب المركبة وتصعد ، يشغل المركبة مجدداً ويباشر بالسير إلى حيث طلبت منه على الطريق تتحدث إلى السائق لتوصفه عن مكان المقبرة التي ستذهب إليها والتي تقع داخل البلدة التي تقيم بها ، لتكون شرقي المدينة المقيمة بها .

بعد مرور نصف ساعة على مسير السائق إلى حيث طلبت منه ، يبدو إنها اقتربت من المقبرة فهي صبحت تلتصق في الباب وهي

بحالة من الجاهزية التامة لمغادرة المركبة بأسرع وقت ممكن
ويدافع الشوق الكبير تجاه الكلام المخزن داخلها

الآن تتوقف المركبة وبعد أن جهزت الفتاة الأجرة لتدفعها للسائق ،
تمد يدها بسرعةٍ نحوه لتعطيه المال وتشكره على خدمته لها .
تخرج من المركبة وهي بلهفةٍ كبيره متوجهةً نحو قبر والدها

هنا تبدأ حالةً من الحزن والأسى ، علامات البؤس تظهر على وجهها
وتكاد عيناها أن تفيض ، فوق قبر والدها مباشرةً ، ترد السلام عليه
وتبدأ بقراءة سورة الفاتحة على روحه وتدعي له بالرحمة والمغفرة ،

تجلس على التراب وهي تضع يدها فوق قبره ، الدموع تنهمر بغزارة
وتدفق وصوت من النحيب يخرج من أعماقها بتلعثم . تبدأ
بالحديث معه ما أسرع الأيام يا والدي إنها مثل السراب ، لم اشعر
بك كأني فتاة يحق لها أن تحظى بنعيم والدها وحبه ، ولم اشعر
بمرور عام كامل على وفاتك . أنا لا اشعر بكل الأشياء التي

حققتها وأنت لست بجانبى لتفخر بي أمام الناس ولأكون ابنتك
المثالية التي ترعرعت على حنانك في طفولتها ، لكن ماذا عساي أن
افعل شاء الله إن يمن عليك ويختارك عنده بعيداً عن هذا العالم
القدر والدنيء . أنا احمد الله على كل شيء وسأحاول أن أكون
قويةً بدونك كما عودتني قساوة الأيام وكما أبعدتني الأقدار
عنك مثلما يفعل الاحتمال مع الشخصيات التي تخدم وطنها
وتدافع عنه

لكن لا بأس يا عزيزي فما زال اسمك يعيش ويتنفس العزة والفخر بأني احملة أمام الجميع دون حياء او خجل ، بل ارفع رأسي شامخاً مليئاً بالنصر والاعتزاز . وأيضاً ارقد بسلام ولا تشغل ذهنك على أمني وأخواني فأنا سأكون حريصة كل الحرص عليهم وسأوفر كل ما يلزم من اجلهم وسأعيد بناء نفسي من جديد إلى أن أصبح الفتاة التي لا تلويها صفعات الحياة

وسأفتح مشروعني الخاص وسأنفق الصدقات لوجه الله تعالى عن روحك ، وأيضاً لقد خصصت مبلغاً لتحسين وضعنا في البيت فأنت تعلم كم كانت الأوضاع صعبة للغاية ، فها قد حان موعد التغيير من بعد الكثير من الجهود والعطاء مقابل الحصول على عيش كريم وحياة هنيئة لا يُقبلُ فيها الضعيف فتنهشه وحوش هذا العالم دون رحمة . وان هذه الأموال التي بحوزتي هي مكافأة على تفوقني ببراءة اختراعي الذي سعيت من اجله طويلاً لحد أن تحقق بعد شدة طويلة ، سلبت مني الكثير من الطاقات والقوى ، وها هي بدأت تعود إلي رويداً رويداً

قراءة النصف ساعة والفتاة تجلس بجانب قبر والدها وتنثر التراب فوقه . لحظة قليلة من الصمت لمحاولة إدراك الأمور من حولها خوفاً من أن تقع في متاهات مليئة بالخرشيات والطلاسم الغير مفهومة ما بين عقلها وقلبها ، تمسح دموعها وهي تنهض من على التراب وهي تنظف نفسها جيداً ، ما زال الصمت يلجم لسانها

لتأخذ نفساً عميقاً وتقول بعينين حزينتين وشفاه مقشره، إلى اللقاء يا والدي ها قد أفصحت عما أريد الإفصاح لك عنه ، ولقاءنا القريب في الجنة إن شاء الله

تستدير وهي تعيد تهيئة نفسها وضبطها بالشكل المناسب للقاء أسرتها . تبدأ الآن بالسير وتخطو من فوق التراب الذي أكلته حرارة الشمس العالية فأصبح وكأنه رمال الصحراء من شدة سخونته ونعومته بشكل غزير لا يتطلب غربال لإزالة الحصى منه خارج بوابة المقبرة بعد أن تخطت مرحلة التراب لتعود على الإسفلت ، الشارع المؤدي إلى منزلها لكن يبعد مسافة الثلاثة كيلو متر الأمر يتطلب إلى مركبة بأسرع وقت ممكن ، لأن حرارة المكان أصبحت تزداد بتقدم عقارب الساعة إلى الأمام

كعادته الشارع مزدحمٌ ومليء بالمركبات ، تقف تحت مظلةٍ لتقي نفسها من حرارة الشمس الصاخبة . ها قد مرت الكثير من المركبات إلا أنها مليئةٌ بالركاب ولكن السائقين يعملون على طمع فهم أيضاً لا يركزون في الطريق من أمامهم بقدر ما يلتفتون يميناً ويساراً باحثين عن عملات جديدة

بمرور الوقت وسيران السحب المندثرة في السماء ، وما زالت تقف تحت المظلة بعيدةً عن سطوع الشمس العالي وإنها لا ترى الشمس بل تشعر بنسماتها الساخنة . تنظروهي تلتفت عن يمينها ويسارها باحثةً عن مركبة توصلها إلى بيتها ، بفارق زمني بسيط عن الذي

مر وهي تنتظر ، لتتوقف مركبة تحمل لوحة صفراء لنقل
الركاب

تخرج من تحت المظلة لتسأل السائق ، : إلى أين أنت ذاهب في
طريقك ؟ أريد الذهاب إلى المنزل ؟ . يرد السائق عليها ،: أنا ذاهبٌ
في طريقي إلى وسط القرية ، بإمكانك الصعود معي وسأوصلك
إلى حيث تريدين ،. تنظر إليه بعيون ضعيفة ، وهي تقول حسناً

تفتح الباب الخلفي للمركبة لتضع حقيبتها أولاً ومن ثم تصعد
هي ، يشغل السائق مركبته ويبدأ بالسير حتى تقول له بأن يتوقف
على الطريق تميل رأسها على النافذة وهي تنظر الى المكان من
حولها كل شيء يسير مسرعاً من امامها ، تراكمٌ للتراب وقطعٌ
من الصخور على ضفاف الشوارع ، ومحاصيل العنب واللوز باتت
مزهرةً أكثر من السابق حيث ان الموسم قد بدء من جديد وعادت
الناس تزرع وتخلع في ارضها

مع اقترابها للوصول الى منزلها للقاء العائلة من بعدِ بُعدِ طويل
حيث انها لم تخبر امها ولا صديقتها بعودتها إلى الديار لتجعل
الامر مفاجئاً بالنسبة لهم ، تتشكل الابتسامة على وجهها الرحيب
ولا شيء يدور في ذهنها غير اسرتها وبقايا الذكريات التي خلقتها
خلفها

وأن عودتها هذه ستغير الكثير من الامور وستقلب حياتها رأساً على
عقب من الاسوء والى الأفضل وكل هذا بفضل مجهودها الكبير

والذي من خلاله تخلت عن الكثير من الاشياء التي لا تتخلى عنها
اي فتاة اخرى ،

بعد سيرٍ للمركبة تجاوز العشرون دقيقه ، تعود الى رشدها وهي
تحدث السائق ، : بيدوانا لقد وصلنا الى المنزل ، تستطيع التوقف
هنا وسأكمل ما تبقى من مسافة الطريق مشياً على الاقدام ، يرد
السائق عليها : فليكن كما تريدان لا مشكله لدي ،

تمد يدها نحو كتفه لتعطيه الإيجار ، تفتح باب المركبة وتخرج
هي وحقيبتها في يدها . تغلق الباب ويباشر السائق بالتحرك

الآن تشبه مرحلة الخلق الجديد كلما اقتربت الى منزلها تشعر
بأن الحياة امرأة وضعتها في هذا المكان لتخطو أولى خطواتها عليه ،
فوق الاسفلت المهتك تسير وهي تجر حقيبتها من فوق الحضر
والخنادق التي خلقتها البلديات دون ادنى بالمسؤولية والاهتمام

وهي تسير تشعر بصداغ حاد أسفل رأسها حيث أن قلة النوم هي
السبب وراء ذلك . لقد اعتادت على المباني المزخرفة والحدائق
المزهرة والشوارع النظيفة والهدوء التام والنفوس النظيفة لتعود
مجدداً من حيث أتت ، وان تغييرها لنفسها وذاتها لن يستغرق معها
وقتاً طويلاً ، فهي تريد أن تظهر أمام العالم بأسمى أنواع الأناقة
والترتيب فهذا العالم أصبح يحتاج إلى المزيد من المظاهر وأصحاب
الشخصيات الرسمية . فمن اجل نجاح عملها وتطويره عليها أن
تسير مع الواقع بأفضل أنواع الرتابة والإتقان

وبعد فترة الغياب الطويلة تظهر أمام منزلها القديم مجدداً والذي يأتي موقعه وسط ازدحام كبير وعرقلة لحركة السير . تستمر بالسير والتقدم بكامل اللهفة والشوق والشمس تنهش منها كالصقر حينما ينقض على فريسته

وصلت خلف الباب والهدوء هناك يفوق كل شيء ، تمد يدها على الباب الحديدي الذي أكل الصدأ منه حتى بات ان يصل الى مراحل العفن والخراب ، تطرق باب المنزل ويصدع الصوت في الداخل . ينتشر صدى صوت الطرقات داخل زقاق المنزل الصغير

تنتظر الآن قدوم احدٍ من أفراد اسرتها ليفتح الباب لها حيث انها أصبحت ترى كل الأشياء من امامها تتشكل على هيئة سرير ووسادة فالنعاس قد أنهكها في رحلتها التي قطعتها حتى وصلت بها السبل إلى هذا المكان

موجهةً وجهها نحو الباب مباشرةً ، تنهض الأم من بين أحضان أطفالها لكي تفتح باب المنزل وترى من الطارق بهذا الشكل

يفتح باب المنزل ، ليصيب شعاع الشمس في عين الام ، تضع يدها على جبينها لتحدد الرؤية امامها . بلحظات قليلة ترى ابنتها امامها تصاب بالصدمة للحظة قليلة لتفتح لها صدرها الرحيب وتأخذها اليه بالأحضان ، ولا صوت يعلوا على صوت النحيب في المكان

تبادل للقبلات في شتى مناطق الوجه ، وتفقد للملامح ، ما زال الصمت البليغ يحتل المكان والنظرات سيدة الموقف

على اصوات العناق خرجوا الاطفال من الداخل بملابسهم المقددة وحالتهم تشير الشفقة ، تنظر اليهم والدموع تسيل ، بفتح يديها لهم وهي تقول هيا تعالوا الي لقد اشتقت لكم ، ياه ما اصعب الحياة بدونكم . موقفٌ غسل الارض بالدموع وشهدت الملائكة على صعوبته ، حالةٌ من السعادة والشقاء تسود عائلة شهرزاد ، من هنا تبدأ قصة النجاح الجديدة

تنهض شهرزاد وهي تحتضن امها واخوانها الصغار ، لتنظر اليهم مجدداً وتأخذهم الى حضنها لتنتهي أولى مراحل الاستقبال والتي كانت مختلطة بالحزن والفرح . تدخل العائلة بأكملها الى البيت في الداخل وبعد اغلاق باب المنزل تنظر الى السقف الخرب وزوايا الغرف التي أصبحت بيوتٌ للحشرات والعناكب ، رائحة الرطوبة تفوح والأمور قد زادت سوءً عن السابق

تجلس شهرزاد بمقربةً من امها لتبدأ حديثاً معها ، تقول فيه : كيف حالكم طيلة فترة الغياب ، . ملامح الأطفال البريئة تدل على ان الاوضاع كانت محرجة للغاية ، . وجه الأم مليء بالعبوس والشيب اصبح متفرقاً في رأسها ، لتقول : في الواقع كانت أمورنا صعبةً للغاية فلم اعد اعلم كيف علي ان اجلب قوت اليوم لأطعم أخوتك الصغار

وايضاً غيابك عني كان يشغل بالي كثيراً وقلّة تواصلتي معك كانت تزيد الأمور خوف وسوء ، فقد كنت اخرج كل يوم للتجول والبحث عن العمل لكن لا احد كان يستقبلني لسوء حالتي وتقدمي في العمر . ولولا فاعلين الخير لأكلتنا الديدان قبل الكلاب

بتعجب كبير تنظر الى امها ، يقشعر بدنّها ويتغير لون وجهها ، بشعور الضعف وقلّة الحيلة ، تتلعثم في قولها وتعيد ضبط نفسها ::
تباً للوقت وللزمان ولكل شيء يسير ويتكلم ، انا اعتذر كثيراً يا امي لكن انت تعلمين ان هجرتي جاءت على خلفيّة تحقيق اهدايفي وحلمي وايضاً من اجل تحسين حالنا الى الافضل ، ولكنني لم اكن اعلم بأن الامور ازدادت سوءاً الى هذه الدرجة لتجعل الناس تمن علينا

تنظر الى ابنتها لتقول : لا عليك يا عزيزتي فهذا العالم يحتاج الى الكثير من التحديات والصعاب وايضاً لا بد من وجود اياماً صعبه وليالٍ ليلها قاسٍ ، لكن في نهاية المطاف ستتبدل الامور الى الافضل وبحسب ما زرعت ستحصد ثمارك ، ومن الان فصاعداً ستبقيين

بجانبي وابقى بجانبك وعلينا تكوين انفسنا والبقاء جنب الى جنب لمواجهة هذا العالم . وليكون والدك مطمئناً ومرتاحاً في قبره بمزيدٍ من الفخر والاعتزاز بنا وبك خصيصاً على تضحياتك

الكبيرة من اجلنا جميعاً ومن اجل ان يبقى اسمه حاضراً بدلاً عن جسده الغائب وروحه التي هي بين يدي الله وتحت اجنحة الملائكة بعينين ذابلتين تنظر الى امها ، تلقي بنفسها بين احضان الامان وهي تقول : انا لا اريد شيئاً من هذا العالم غير ان تكوني بسلام وامان انت واخواني وكل الأحلام التي كانت مبنية منذ طفولتي اكتشفت مؤخراً انها من اجلكم ، فوجودكم بجانبني هو الشيء الذي دفعني للخوض الى هذا الطريق الذي كان حليفه النجاح لا يوجد مكان آمن في العالم بقدر حضن الام ، فالأم هي دار الأمان والصلاح ، فبدون الأم ستكون مثل طير مكسر الاجنحة فقد القدرة على التحليق من جديد ، فما دامت امك تنبض فأنت بخير وسلام حتى لو لم تكن تملك من متاع الدنيا الا القليل

بعد ركود في احضان امها وهي تداعب خصلات شعرها الناعمه وتأمل ملامح وجهها الجميلة وترى صفاء السماء على جبينها ، تأخذ شهرزاد بيد امها لتقبلها وتقول : اشكر الله على وجودك بجانبني انت النعمه التي احمد الله عليها دائماً كباقي النعم التي أنعم الله بها على سائر البشر

مرت الساعات وهي مستلقية في حضن امها ، ليكون النعاس قد غلب عليها واصبحت بحالة من السبات العميق ، وصوت شخيرها يحتل المكان فحالة الإرهاق التي اصابتها اليوم لم تكن عادية أبداً

تحاول الأم إخلاء المكان ، تنهض عن الاريكة بأقل من مهلها لتضع وسادةً بدلاً من يدها وتريح رأس ابنتها عليه ، احدى الأولاد الصغار ذهب ليحلب غطاءً دافئً لتقوم الام بتغطيتها حرصاً على أن تصاب بالبرد

الآن تخلي الام وصغارها المكان ليكون الجو ممتلئاً بالهدوء ولا يصلح إلا للنوم والارتياح . تتجاوز الساعة الرابعة عصراً والعالم يسير كما كان في السابق ، وإحداث التغييرات سيبدأ من يوم غد حيث ستقوم الفتاة بإخبار أمها عن المبلغ المالي الذي بحوزتها وانه مكافأة على تفوقها في البحث العلمي والابتكار الذي قدمته على مستوى الدول الغربية وانحاء متفرقة من العالم

وأن على كل شخص يسعى لتغيير نفسه وتطويرها الى الافضل عليه تحمل المشاق والعثرات والاشواك المنثوره في طريقه ، فلا يوجد زهرة في العالم الا وقد ينبت الشوك بجانبها . لكن بقوتها واصرارها وثبات جذورها في الارض تستطيع ان تسحق كل الاشواك المحيطه بها ، وأن كلام الناس السلبي عنك ما هو الا محاولات لإسقاطك ولإضعاف جهودك ، وللتخفيف من ثقتك في نفسك وخلق توترات في محور افكارك ، فلو التفت اليهم كثيراً واصبحت ترد على كلامهم فسوف تهدر وقتك وانت ترد على ما تنطق به افواههم القدره والتي لا تجد فيها الا الكلام السلبي

فامض كما انت واركب سفينة التحديات وان يكون شراعك متوجهاً نحو اصعب المغامرات واشدها ثقلاً ، فإن لم تغامر وبقيت تحسب الامور وتحللها كما تشاء فستبقى مكانك دون جدوى وسوف يضيع عمرك ويحتل الشيب مناطق متفرقة من راسك وانت تفكر فيما ستفعله ، فالحق بشبابك وقوتك قبل أن يفوتك القطار وتأكل الحسرة قلبك وانت تنظر الى انجازات الغير وانت تظن بانهم قد وصلوا دون تعب او بذل مجهود وعطاء كبير

وبالتطنيش ستحصل على ما تريد او دع القافله تسيير والكلاب تنبح والمهم ان لا تقف على كلام احد او تتراجع خطواتك ويهتز ثباتك من اجل احدهم . غامر وتحدى واجعل الايام تعصف بك الى القاع الملقح بالمرارة ، لكن في كل مرة ستعود من جديد ستكون حافظاً للطريق اكثر من السابق ، فسيسهل الوصول عليك وستقلل من فرص تعرضك للخسارة والمهم ان لا يبقى الخوف داخلك

وايضاً ان الحرمان المستمر الذي تعرضت له طيلة الفترة التي كنت تسعى فيها وراء تحقيق الغاية والمراد ، ستعوضك الايام بها وسيكون عوضك يوماً واحداً من الراحة والنوم بشكل مريح وبفكر خال ومجرد من كل ما يهلك النفس ويتعبها

وان كل الاشياء التي حرمت منها في السابق ، ستحصل عليها في يوم واحد او في غضون ساعات ، لذلك لا تتعجل على تدليل

نفسك ، ابدأ طريقك بالصعاب والمشاق والتحديات ، لكي تنتهيها
بالراحة والأمان الى مدى بعيد يصعب عليك رؤيته بعينيك بل
ستشعر به بقلبك

وبعد حالةٍ من الافصاح عن الكلام وتقديم النصائح للكثير من
الاشخاص الذين سيمرون من هذا المكان كعابرين سبيل ،

يسود الليل في المكان ويخيم الظلام ليلبس الليل وشاحاً اسود لا
ترى فيه الا بعثرات النجوم واختباء القمر وراء السحب المظلمة بلون
السماء . ما زالت تغط في نومها العميق والذي تجاوز عشر ساعات
إلى حد هذه اللحظات ، لتكون عقارب الساعة قد اصطفت على
الثالثة ما بعد منتصف الليل ، اي انه لم يتبقى سوى القليل ويحين
صباح اليوم الجديد

لا أحلام ولا كوابيس ، منذ سنتين وأكثر لم تحصل على نومٍ
هنيئٍ كهذا ، لقد انتهت مرحلة الصراعات والنزاعات للوصول الى
القمة ، لتبدأ الآن إحدى مراحل النهايات وهي بداية التغيير من
الأسوأ الى الافضل والتي تبدأ بالنفس وتطويرها وتنتهي بالعائلة

عقارب الساعة ما زالت كما هي تسير بتسارع الليل واصوات نباح
الكلاب وصوت الصرصار وهبوب نسيمات الريح المفاجئة وكل
الأشياء التي تدل على تأخر ساعات الليل ما بعد المنتصف بكثير

ما زالت شهرزاد لم ترى غرفتها وكيف اصبح حالها من بعد مرحلة
الغياب الطويل ، لم تحتضن سريرها ولم تداعب الوسادة شعرها

فحالة التعب التي كانت بها منذ قدومها لم تكن كافية لرؤية العائلة بالشكل الكامل ، فالجميع ينتظر حلول الصباح وبعد مدهمة الوقت ومراوغته لكل الأحداث السابقة ، تبدأ الديوك بالصياح وتتوقف الكلاب عن النباح ، يختفي القمر من السماء وتخرج الشمس من خلف قمم الجبال ، ترتدي السماء لونها الأزرق الداكن ليبدأ اللون بالتحول شيئاً فشيئاً الى ان استقر على حالة الصفاء التام والإزراق الحقيقي . زقزقة العصافير حالة اخرى من الجمال في بدايات الصباح

الأمر هنا تسير بالشكل السليم ، الناس بدأت بالذهاب الى عملها والمركبات عادت تعمل وتنقل الركاب . بعد اكثر من ثلاثة عشر ساعة وهي في رقاد عميق ، تصحو من نومها بحالة من الاكتفاء التام بالنوم وهي تشعر بالخدران في مناطق متفرقة من جسدها لأن المكان الذي كانت تنام عليه ليس مكان مخصص للنوم ، لا بأس فهي الآن بموضع الذهن الخالي والمجرد من كل الأعمال والمشاق التي كانت تعاني منها على مدار السنوات السابقة

تنهض من على الأريكة وجميع من في المنزل يرقدون في فراشهم ويأخذهم النوم بعيداً عن ضجيج هذا العالم ، تقف على قدميها وهي تسير متوجهة نحو غرفتها التي يسكنها الهدوء والعناكب والغبار وخراب السقف وبهوت انارة اللمبة ، تفتح باب الغرفة بهدوء

لتدخل في صلب المكان وبالتحديد منتصف الغرفة ، تتمعن في المكان وهي تطيل في نظرها نحو أشياءها القديمة والتي تعني لها الكثير ، الطاولة الخشبية البسيطة التي كانت تدرس وتنتهي اعمالها عليها، جميع الاشياء داخل الغرفة تحمل داخلها الكثير من الذكريات والايام الصعبة والقاسية ،

لكن ابتداءً من اليوم سيتغير الحال الى الأفضل

تخرج من غرفتها الآن متوجهة نحو الأريكة التي كانت تنام عليها. تجلس بوضعية استلقاء وهي تنتظر إستيقاظ باقي افراد عائلتها من النوم ، لتخبرهم عن الاشياء التي بحوزتها وعن تحقيق الفوز وحصولها على المبلغ المالي وأن كل الامور من الآن فصاعداً سوف تتغير مع مرور الوقت وما زال الصباح في بدايته ، ساعتان قد مروا وهي مستلقية على الاركة تحرق في السقف وزوايا الغرفة . تصحو الأم من نومها لتظهر في المكان الذي تتواجد فيه شهرزاد ، الساعة العاشرة والصغار نائمون ، تتقدم الأم وهي تبسم وتفتح بعيناها متجهة نحو ابنتها ،؛ صباح الخير يا عزيزتي كيف حالك اليوم،

شهرزاد :وهي بحالة من الفرح والسرور ، تعدل جلوسها ليستقيم ظهرها على الحائط ، صباح الخير لك ايضاً ، بخير يا امي ما دمتي بجانبني وانا بكامل قواي والله شاهد على ذلك . تبسم الأم لتحضن ابنتها وكأنها طفلة العامين وتقول : لقد رفعتي رؤوسنا

جميعاً وأولنا رأس والدك واسمه الذي سيبقى كالرأية امام
الجميع ، وحقاً أن الفتيات هم عوض الأباء عن كل شيء

تنتهي الأم حديثها ويقف الكلام على شفاه شهرزاد ، تنتهد لتقول:
لقد كان البعد عنكم صعباً للغاية وفي البداية لم أشعر بالانتماء
لمكان تواجدي لكن شاءت الظروف ان تتحكم بكل شيء وان ترغمني
على البقاء والصمود الى النهاية ومهما كانت النتيجة كان
يتوجب علي القبول والرضا بها ، لأنني انا من اخترت هذا الطريق

لكن بفضل الله وبفضلك وبفضل جهودي وتعبني ، استطعت ان
احقق حلمي وان يكون ابتكاري من ضمن افضل الابتكارات لهذا
العام ، ولقد تمت مكافئتي من قبل اللجنة المختصة في هذا المجال،
حيث تم تكريمي بمبلغ قيمته خمسون الف دولار ومنحة دراسية
اخرى على حساب الجامعة للتطوير من المجال اكثر

لكن في الواقع أنا لا اريد ان ابتعد عنكم مرة اخرى ، فالمرّة الأولى
كانت كافية عن كل شيء وسوف أطور مشروعني بنفسي ،
وسأستغل هذا المبلغ في العديد من الأمور ، وبإذن الله سيتغير حالنا
إلى الافضل ، وسوف اطالعك الآن على ماذا سأفعل في هذا المبلغ
الذي بحوزتي

سأقوم بتخصيص مبلغ ، بقيمة عشرون الف دولار وأقوم بإنفاقه
على الفقراء والمحتاجين عن روح والدي ، والقسم الاخر المتبقي من
المبلغ سأقوم بفتح مشروع صغير بقيمة عشرون الف دولار وسيكون

هذا المشروع عبارة عن محل صغير مختص بالأجهزة الالكترونيه والخلويه وسيشمل تصليحها وبرمجتها وكل الامور المتعلقة بها وايضاً سأقوم بعمل برنامجي الخاص ،

أما القسم الاخر المتبقي من المبلغ سأقوم بإنفاقه على المنزل لترميم بعض الجدران والأسقف الخربه والمتآكله لأسباب كثيره

بتحديق عميق للأم بإبنتها وبكل كلمة نطقت بها من اعماقها وبدافع حب كبير ، حالة من البهجة والسرور تدخل إلى قلب الأم ليأخذها البكاء الشديد وهي تبتسم . يهتز بدن شهرزاد متأثرة بالموقف الذي يحصل امامها وعلى أمها التي صبرت طيلة هذه السنوات ليأتي الفرح الذي لم يكن مرتقب من أحد بهذا الشكل المفاجئ ، لا تجد الأم وسيلة للتعبير عما بداخلها غير انها تقوم الآن بإحتضان ابنتها ومداعبة شعرها والدموع تنهمر فوقه

تمسح شهرزاد دموع امها والصمت يغشاها منتظرة رد أمها على ما قالته وهل ستعجبها فكرة المبلغ ام لا ،

دقائق قليله لتهدأ الأم وتقول : لا يوجد لدي اي اعتراض على ما قلتيه وسأسير بجانبك خطوة تلو الأخرى ، فأنا اثق بك جيداً وأعلم ان ما تفعله هو الصواب ومن اجلنا جميعاً

انها حالة السعادة والشعور بالرضا عن كل شيء عندما يكون هناك اشخاص يقفون بجانبك وهم يثقون في خطواتك وقدراتك في تغيير الأمور من الأسوء والى الافضل . لربما شخص واحد قد يكون قادراً على تغيير مزاجيتك وتحفيزك في اتمام مهامك ومشاريعك دون الانقاص من قيمتك والتقليل منها ، وربما يكون ذلك العكس

ومن الجميل ايضاً ان تقوم بسرد افكارك على اناس قريبون منك دون ان تتلقى منهم اي ردود كلام ينطقون به فيكون محبطا وفيه من القول الذي يجعلك تشعر بحالة الندم حينما كنت متشوقاً للإفصاح عما بداخلك . وفي وقتنا هذا اصبح من الصعب ايجاد اشخاص يصدقون الشخص ويقفون بجانبه لدعمه لإكمال ما ابتدأ به ، إن هؤلاء الاشخاص مهديين بالانقراض للحد الذي سيصبح فيه هذا العالم مظلم جداً ، ف على المرء ان يكون نور نفسه وسراجاً لطريقه ودربه الذي يسعى اليه ، فلا احد يفيد احد

لا شيء اجمل من العائلة ورائحة المنزل ودفء حنان الام وجدار الاب الذي لا ينحني ، الكثير من الاشخاص يظنون بأن الأهل هم المسؤولين عن تعكير مزاجه وتنكيس حياته وانهم كالمهم الذي لا يزول ، لكن حقيقة الاهل هم افضل شيء وجد على وجه الكرة الارضية ، فأنت من دون أم لن تستطيع ان تحصل على طعم السعادة الكامل من جهات كثيرة ، سواء بالطعام والشراب او حتى

بالدراسة والعمل ، لن تجد شخصاً يتحمل اخطائك كأمر
ويقوم بتحفيذك بالشكل الذي تفضله هي

وايضاً من غير اب كيف ستشعر بأنك الاسد في هذه الغابة ؟ من
اين ستجمع قواك ! من الذي سيدافع عنك حين تصلب ؟ من
الذي سيبنى لك حياتك ويعودك على السير لوحيدك بعيداً عن
هذا العالم الوحشي ؟ ذلك الرجل الذي يضي عمره في ساعات
عمله ليجعل منك شخص يقتدى به

فلا يجب علينا ايضاً ان ننسى فضل الأخ على أخاه الآخر ، في
التخفيف عنه في حمل اثقال هذا العالم وتقديم التضحيات له قدر
المستطاع ، وايضاً دون اخاك ستشعر ان العالم فارغ لا يسكنه غير
الوحوش وأن لحمك ينهشه الجميع دون رحمة او مودة

وايضاً فضل الاخت على اختها وكأنها الام الثانية وصاحبة الصدر
الرحيب الذي يتقبل كل شيء ، فنعمة الاخت لا تحصى ولا تقدر
بثمن . فإن ترابط العائلة وتماسكها ببعضها البعض هو احد اهم
اسباب النجاح والقوة في مواجهة هذا العالم

الساعة الآن الواحدة مساءً ، تنهض شهرزاد لتقول لأمها هيا بنا
نوضب البيت جيداً قبل ان نتم بعمليات الاصلاح والترميم ، ف
فصل الشتاء في البدايات ومعظم اوراق الاشجار قد تساقطت
بالشكل الكامل ،

تبدأن الان بعملية التوضيب والترتيب بأفضل شكل ممكن ، وفي جميع انحاء المنزل ، يستيقظ الصغار ك لياشروا في الترتيب معهم، إن الاتحاد والترابط شيء جميل ومهم حيث انه يبعث داخل النفس طاقة مليئة بالتحدي والاصرار على الاستمرار في اكمال الشيء وإنهاءه على الشكل الكامل

تسير عقارب الساعة لتداهم المكان وتسرق الوقت من امامهم ، ما زالوا يقومون بأعمال الترتيب والنظافة بعد مرور ساعة على بدأهم ليوشكوا على الانتهاء

الفرحة والسرور تغمر المكان حيث الابتسامات العريضة وبروز الاسنان بدأ يظهر على الجميع من الأم والى صغارها ، جو من الدعابة خلق في المكان . تنتهي شهرزاد من توضيب المنزل وشطفه بالمياه جيداً

تنظر شهرزاد إلى امها وهي تأخذ نفساً سريعاً بسبب المجهود الذي بذلته وهي تقوم بعمليات التنظيف والترتيب ، قائلة : يا أمي يجب علينا الخروج اليوم للبحث عن شخص يعمل في مجال الترميم والبناء ليقوم بأصلاح هذه الخرابات التي ترينها امامك فمن كثرة التشققات في السقف اصبحت توقعاتي بأنه سينهار علينا

ترد الأم بضحكات هستيرية : لا يا عزيزتي لا تقلقي فأنا منذ اكثر من عشرون عام وانا اسكن تحته ولم يحدث له شيء ، سقطت انا كثيراً وهو ما زال صامداً الى تلك اللحظة

شهرزاد قائلة : انا وعدتك يا أمي بأن كل شيء سيتغير الى
الافضل ،

الام : وانا على وعدك اسير دون الخوف من شيء لأن ثقتي بك
ازدادت كثيراً إلى ابعد الحدود ايضاً ، فقط ينقصني في هذه
اللحظات شخص واحد وهو والدك الذي كان مناه ان يفخر بك
وهو على قيد الحياة لكن الظروف لا تشاور أحد

تقترب شهرزاد من امها وهي تضع يدها على كتفها ، لا بأس يا
امي ادعي له بالرحمة وانا واثقة الآن بأنه سعيد في قبره ، ولا داعي
الان لخلق جو من الحزن ، هيا ابتسمي لا يليق بك هذا الوجه
العابس

بذبول ملامح الأم وهي تنظر في ابنتها قائلة : لم يتبقى لي احد في
هذا العالم غيرك أنت ، في لحظة ما شعرتُ بأن الله قد وهبني نعمة
لكنتي لم اكن مدركة ما هي . لكنني الآن ادركت ان النعمة هي
أنت ، أدعوا الله ان يرحم والدك ويديمك لي

وبعد انهاء الحديث بين الام وابنتها ليسود المكان حالة من الصمت
وايضاً لقد إنتهوا من توضيب المنزل بالشكل الكامل ،

تنظر شهرزاد الى ساعة الحائط ، لم يعد يهتما الوقت كثيراً ولم
تعد مرتبكة كالسابق ، اصبحت الان متفرغة لكل شيء .

تبدأ بالحديث مع امها ،: الساعة الآن يا امي اصبحت الثالثة مساءً ،
ما رأيك اليوم ان نخرج للبحث عن شخص يعمل في مجال ترميم
المنازل ليقوم بأصلاح تلك الخرابات والجدران التالفة

الام : كما تشائين يا عزيزتي ، . تبتسم في وجه امها ، تقترب منها
لتعانقها وتقول : أنني افعل كل شيء من اجلك يا أمي ،

حالة العناق والهدوء التام تهيمن في المكان ، لا شيء سوى
الابتسامات ونظرات الأعين المتبادلة وعلامات الضح التي تتشكل في
جوانب العين وثناياها

بمرور دقائق قليلة ، وبعد ان تلاحم الجسدان في بعضهما من شدة
العناق ، لتنفك الأم عن ابنتها وهي بحالة خدران كبير وهي تقول
: يا له من شعور جميل وكأن الذي كان يعانقني ملاك

شهرزاد : ادامك الله لي يا أمي فأنت عوضني عن كل شيء في هذا
العالم . تقول الأم لإبنتها : سأذهب الى تجهيز نفسي لكي نخرج الى
البحث عن شخص يعمل في مجال الترميم والاصلاح

شهرزاد : حسناً يا أمي وأنا ايضاً سوف اقوم بتجهيز نفسي ، قبل ان
يдахمنا الوقت ويحل الظلام ،

داخل الغرفة ، تبحث شهرزاد بين رفوف خزانة عن لباس جيد
وصالح للإرتداء ، غير أن كل شيء تقوم بإرتدائه يكون جميل

وملقت للغاية . الآن وبعد تقليب العديد من الألوان والأشكال
المختلفة

ليلفت نظرها قميص تركاوزي اللون لا ينقصه غير بنطال من
اللون الأسود . ها هي الآن تتمعن بين رفوف الخزانة وهي تطيل
النظر للحظات قليلة ، يغشاها التفكير والحيرة . تمد يداها نحو
القميص التركاوزي والبنطال الأسود لتبدأ بعملية اللباس

مرت عشر دقائق لتكون شهرزاد قد أوشكت على الانتهاء من تجهيز
نفسها ، والأم أيضاً ترتدي افضل الثياب عندها . تقف أمام المرأة
وهي تجري تعديلات بسيطة على هيئة اللباس من الخارج ، تنظر
في المرأة لترى انعكاس وجهها وشفاه بشرتها التي تعادل صفاء
السماء في ليالٍ صيفية

تخرج الأم من غرفتها وهي تنادي على شهرزاد . تسمع ندائها وهي
تقف امام المرأة ، لتخرج من غرفتها بعجلة من امرها

الأم لابنتها وهي تبتمس : ما هذا الجمال يا عزيزتي انك تلفتين
الانظار بهذا الشكل . ، حالة من الحياء والخجل تصيبها لترد على
أمها ، اساس الجمال أنت يا أمي شكرا لك

بتبادل النظرات وتوزيع الابتسامات ، تهز الأم برأسها لتقول هيا بنا
لنخرج قبل ان يزول النهار دون فائدة

تغادر الأم وشهرزاد المنزل ، وهما بحالة من السعادة التي لا توصف

لحظة الوقوف على الشارع الرئيسي الذي تعبر من خلاله المركبات العمومية ، الذكريات تراود شهرزاد وهي تتأمل في كل شجرة وزاوية وحفرة في الشارع والمكان بأكمله ، هنا بدأت وهنا انتهت لا شيء في العالم يضاهاى رائحة الوطن وأمانه

كعادته الشارع مزدحم ومليئاً بالمركبات المترصصة بجانب الشوارع دون فائدة فقط لتعطيل حركة السير وخنقها

تنظر الأم يميناً ويساراً باحثةً عن مركبة متوجهة نحو مركز القرية والمكان الذي يتوافد الناس فيه والسوق الحر . تبدأ شهرزاد حديث مع امها ؟ كيف حال صديقتي سارة ، منذ ان جئت من السفر لم أراها ويبدو انها لم تعلم بعودتي إلى البلاد من جديد

الأم : حقاً لا اعلم اي شيء عنها ، وايضاً أنتي لم تخبري احداً بعودتك ، لقد كان رجوعك الى الوطن سرّاً ولم يعلم به أحد

شهرزاد تنظر الى امها بحالة من السكوت التام ، قائلة وهي تتذمر : سأخرج هاتفى واقوم بالاتصال بها لأطمئنها عني وايضاً سوف تساعدني للوصول الى شخص يعمل في مجال ترميم البيوت

الأم : اذاً هذه فكرة سديدة ، هيا اخرجي هاتفك ماذا تنتظرين ،

تخرج هاتفها لتقوم بالاتصال على صديقتها سارة ..

يرن الهاتف وهي تضع السماعة على أذنها وتهز بقدمها منتظرة رد

سارة على المكالمة

ترد سارة الآن : مرحباً من معي ، . وشهرزاد تبتسم لسماع صوتها
بعد فترة انقطاع طويلة ،

شهرزاد : كيف حالك يا سارة ، هلا عرفتي أم لا ؟ أنا صديقتك
شهرزاد

لقد عدت من السفر منذ يومين وفي الحقيقة لم اخبر أحداً بعودتي
لقد كان كل شي يسير بالصمت التام

سارة بحالة الصدمة وهي داخل المكان العام : لقد اشتقت اليك
كثيراً ، طمئنيني عن حالتك وكيف كان مشوار الغربة
والابتعاد عن الأهل

شهرزاد : آه آه يا سارة وانا ايضا اشتقت لك وها انا اليوم عدت من
جديد بشخص آخر مختلف عن السابق ، لقد انتهت فترة النزاعات
ولا يوجد شيء أجمل من الوطن فعند عودتي الى الوطن ، شعرت
بأنني عدت إلى توازني

سارة : كل شيء سيتحسن بمرور الوقت هي مسألة وقت لا أكثر،
واخبريني أين أنت الآن ، أود رؤيتك ،

شهرزاد : أنت الآن برفقة أمي لقد خرجنا للبحث عن شخص يعمل
في مجال ترميم البيوت

سارة : سلامي وقبلاتي لها ، حقاً ؟ اذا كنت تبحثين بشكل جدي ،
على حد علمي ان خالي يعمل في هذا المجال ، ، سأقوم بالتواصل

معه خصيصاً لك ، . واذا كنت تستطيعين المجيء إلي ، فأنا بانتظارك داخل أحد مقاهي المدينة ، تعالي لنحتسي القهوة ونتحدث قليلاً

شهرزاد : وهي أيضاً تبعث بسلامها لك ، وانا ممتنة جداً لوجودك معي دائماً ترشديني الى الطرق السليمة والمريحة . وما اسم المقهى الذي تتواجدني داخله ، سوف أتى إليك برفقة أمي

سارة : حياً وكرامةً يا صديقتي فأنتي بالنسبة لدي كالأخت وأكثر . اسمه مقهى الشام ، انا بانتظارك لا تتأخري كثيراً

شهرزاد : حسناً يا حبيبتي ، مسافة الطريق فقط واكون عندك

تنتهي شهرزاد المكاملة بقولها ، : لدي الكثير لأقوله لك ، إلى اللقاء

ينتهي الاتصال الذي استمر لدقائق معدودة ، لتعود شهرزاد بحديث مع أمها ، سوف نذهب الآن يا أمي إلى المقهى فهناك صديقتي سارة بانتظارنا ، لكن علينا الصعود في إحدى المركبات بأسرع وقت ممكن ، لنستغل الوقت

الأم : حقاً ، يبدو أنه يوم رائع منذ البداية ،

لا شيء سوى حالة الفرح والسرور التي لا تفارق وجه الأم منذ اللحظة التي عادت فيها شهرزاد من سفرها ، . تشعر وأن روحها عادت من جديد كمولود جديد على هذه الحياة

بعد انتظار طويل والكثير من المركبات قد مرت ، تؤشر الأم بيدها من جديد . تتوقف مركبة خاصة لنقل الركاب ، وجه السائق يحمل علامات التذمر والقبح الشديد ورائحة الدخان تفوح في المكان ، عندما قام بشق النافذة ليتحدث مع الام ،

السائق بتذمر ووجه عبوس : إلى أين تريدان الذهاب يا حسناوات، بحالة من التعجب تصيب شهرزاد !، تنظر إلى أمها لتحاول ضبط نفسها لتقول : نريد ان نذهب الى مقهى الشام ؟ ، ودعك من الأقوال الكثيرة والتي لا طعم لها ،. هل ستقوم بإيصالنا وسأدفع لك الإيجار ضعفين إن استطعت إيصالنا بوقت قليل

السائق مجدداً : حسناً لا عليكم في هذا ، هيا اصعدوا تصعد الام وشهرزاد الى الباب الخلفي من المركبة ، ورائحة كريهة تفوح في أرجاء المكان وحالة من التشاؤم تتشكل على وجهيهما تغلق شهرزاد الباب ويبدأ السائق بالسير وسيجارة الدخان العربي في يده معلناً حالة من عدم الإدراك والاستيعاب

على الطريق رائحة الدخان تحتل المكان وإغلاق مركزي للنوافذ . تجلس شهرزاد بجانب النافذة من الجهة اليمين والأم تحاذيها من الجهة اليسار ، يتبادلن النظرات التي تعبر عن حجم الاشمئزاز الكبير من هذا السائق

بمحاولة شهرزاد لفتح النافذة من إحدى الأزرار الموجودة على الباب من الداخل ، لكنها لا تعلم بأن هذه النوافذ تعمل على نظام إلكتروني او ما يسمى بالإغلاق المركزي . بعد محاولات كثيرة ولحسن حظهما ان مسافة الطريق للوصول إلى المقهى ليست طويلة بذاك البعد ، فقط أوشك السائق على الوصول

أشبهه بمحاولة اليأس تتراجع شهرزاد من عند النافذة لتجلس بجانب امها وهي تلتصق بها . يتنحج السائق من شدة السعال الذي هو به ، محاولاً تنقية صوته ، ليتحدث مع شهرزاد وامها وهو ينظر إليها من المرأة الخلفية ، لماذا لم تعطوني الإيجار لهذه اللحظة ؟ لقد أوشكت على الوصول ؟

باستغراب كثير وتعجب من شهرزاد وأمها وهما ينظران ببعضهما البعض ببروز العينين قليلاً وفتح الفم بوضعية شهيق . بخفض الصوت تقول الأم لأبنتها ،: ما الذي أصاب هذا السائق الأبله ، نحن دائماً نتجنب المصائب لكن يبدو انها تلاحقنا دون وعي منا او معرفة شهرزاد تقول لأمها وملاحها تدل على البرود التام : لا عليك يا أمي فسأعتبر انه يعاني من مرض نفسي او ما شابه ذلك . مجدداً ينظر السائق ليجد انهما لم يردوا عليه بشيء مما قاله ، ليتنحج مجدداً

بعد دقائق قليلة تتوقف المركبة فجأةً في مكانها المطلوب ، تخرج شهرزاد حقيبته لتدفع الإيجار وتقول للسائق ، دع الباقي من اجل

ان تتحسن اخلاقك واساليبك في التعامل مع الركاب ولو قليلاً .
تغادر الام وشهزاد المركبة والسائق بتعجب كبير ورفع الحاجب
الآن وبعد خروجهم من المركبة وبدأ تنفسهم للهواء النقي بدلاً من
تلك الروائح التي رافقتهم طوال مسافة الطريق . أمام المقهى
الذي سيقابلان به سارة ، يبدآن بالمشي نحو الدرج للصعود إلى
الطابق العلوي الذي يوجد به هذا المقهى

يصعدن للأعلى ، انه المقهى الآن وصوت الموسيقى يصعد من كل
مكان ، تفتح موظفة الاستقبال الباب ، وهي تبسم في وجههما
وتقول لهما ، تفضلوا معي بالدخول ، بسيرهما مع الموظفة
لتتحدث شهزاد : لكن هناك صديقتي تنتظرنني في مكان ما داخل
المقهى ،

موظفة الاستقبال: حسناً تفضلي معي من هذه الناحية ، وهما
يسيران من تحت الإنارة الجميلة والديكورات الباهظة ليكونا قد
وصلوا عند الطاولة التي تجلس عليها سارة . تترنح موظفة
الاستقبال جانباً وهي تمد يدها نحو الطاولة وتقول لهما تفضلوا
وهي تبسم لتغادر المكان

بالأحضان تستقبل سارة صديقتها من بعد الغياب الطويل ، يطول
العناق الآن والأم تقف وهي بحالة الفرح الشديد على ما تراه بعينها
بانفكاكهما عن بعضهما البعض ، لتبدأ بالسلام على أم شهزاد
دون أن تعانقها

بجلوس الجميع على المقاعد لتبدأ سارة بالحديث : لقد اشتقت لك كثيراً ، كيف كان سفرك بشأن الابتكار ، لقد تعبنا عليه كثيراً وسهرنا الليالي من اجله ، المهم أن تكوني قد خرجت بنتيجة مبهرة

شهرزاد : وهي تبتمس ، هل انتابك القلق بشأني يوماً ما واعلم انك تؤمنين بقدراتي

بغض النظر عن المركز الذي حققته ، لكنني حصلت على أفضل ابتكار لهذا العام ، وقد تم تكريمي من قبل اللجنة المسؤولة بقيمة خمسون ألف دولار وأيضاً حصولي على منحة دراسية أخرى لاستكمال الابتكار بشكل أقوى وأفضل ويطرق موسعة

سارة بتصفيات حارة لتنهض من مكانها وتقبل شهرزاد على خديها ، وتقول : انا مؤمنة بقدراتك منذ البداية ورغم توالي الصعفات علينا إلا انك تمكنت من تحقيق النجاح من بعد عناء طويل ، ولا شيء في العالم يأتي من دون تعب وبذل مجهود كبير وشيق

شهرزاد : الفضل لك أيضاً لقد وقفت بجانبك كثيراً وطوال فترة حاجتي لك ، ولن أنسى مواقفك معي فهي ستبقى تعيد نفسها في كل مرة سأروي بها قصة نجاحي لأحد الأشخاص

سارة : المهم انك حققت النجاح ولا يهم لمن يعود الفضل ، وأتمنى لك المزيد من النجاحات ، قليلاً من الابتسامات في المكان لتقول

سارة مجدداً : لقد قلتي لي قبل مجيئك إلى هنا انك تبحثين عن شخص يعمل في مجال ترميم البيوت ، وكنت حينها قد تواصلت مع خالي ، حيث قلت له انك صديقتي وقرّة عيني ، فقال لي : سيتكفل بكل الأمور وسيصلح كل الخرابات بنصف السعر في السوق

شهرزاد : احمد الله على كل شيء ، ومجدداً أنت تضعيني في مواقف محرّجة تصيبني بالخجل ، وأصبحت لا اعلم كيف علي أن أجازيك على كل هذا الخير الذي فعلته معي ، حقاً أنت شخص يستحق الشكر والحب بشكل حقيقي

سارة : ولماذا نحن صديقات ؟ ، فالصديق وقت الضيق كما يقول البعض ، وانا موجودة معك في كل ضيق وفرج ، فلا تكثرني كثيراً ولا تخلقين جو من الرسمية بيننا ، وغداً سوف يأتي خالي الى منزلك لبدأ العمل فيه ، فكوني على حسن دراية بالأمر ولا يراودك النسيان ، لكي يباشر في العمل منذ لحظة قدمه

الأم وهي تبتسم كثيراً : كلمة الشكر لا تكفي لأمثالك ، فادعوا الله أن يناولك خيراً من ذلك ويزهر طريقك دائماً بالخير والعطاء

سارة والابتهامة على وجهها : أنت بمثابة الأم يا خالتي ، أدامك الله وحفظك برعايته

حالة من الفرح الشديد تعم المكان وما أجمل أن يذوق المرء طعم النصر والفرح من بعد الشدة والتعب والهزل الكبيرين وأيضاً لن يستطيع المرء أن يشعر بطعم الحياة التي يعيشها إن استمرت على حال واحد دون حدوث تغيرات ، فإحداث التغييرات هو أمر طبيعي وظاهرة يمر بها الجميع ، لكن يجب علينا ان نكون بحالة جيدة من اليقظة لكي نستطيع ان نتخطاها بأقل الأضرار ومن ثم نتذوق حلاوة النصر ولذته

وبجلوسهما داخل المقهى ، والساعات قد مرت دون حسابان أو استشعار بها من قبل أحد . فعندما يكون الحديث مع أشخاص تحبهم وتحب حديثهم ولا تمل منهم ، سيسررك الوقت وأنت معهم دون أن تشعر بشيء

تنهض شهرزاد من بعد جلوس طويل تشعر بحالة تعرق في بنطالها وكأنه التصق بالمقعد من شدة جلوسها ، لتنتهي الحديث بقولها : لقد كان يوم ممتع للغاية قضيته معك يا سارة وأتمنى أن يعاد مثله في الأيام القادمة ، وأيضاً أُمي كانت سعيدة جداً بلقائك ،

ينهض الجميع من على الطاولة . سارة : لقد كان ممتع بوجودك أنتي وأمك ، وأنا أتمنى ذلك أيضاً . بأحضان وقبلات تودع شهرزاد صديقتها سارة لتغادر المقهى هي وأُمها متوجهات نحو المنزل ، لتجهيزه وتوضيب بعض الأغراض ليكون جاهزاً لعملية الترميم غداً

خارج المقهى ، وعودة مرة أخرى إلى أجواء الازدحام والفضوى العارمة ، تسير شهرزاد وهي برفقة أمها لتقول : يا أمي أنت تعلمين بشأن المشروع الشخصي ؟

الأم : نعم لقد قلت لي سابقاً انك ستقومين بفتح محل صغير مختص بالأجهزة الالكترونية والخلوية وسيشمل تصليحها وبرمجتها وكل الأمور المتعلقة بها وأيضاً انك خصصت مبلغ بقيمة عشرون ألف دولار

شهرزاد : كم أنت رائعة يا أمي ، ولكن بما أننا أصبحنا خارجين للبحث حول مشروع الترميم ، ما رأيك أيضاً أن نبحث عن محل تجاري يكون بموقع مناسب ويطل على الشارع الرئيسي ليكون به مشروع الصغير

الأم : حسناً لا مشكلة لدي ، لكن كيف سنحصل على المحل بهذه السرعة الأمر يحتاج إلى جهد ،

شهرزاد : نحن سنسير مع الشارع وسوف ننظر إلى المحال التجارية ، وغالباً الأشخاص الذي يعرضون محلاتهم للإيجار يقومون بلصق منشورات ورقية على الأعمدة والجدران

الأم : حسناً ها نحن نسير ولتكن فكرتك سديدة وأنا أثق بك جداً يواصلان سيرهما بقطع مسافات تقارب النصف كيلو سيراً على الأقدام ، لترى شهرزاد منشور ورقي على إحدى أعمدة الكهرباء

مكتوب عليه يوجد محل للإيجار قريب من المكان ، للاستفسار
الرجاء الاتصال على الرقم أدناه

تنظر إلى أمها لتقول :، ما رأيك أن نجري اتصالاً هاتفياً ونستفسر
من خلاله عن سعر المحل وموقعه ،

الأم : كما تشائين هيا اخرجي هاتفك وقومي بالاتصال عليه ،
تخرج هاتفها لتطلب الرقم الذي وضعه صاحب المنشور ،

تختار مكبر الصوت والهاتف يرن وهي بجوار أمها تقف وحالة من
الصمت ، ليرد صاحب المنشور على المكالمة ، بقوله : تفضل من معي

شهرزاد : مرحبا كيف حالك ، في الحقيقة انا ابحث عن محل
تجاري وأن يكون موقعه على الشارع الرئيسي ، وعند مروري من
المكان رأيت منشوراً على أحد أعمدة الكهرباء ، وأريد منك ان
تزودني ببعض المعلومات الموقع والإيجار الشهري وهكذا

صاحب المنشور : نعم وهذا أنا صاحب المحل التجاري ، وما رأيك ان
تأتي إلى المحل ونتحدث عن التفاصيل وليكن كل شيء على ارض
الواقع

شهرزاد : حسناً لا مشكلة لدي لكن أين الموقع ؟

صاحب المنشور : أنت الآن تقفين عند محل مختص بصرافة
العملات ، شهرزاد : نعم صحيح

صاحب المنشور مجدداً : إذا عليك السير خمسون متراً بنفس الاتجاه ومن ثم توجهي أقصى اليمين بنفس الشارع ، فأنا اسكن هناك ومنزلي فوق المحل مباشرة ، وبجانب صالون حلقة للرجال شهرزاد : حسناً دقائق قليلة سأكون عندك ، انتظرني على الشارع ، صاحب المنشور : حسناً أنا بانتظارك

تنتهي شهرزاد اتصالاتها الهاتفية ، لتتمسك بيد أمها وتبدأ بالسير السريع متوجهة إلى المكان الذي وصفها إياه صاحب المنشور بعد مضي خمسة دقائق على المشي لتكون قد وصلت الى المكان . من مسافة قريبة ترى رجل ملتحي وشعره كالقطن الأبيض مكسو بالشيب ولكن ملامحه توحي بأنه قوي وذو صحة جيدة وبعمر ليس كبير . تواصل سيرها لتصل عنده ،

شهرزاد: مرحباً ، عفواً منك هل أنت صاحب المنشور الذي اتصلت عليه للتو ؟ لأنني حقيقة ابحث عن محل للإيجار بنفس هذا الموقع الرجل ، هو نفسه صاحب المنشور قائلاً : بالطبع يا بنيتي أنا هو صاحب المنشور تفضلي فأنا بخدمتك

شهرزاد : أريد رؤية المحل قبل الاتفاق على مبلغ الإيجار السنوي ؟ صاحب المنشور : حسناً ليلتفت وهو يسير قرابة العشرة أمتار ، يخرج مفتاح المحل من جيبه ويقوم بفتح الباب ، والظلام الطامس

في المكان . تفضلي بالدخول لكي تستطيعي رؤية المكان من الداخل
ما إن كان مناسب أم لا

شهرزاد : حسناً هيا بنا لكن أشعل الأنوار لأنني مصابة بفوبيا من
الظلام

تدخل شهرزاد من الباب ليزول الظلام بكبسة زر واحدة ليتحول إلى
مكان يستطع فيه الضوء وكأن الجو في الداخل نهاراً

تطيل شهرزاد نظرها وتأملها في أرجاء المكان ، يبدو أن البناء حديث
نوعاً ما . صاحب المنشور : لا ليس كذلك فهو يعود الى اكثر من
خمسون عام لكنني مهتم بهذا المنزل جيداً وأقوم بتنظيفه ما بين
الذروة والأخرى

بهز رأسها وهي تقول : جميل جداً وفي هذه الأيام قليلون الاشخاص
الذين يهتمون في أشياءهم الخاصة ، فالبعض اصبح اخر همه هو
عمل يكسب المال وطعام ونوم هنيئاً دون جدوى لإحداث تغيير ما في
حياتهم

صاحب المنشور : في نهاية المطاف كل شخص مسؤول عن نفسه ،
فلو توقفنا قليلاً من اجل احدهم ، سوف نضيع العديد من الفرص
التي بحوزتنا

شهرزاد : حسناً أنت محق ، لكن اخبرني كم تكلفة الإيجار سنوياً ؟

صاحب المنشور : ألفان وخمسمائة دولار ، دون الماء والكهرباء فهي أمور تعود لحاجة الشخص نفسه والمشروع الذي سيقوم بفتحه
شهرزاد : تنظر إلى أمها وهي تقول بصوت منخفض : ما رأيك في الأمر ؟ أما أراه بأنه مناسب نوعاً ما . الأم : كما قلت لك من السابق أنا أسير على خطاك فلا تسأليني لأنني جوابي مرتبط بك
ترتب شهرزاد الكلام على أطراف فهمها لتقول للرجل : حسناً اتفقنا على ذلك ، وأيضاً كما لو أن المحل من الداخل لا يحتاج الى العديد من الديكورات وما شابه ذلك ؟

صاحب المنشور : يقترب من شهرزاد ليهمس في أذنها : خذي بنصيحتي ولا تضعي فلساً واحداً غير الإيجار وتكلفة البضائع التي ستشترينها ، فمنسوب الربح او الخسارة لا يقف على الديكورات وما شابه ذلك ، لا تستعجلي فمن بعد أن تسير الأمور معك بالشكل السليم ، تستطيعين حينها أن تفعلي ما تشائين

شهرزاد : أنت محق للغاية وشكراً لك على حسن لطفك ونصائحك الجميلة فما قلته هو الصواب وأيضاً أريد أن أوكلك في مهمة شراء البضائع فأنا لا امتلك الوقت الكافي لإتمام هذه الأمور . سنبقى على تواصل وأمهلي ثلاثة أيام فقط لأعود وادفع الإيجار لك وقيمة المشتريات والبضائع التي جلبتها لي

صاحب المنشور : كما تشائين أنا بانتظارك ورقم هاتفي أصبح بحوزتك

تغادر شهرزاد من داخل المحل بعد أن شاهدته من الداخل وتمعنت في كل زاوية فيه ، ولا سيما أنها الآن ستبدأ في تغيير حياتها شيئاً فشيئاً ، ابتداءً بهذا المشروع الصغير وانتهاءً بعملية إصلاح المنزل وترميمه

على الشارع الرئيسي تقف بجانب أمها تحت حرارة الجو العالية ، تنتظر مرور أي مركبة لتصعد بها وتعود إلى المنزل . لتقوم بترتيب الأثاث وإزاحته بشكل او بأخر يسنح مجال للعمل داخله دون تعرض اي منه للخراب ، غير انه سيتم تبديل كل الأثاث القديم بأثاث جديد بعد الانتهاء من كافة الأعمال

تنظر شهرزاد يميناً ويساراً بكل الاتجاهات وهي تضم أمها الى جانب صدرها الأيمن لتقي عنها حرارة الجو غير انه لا يوجد مظلة لحجب أشعة الشمس. تستمر بصمودها بمرور نصف ساعة وهي تقف في مكانها لتبدأ حركة السير بالازدحام وتوافد العديد من المركبات واحدة تلو الأخرى لنقل الركاب

تؤشر شهرزاد بيدها ، يتوقف السائق على الجانب الآخر من الشارع ، تمسك بيد أمها وهي تعبر الشارع بكل حذر . تفتح باب المركبة دون سؤالها المعتاد للسائق والذي تعرف من خلاله إلى أي جهة هو متجه . بعد أن صعدت هي وأمها أشبه بعملية استرداد الأنفاس ولقطها لتسأل السائق إلى أين هو ومتجه وتدله على الطريق

شهرزاد للسائق : عفواً منك يا عمي لكن إلى اي مسار أنت متجه؟

السائق ملتفتاً على مرآته الأمامية : في الحقيقة أنا ذاهب بالمسار المؤدي إلى وسط البلدة ٩ ، وأنتما إلى أي مسار ذاهبتان شهرزاد : في الحقيقة منزلنا يقع وسط البلدة بجانب المسجد الكبير ، إذا أنت تسير بالطريق الصحيح السائق : حسناً ، سأقوم بإيصالكم إلى باب المنزل مباشرة دون الحاجة لإكمال الطريق مشي على الأقدام ، شهرزاد : شكرا لك على حسن تعاملك ،. بيتسم السائق ويستمر في قيادته

بعد استمرار السائق بالسير متوجهاً نحو المكان المطلوب ، قد مرت عشر دقائق ليكون قد وصل الى باب المنزل بإرشاد شهرزاد له من بين زقاق البلدة . تخرج حقيبتها لتدفع المال له إيجار التوصيل . خمسة دولارات بيد شهرزاد لتمدها نحو السائق وتقول له ، تفضل من فضلك ، تفتح الأم باب المركبة ليخرجان منها بكل أمان وسلام بسيرهما إلى داخل المنزل بعد دخولهم من البوابة الرئيسية التي تتلاصق بالإسفلت وتقابل الشارع من واجهة المنزل الأمامية . دون الحاجة إلى طرق الباب لا أحد سوى الصغار في الداخل ، تخرج شهرزاد مفتاح المنزل لتفتح الباب وتدخل هي وأمها بحالة تعب وإرهاق وشعورهما بالدوران الشديد

تستلقي الأم على الأريكة لتريح نفسها وتحاول الرجوع الى حالتها الطبيعية دون الشعور بأشياء غريبة ، وشهرزاد تجلس على مقعد خشبي وهي تحدق في السقف وكأنها تودع كل تلك الخرابات بنظرات مليئة بالقوة والعزيمة والإصرار على التغيير من حالة الدمار والخراب الى حالة الجمال والكمال على أفضل وجه

بعد مرور ساعتان على استلقاء الأم على ظهرها لتنهض بكامل قواها وتقول لابنتها : هيا بنا نوضب الأغراض والأشياء التي قد تعارض في عملية الترميم والإصلاح . تستجب شهرزاد لها لتنهض من على مقعدها . يبدأ الآن شيئاً فشيئاً ، مع مرور الوقت لتبدأ قطرات العرق تنقط من جبين كل واحدة منهم

ثلاث ساعات قد مرت دون توقف ، النتيجة مذهلة جداً . فالحائط خال من كل شيء والخزائن الكبيرة قد أبعدت إلى أماكن خارجية وبعض الذكريات التي تؤلم الحاضر ، تم إتلافها دون الحاجة الماسة إلى التفكير كثيراً بها . لم يتبق سوى صورة لوالد شهرزاد معلقة على الحائط ، لكي يستطيع المرء أن يبدأ حياته من الحالة الصفرية ، عليه أولاً نسيان الماضي والتركيز على الحاضر كثيراً

تقف شهرزاد في وسط المنزل وهي تتأمل في أرجاء المكان ، بكل زاوية وحائط تنظر الى تلك الخرابات والحفر وأشبه بالتعفن يظهر في معظم الأماكن داخل المنزل . لكن من الآن فصاعداً سيتم تحويل

كل شيء وتبديله إلى الأفضل وإصلاحه بأفضل الطرق
والإمكانات

الساعة الآن تتجاوز الرابعة عصراً ، يبدو انه الوقت الأمثل
ليستطيع المرء أن يستغله بقليلولة قصيرة ليريح جسده وعقله

إن الأشخاص الذين لا يسعون إلى تطوير أنفسهم وتغيير واقعهم ،
فهم ليسوا أشخاص طبيعيين ، لأن الشخص الطبيعي قابل
للتغيير والتطوير مع مرور الزمن وأن عليهم مراجعة طبيب نفسي
لحل مشاكلهم التي جعلتهم داخل قيود لا يستطيعون الخروج
منها ، ربما هم يقومون بأسر أنفسهم بتقليلهم من قدراتهم ،
بخوفهم الكبير من الفشل بالتجربة الأولى لأي عمل كان

وأيضاً لن يستطيع المرء الحصول على المعلومات والفرص من دون
وجود تجارب ، فالتجربة تفتح المجال أمام الشخص وتعرفه على
واقع الشيء الذي يريد معرفته ، وتضع له خطوط العودة إن فكر
بالرجوع مرة أخرى للشيء الأول ، فالأيام تسير وتتقلب دون توقف
والنهار الذي يذهب لا يعود كما كان ، فالفرص التي تأتي لا تعود
كما هي ، فاستغلال الفرص هو أحد أهم عوامل النجاح

فلو أتيح لشخص ما ثلاث فرص مرة واحدة ، لنفرض انه خسر
الأولى سيكسب الثانية ولو خسر الأولى والثانية سيكسب الثالثة ،
وما دام الشخص يسعى للتغيير سيستطيع تغيير كل شيء دون
الشعور بالتعب او النقص من شيء

وأيضاً قد يكون للواقع والبيئة المحيطة تأثير كبير على الشخص الذي يبحث عن التغيير ، فهناك أشخاص وجدوا للانتقاد دون فهم أو معرفة ، غير أنهم كسالى لا يحبون تطوير أنفسهم وارتقاؤها إلى الأفضل فيجدون أنه من الصعب تحقيق رغباتهم ، التي يرسمونها في خيالهم فقط ، وهم ينتقدون غيرهم بظنهم أنهم الأفضل ، لكن حقيقةً هم لا يعلمون أن لا شيء في هذا الكوكب يأتي دون سعي وتعب كبير ، وإفراط في المجهود الشخصي حتى اخر رمق

فالتغيير عامل بشري لا دخل للآلهة فيه ، فكل شخص في هذا العالم يستطيع تغيير واقعه الذي يعيش فيه من الحالة الطبيعية وإلى أعلى المراتب والدرجات

يمضي الوقت كما هو دائماً ، وتخلق الأيام من الساعات والساعات من الدقائق والدقائق من الثواني ، تسير عقارب الساعة ودقتها تحتل هدوء المكان ، والأفكار خالية . الساعة الآن التاسعة ونصف مساءً قد مرت الساعات والجميع أصابه النعاس ، فقد ذهب الصغار للنوم ولم يتبقى غير شهرزاد وأمها جالستان بجوار بعضهما

بذبول عينان شهرزاد وهي تنظر إلى أمها لتراها بحالة ثاؤب ، النعاس يترصد لهم ، فما قد أوشكت شهرزاد على الانطفاء . ، لتقول
لأمها :

اسمحي لي بالذهاب إلى السرير فأنا أوشكت على أن أفقد وعيي من
شدة النعاس ،. الأم ترد بصوت مليء بالخمول ،: حسناً يا ابنتي وأنا
سأخذ للنوم أيضاً ، ليلتك سعيدة

كل واحدة تذهب الى فراشها ، فالأم بقيت تشعر بالوحدة من بعد
رحيل زوجها عنها ، فهي لم تعد تشعر بالأمان كالسابق

أما شهرزاد فهي تعانق الحائط والوسادة ، فهما يفهماها ويخفزان
عنها بطريقتهم الخاصة حينما يجعلونها تشعر بالراحة والأمان في
آن واحد

بمسير الليل وتقلباته ، بصفاء السماء وإنارة القمر للأرض
وانعكاس النجوم على أسطح مياه البحار والمحيطات ، الهدوء يسكن
في الحي رغم أن الإزعاج لا يغادر منه ، لكن الليلة هذه تختلف
فلا الكلاب تنبح ولا السيارات تزدهم في أواخر الليل ، أشبه بليلة
القدر

من بعد يومٍ شاق ومتعب للغاية ، الآن من بعد ذهابهما للنوم
مباشرة أصبحت بحالة سبات عميق . في انتظار طلوع صباح اليوم
التالي لاستكمال ما تبقى لهذه المرحلة وهي مرحلة الانتهاء من
كل شيء والظهور بأفضل حال

لا شيء يقال في هذه الأثناء غير انغام الساعة ودقتها التي لا تهدأ
ويصدع صوتها في ارجاء من المنزل لشدة الهدوء والخلاء من كل
شيء

إن على الأشخاص الذين يسعون لتطوير انفسهم وتغييرها الى
الافضل ، عليكم اولاً الا تقللوا من شأنكم وقدراتكم وأن لا تحددوا
صعوبة الأشياء من غير ان تجربوها ، فإنه لم يذكر في اي كتاب
او روايه أن هناك شخص ما استطاع التغيير من نفسه وتحقيق
النجاح من غير ان يخوض المعارك وأن يجرب العديد من الأشياء
وأن يذفه عرقه في كل طريق يسير فيه

ولكي تنجح عليك ألا تقارن نفسك بأحد ، فكل شخص لديه
قدرات تختلف عن الأخرى ولديه بوابة الوصول الخاصة به ، ويعرف
طريق البداية والنهاية جيداً . أما انت فعليك التركيز جيداً
والانضباط بكل شيء يعينك ويخص حياتك الخاصة والتي
تبحث ساعياً لتغييرها إلى الأفضل مهما كانت قيمتها

ينجلي الليل بظلمته وبأحداثه الخاصة كصوت الصرصار مثلاً ،
ليحل صباح اليوم جديد بإشراق الشمس والشفق الأحمر يظهر
على حدود السماء ، تزقزق العصافير فرحه والطيور تحلق في
السماء باحثه عن ارزاقها . تمر الساعات الأولى من الصباح
والجميع خالد في فراشه ،

الساعة التاسعة صباحاً لقد اقترب موعد مجيء الرجل الذي سيقوم بترميم المنزل وهو من طرف سارة . تتحرك اجفان عين شهرزاد لتصحو من نومها وهي بكامل نشاطها لا وجود لعامل الكسل في المكان

تقف شهرزاد على قدميها لترتدي نعلها وتسير متوجهة نحو الحمام لتغسل وجهها وتستعد لمجيء خال سارة لكي تستقبله وتساعده في اعمال الترميم

قد مضت ساعة وشهرزاد تجهزت على أكمل وجه وبقيت تنتظر قدوم الشخص المطلوب ، لحظات قليلة ويطرق باب المنزل ،

وكانها اصيبت بالهلع ، تتوجه نحو الباب لتفتحه

بعد ان قامت بفتح الباب واذ برجل يقف خلفه ، لتحادثه وهي تبتسم : صباح الخير ، هل انت خال صديقتي سارة ؟

الرجل : نعم بالطبع وها قد جئت على الموعد لنبدأ بأعادة اصلاح المنزل لديكم . ما زالت شهرزاد تبتسم لتقول : حسناً هيا تفضل بالدخول

يدخل من باب المنزل ، مطأطأً رأسه خجلاً كونه للمرة الأولى يتعامل مع اهل هذا البيت وأيضاً هو لا يعلم ان كان في الداخل نساء مكشوفات ، فالأفضل الدخول بوضعية توطيء الرأس والسير وراء صاحب البيت . بعد أن وصل مع شهرزاد إلى داخل المنزل يرفع

رأسه وهو ينظر في الخرابات والتهتكات الواقعة على هذه الاسقف
والجدران ، الأمر سيء للغاية لكن لن يستغرق اصلاحه سوى ايام
قليله

يبدأ الرجل حديثه مع شهرزاد وهو يضع يديه على خاصرته قائلاً :
لا بأس في كل تلك الخرابات سنقوم بإصلاحها معاً ، لقد عملت
في اصلاح خرابات اكثر من هذه بكثير لا داعي للقلق

ينتقل الدور إلى شهرزاد لتقول وهي بحالة جيدة : في الحقيقة
كنت اظن أن الأمر معقد لكن كما يقولون اعط الخبز للخباز ،
فأنت صاحب المهنة وأدرى بعملك . وحقيقة لا يوجد شيء معقد
في العالم الأمر يعود الى الشخص نفسه ومسألة التراكمات هي
التي تعقد الأمور ، فلا يعلم المرء من أين عليه ان يبدأ

الرجل : انتي محقة بما تقولينه ، وهيا بنا لنباشر بالعمل فعلينا
استغلال الوقت جيداً . بلحظة صمت وتفكير فيما سيقومون بفعله
أولاً ، ليقول الرجل : انت يا شهرزاد ابدأي بتقشير الجدران وأنا
سأقوم بباقي الأعمال وحدي

شهرزاد : حسناً كما تشاء

تزداد الأمور جمالاً في الحصول على الاشياء عندما يسعى الشخص
بنفسه وراء ما يريد دون ان يطلب العون من أحد ، وأن العمل
الفردى غالباً ما يتغلب على العمل الجماعي رغم أن في الإتحاد قوة

لكن هناك أمور يجب التدقيق عليها كثيراً حينما يتعلق الأمر بالعمل

بعد مرور ثلاثة أيام النتائج مبهرة للغاية ، تستلقي شهرزاد على الأريكة وسط المنزل وهي تحدد في السقف وفي إنارة المكان وشعاع اللمبة ، لقد تم ترميم المنزل وإصلاحه وها هي شهرزاد وامها يشاهدان الفرق الشاسع الذي كان في السابق وكيف تغير في غضون الثلاثة ايام الماضية

يقف الرجل متأملاً في طلاء المنزل الجديد والأثاث الحديث وكل الأشياء التي تعج بالجمال والراحة معاً ، وهو يرتشف قهوته ينظر الى أم شهرزاد قائلاً لها : ما رأيك الآن هل اختلفت الأمور عن السابق

حالة الصدمة المخلوطة بالفرح والسرور ، لا تستطيع الأم ايجاد رد لتقوله لهذا الرجل ولنظافة عمله وبذله لمجهود كبير لتغيير كل الخرابات إلى إصلاحات جديدة ، وهي تبتسم ترتب الكلمات لتقول : سلمت يداك وجميع كلمات الشكر لا تستطيع التعبير عما بداخلي تجاهك ، شكراً جزيلاً لك ، حقاً انت بارع في عملك

الرجل : المهم ان تكونوا بأفضل حال وأنا مستعد لتقديم الأفضل دائماً ، يكمل ارتشافه لفضجان القهوة الذي في يده وهو يتأمل مجدداً في ارجاء البيت ورائحة الطلاء تفوح في المكان وكل شيء هنا اصبح مريحاً للنفس والعين

من وسط الهدوء وحالة الصمت تسير شهرزاد نحو الرجل وهي تنطق اليه عبارات الشكر والتقدير على عمله ومجهوده ، وهي تقف أمامه تخرج من جيبها مبلغً من المال قيمته ألفان دينار لتمد يدها نحوه وتقول له تفضل وشكراً لك على حسن تعاملك ولباقتك وعملك الجيد

يأخذ الرجل المال قائلاً : حقاً أنتي فتاة جيدة وتستحقين الأفضل دائماً ، وكما اخبرتني سارة انك حققتي نجاحات كبيرة وأكبر منك عمراً ، لكن الأمور لا تتعلق بالعمر الأمور تعتمد على التضحيات والعمل بجدية اكبر والحب في التغيير هو العامل الأساسي للنجاح

ينهي حديثه الآن بقوله : لا أريد أن اطيل عليكم أكثر ولقد تأخرت الوقت ، يجب علي المغادرة وأن احتجتم شيء فكونوا على تواصل معي ،

شهرزاد : لا بأس ، وايضاً لجسدك عليك حق والأن انت في حالة إرهاق فلا تطيل على نفسك أكثر وغادر لكي ترى أطفالك قبل نومهم وتلهو معهم قليلاً ومن ثم ينامون بين أحضانك

الرجل مبتسماً جداً من لباقة شهرزاد ولطافتها ليقول لها : شكراً لك يا شهرزاد على هذا الكلام المفعم بالطاقات والحب الكبير والأن علي المغادرة ، تستطيعين فتح الطريق أمامي لإيصالي إلى الباب

تسير شهرزاد وهو خلفها كما في السابق حينما جاء لأول مرة بعد وصوله لعتبة المنزل ها هو يغادر المنزل . تغلق شهرزاد الباب وتعود بجسدها المهرق

الجميع جالس والوقت يمر ليقترّب على موعد النوم ، تتذكر شهرزاد أن عليها الخروج يوم غد لمقابلة الرجل صاحب المحل التجاري ، لدفع الأيجار له والبدء بتجهيزه من الداخل وترتيب كل المعدات والأجهزة الخلوية وكل الأمور التي وكلته بها ، علماً أنها في الفترة الماضية لم يكن لديها وقت للتفرغ في هذه الأمور

الساعة التاسعة ونصف مساءً وحالة من الركود التام تعم المكان ، فلا شيء يدور في البال غير النوم . بحالة تناؤب تستأذن شهرزاد من افراد أسرتها متوجهة الى غرفتها لتغط في نوم عميق

داخل الغرفة تستلقي شهرزاد على سريرها الجديد وهي تعانق وسادتها بإغماض عينيها وكأن السنوات مضت دون ان تشعر بها فهي لم تكن تعرف الليل من النهار وذلك التعب الذي اهدرته كان كفيلاً بأن يغير حالها الى الافضل واكثر مما كانت تظن وتتوقع

بطبيعة الحال وأنه لا يمكن لأي شخص في هذا العالم أن يحقق ما يريد دون أن ترهقه الساعات الطويلة في التفكير والخوف من القادم وعدم الإدراك والسيطرة على زمام الأمور ، فحين ننظر على الأشخاص الناجحين لا ننظر من الناحية التي وصلوا بها الى هذا

الحال ، بل ننظر الى أموالهم ومركباتهم وذلك النعيم الذي لا يتوقف ، فهذه الطريقة نحن لا نفعل الصواب بل نفعل الشيء الخاطئ

على الشخص الذي يسعى وراء التغيير ، يتوجب عليه ان لا يقلل من قيمته في عين نفسه وأن لا يقول أنه لا يستطيع مواجهة هذا وذاك وفعل هذا وذاك ، فهذه الطرق والوسائل هو يهدم ولا يبني ، فنحن نجد أن الأشخاص الناجحون هم اللذين تحملوا كل البدايات والنهايات وكل الأشواك والأوجاع وايضاً هم استطاعوا تحقيق النجاح لأنهم صمدوا حتى نهاية المطاف وأثبتوا لأنفسهم بأنهم يستطيعون فعل ذلك ، فلماذا أنا وأنت وكل من يمر طيفه من هذا المكان ، أن يبدأ بالتغيير والتطور واستغلال الوقت بدلاً من اهدار الفرص

ومن اهم مقومات النجاح هي الثقة بالنفس والسير بخطوات ثابتة دون التشتت والخوف من البيئة المحيطة ومن أقوال الناس ،

هدوء مرموق في الحي ، وشهرزاد يأخذها ركاد عميق وجميع من في المنزل اصبحوا جثث مؤقتة حتى مطلع صباح اليوم التالي ، وما زالت حبال الليل الطويلة معلقة حتى يتبين الخيط الابيض من الأسود

ها هو تيار الليل الطويل يسير ، والنسمات الباردة تلامس رؤوس اوراق الاشجار في الحديقة العتيقة ، ورائحة الياسمين تفوح

بمداعبة الهواء لها ، وصوت الصرصار يزداد ويعلو معه صوت نباح الكلاب ، يأخذ القمر مكانه وسط السماء لئيبير ظلمة الأماكن التي لا تصلها انارة اعمدة الكهرباء

بتقدم ساعات الليل ، فلم يبقى على حلول الصباح شيء ، بعض الأشخاص في فراشهم تضاجعهم احلام زاهية وجميلة وآخرون تلاحقهم كوابيس الواقع الذي يفرون منه من خلال النوم ،

بتقدم ساعات الليل الطويل . تبدأ السماء الأن بالإنشقاق من اللون الاسود وإلى الازرق ، تزغرد العصافير خارجة من عشوشها تبحث عن رزقها لهذا اليوم ، الهدوء يسبق العاصفة ولا صوت يعلوا فوق حركة المركبات السريعة ، يتفتح لون السماء شيئاً فشيئاً إلى ان صار في الوضع الطبيعي انها الساعة التي يتوجه الناس فيها إلى أعمالهم ، الثامنة صباحاً

على شهرزاد الاستيقاظ من نومها مبكراً للذهاب إلى المحل التجاري الذي قامت باستئجاره من اجل فتح مشروعها الشخصي فيه ، لتكون حينها قد انتهت جميع الامور والمتطلبات التي كانت تخطط لها سابقاً من قبل عودتها وعودتها الى البلاد

من بين الستارة الخفيفه يتسرب شعاع الشمس على سرير شهرزاد متسلطاً على وجهها ، تقلب نفسها في السرير محاولةً حجب اشعة الشمس عنها لكنها باتت محاولتها بالفشل ألا ان استيقظت الان

واصبحت تفتح عيناها شيئاً فشيئاً وهي تجبد يداها وتنظر إلى
ساعة الحائط بحالة من الهول

إنها التاسعة صباحاً ، تنهض من فراشها وهي على عجلة من أمرها
وخوفاً من ان تتأخر على الموعد الذي حددته مع الرجل صاحب
المحل التجاري ، تقف على قدميها لترتدي نعالها الخفيف وتتوجه
نحو الحمام لتغسل وجهها وتنظف اسنانها وتعيد هيئتها بأفضل
حال

ما ان أنهت كل شيء لتبدأ بالبحث داخل خزانتها عن ثياب جميلة
للخروج بها ما ان قلبت الرفوف جميعها ، باب الخزانة مفتوح وهي
تقف امامه وتحقق بشرود ذهني لتتذكر أنها قد اشترت ثياب
جديدة منذ عودتها إلى البلاد ، لكنها لم تضعها في الخزانة
لإنشغالها الكبير في اعمال المنزل وغيره ،

تستدير وهي تحك رأسها بإصبعها وتقول : اللهم رد علي ضالتي،
اين ذهبتي بالثياب يا شهرزاد ، تحقق قليلاً في ارجاء المكان بسيرها
البطيء للتذكر ان الثياب قد وضعتهما تحت سريرها داخل
كيس كبير ، تستلقي أرضاً وهي تمد بيدها تحت السرير لتنتشل
الكيس بتمتمتها بكلمات بصوت منخفض : اللعنة عليك لقد
اضعت وقتي في البحث عليك

تقف على قدميها مجدداً ، تفتح الكيس وتخرج منه جميع الثياب
لتصيها حالة من الحيرة في اي نوع منه سترتدي ، الامر يحتاج

قليلاً من التفكير ،، بعد وقت قصير لتكون قد اختارت الثوب المناسب لها ، تجلس على السرير وهي ترتدي ثيابها لتكون قد انتهت كل شيء ، تقف أمام المرأة قليلاً لتتفقد ملامح وجهها وتضع القليل من الكحل الأسود دون الحاجة للماسكات وما شابه ذلك ، تضع الحجاب على رأسها وتباشر بالخروج

مجدداً على الأسفلت المشقق ، تسير شهرزاد بمشيها السريع وخطواتها الواثقة في كل ما تبقى من الاعمال لإنجازها

خارج بوابة المنزل تسير شهرزاد موطئاً رأسها بالأرض ، الجو في الخارج يبعث بنسمات حارة ، رغم أن الأوضاع في الخارج لا تتلائم بالسير على الأقدام لكن هي تفعل هذا من اجل ان تنشط دورتها الدموية وان تعود الى نشاطها وحيويتها فالمشي يساعد على تفكيك الخمول

بعد قطعها لمسافات قليلة تقف تحت ظلال شجرة مرصوفة بجانب الطريق العام ، وهي تتلفت نحو الشارع منتظرة مرور احدى المركبات العمومية لتصعد بها وتتوجه حيثما تريد ، ها هو الوقت يمر إلى ان قاربت الساعة ان تصبح العاشرة صباحاً وما زال امامها متسع من الوقت

احدى المركبات تتوقف بعد شارة شهرزاد لها ، السائق هنا شاب ويبدو انه بمزاج جيد لأن السائقون هنا يتعاملون مع الناس بحسب

مزاجيتهم ، . شهرزاد للسائق : طاب مساؤك ، هلا أوصلتني الى
المكان الذي أريده ،

السائق : حسناً هيا أضعدي لا تضيعي الوقت وليس لدي الكثير من
الوقود لإهداره ، . تبتسم شهرزاد قليلاً وتصدع الى الكرسي الخلفي
يكمل السائق قيادته ، على الطريق تتحدث شهرزاد الى السائق : من
فضلك اريدك ان توصلني إلى مقهى الشام وانا من هناك سأكمل
طريقي سير على الأقدام ، . السائق : حسناً لكنني سأكمل قيادتي
في نفس المسار من بعد مقهى الشام ؟ سأوصلك في طريقي

شهرزاد بحالة عجيبة في ايجاد رد لقوله للسائق : حسناً كما تريد
بعد وقت قصير ليكون السائق قد قطع اميال كثيرة ، شهرزاد
بحالة عجيبة من هذا السائق وكأنه يقود مركبته وهو ثمل او ما
شابه ذلك او انه يمتلك رخصة سباق ، الأمور لا تسير في الوضع
الطبيعي

تفتح حقيبة الظهر الصغيرة التي ترتديها دائماً عند خروجها
،لتأخذ المال وتقوم بدفع الإيجار للسائق رغماً انه لم يصل بعد
لكنها تريد استغلال وقت الوصول بالمغادرة من المركبة نحو المحل
التجاري . تطل رأسها من النافذة وهي تنظر الى المكان من حولها
خوفاً من ان يمر السائق من المكان الذي تريد النزول فيه غير أن
السائق لا يعلم في أي مكان بالتحديد سوف تنزل

اصبحت المركبة تسير على الشارع الرئيسي ، اي في المكان الذي ستنزل فيه شهرزاد ، ما زال السائق يسير بسرعة فائقة ، إلى أن تجهزت شهرزاد للنزول من المركبة بقولها للسائق ، يعطيك العافية من فضلك انزلني هنا ، يتلفت السائق اليها وهو يبتسم ليدوس على الفرامل تتوقف المركبة في المكان المطلوب ، تفتح شهرزاد الباب وتغادر بكل أمان

بوضع قدميها على الأسفلت ، تتحرك المركبة من مكانها وتسير شهرزاد بضع خطوات قليلة لتكون امام المحل التجاري ، وهناك الرجل ينتظر بها يجلس على كرسي حديدي عتيق ، يعد الحصا وينظر إلى الناس المارة من حوله . ها قد وصلت شهرزاد عند الرجل مباشرة لتجمع الحروف على شفاهها وتقول : مرحباً كيف حالك ينتفض الرجل من شروده الذهني ، ليقف على قدميه بوضعية جعلته يشعر بالحرج ، قائلاً : اهلاً بك لقد انتظرتك طويلاً ؟ كان علي ان اقضي تلك الساعات في الفراش بدلاً من الجلوس بجانب الطريق كأبله

شهرزاد بتوطيء رأسها بالأرض : اعتذر لك حقاً لكن الطريق كانت مزدحمة جداً ، . وكأن الرجل اقتنع بكلامها ليبتسم لها قائلاً : حسناً لا عليك دعينا ندخل في صلب الموضوع

شهرزاد : تبتسم على وهلة ، لتقول : بالطبع فأنا متحمسة جداً لهذا ، . الرجل : حسناً تريدان رؤية ما قمت به في تلك الايام الماضية

شهرزاد : بالتأكيد لأن صبري كاد ان ينفذ وفضولي يقتلني اكثر ،

الرجل بإبتسامة يبرز بها اسنانه : حسناً هيا إتبعيني

يسير الرجل وشهرزاد تتبعه ، إلى أن وصل باب المحل التجاري ، يخرج المفتاح من قميصه القديم ، ليفتح باب المحل ، كما لو انه يختلف عن السابق كثيراً

تتقدم شهرزاد بضع خطوات الى الأمام لتدخل داخل المحل التجاري ، وهي تنظر في ارجاءه بكل تمعن ، من شدة جمال المكان لا تستطيع ان تنطق بشيء ، وكأنها بلعت لسانها

بعد جولة كاملة داخل المحل والرجل يقف عند الباب مباشرةً وكل الاغراض التي طلبتها شهرزاد موجودة على الرفوف في مكانها ، وكان المبلغ الذي وضعتة على هذا المحل كانت حساباته دقيقة جداً

الآن تعود إلى الرجل وهي بفرحة كبيرة مما فعله لها ، قائلة له : شكراً لك من الأعماق وقد تعجز الكلمات عن وصف رقتك ولطفك في التعامل معي ، شكراً جزيلاً لك

الرجل : لا عليك فأنت مثل ابنتي ويتوجب علي مساعدتك كشخص طبيعي لا أعاني من أمراض نفسية أو ما شابه ذلك فيتوجب علينا جميعاً أن نقف بجانب كل شخص يسعى للتغيير ، يتراجع إلى الخلف لينتشل المفتاح من الباب ويقوم باعطاءه لشهرزاد قائلاً لها : هنيئاً لك فلتكن بداية موفقة وافتتاحية خير للجميع

بعد أعوام من التعب والحرمان لتكون شهرزاد قد حققت كل ما سعت لأجله من البداية وحتى النهاية ، لم تكن الأمور سهلة عليها للغاية لكن طموحها الكبير وإرادتها العالية وتحليها بالصبر هو ما جعلها تنال مرادها وهدفها وحلمها الذي راودها منذ طفولتها وإلى غاية هذه اللحظة التي بدأت فيها حياتها الجديدة ، فهي استطاعت تغيير حالها وحال أسرتها من حالة الصفر والى الحد الذي يفوق جميع المعادلات الحسابية

في الحقيقة لا يوجد طريقة في العالم يستطيع المرء ان يعبر فيها عن جمال الروح التي بداخله بعد تحقيقه لشيء ما كان يسعى اليه ، سواء كان حلم راوده منذ الطفولة او غير ذلك

وهنا نضع آخر بصمات الحكاية الطويلة التي زرعت في نفوس الكثيرين وتعايش بها البعض منا ، او انه ما زال الكثير منا يمر في مثل هذه الظروف والأحداث ، لكن مهما كانت صعوبة الشيء الذي نمر فيه يجب علينا ان نواجهه ونتحمل كل ما فيه ، ليس

من اجل ان نثبت للبيئة المحيطة بنا أننا أشخاص ذو عزيمة عالية
او أن لدينا قوى خارقة عن الطبيعة

بل من أجل أنفسنا أولاً ومن اجل عائلاتنا وأمهاتنا وذوينا وكل
الأشخاص الذين وقفوا بجانبنا جنباً إلى جنب بعيداً عن المرات
التي يقف فيها الجميع بجانبك أمام عدسة الكاميرا

فما قد مر في هذه الرواية من أحداث ما هو إلا مزيج من الواقع
الذي نعيش فيه ولكل واحد منا حكاية يستطيع أن يرويها لنفسه أو
يعبر عنها بالطريقة التي يحبها ويرضاها لنفسه دون النظر أو
الالتفات إلى آراء الناس من حوله ، فلا يوجد شخص يبني طريقه
بالشكل الصحيح إلا وقد كان الفوز حليفه حتى لو تعثرت به كل
الطرق والسبل إلى الوصول ، فما زال يحاول سيستطيع الوصول
مهما كلفه الثمن

ومن بعد انتهائك لقراءة هذا السرد الطويل من الأحداث التي
كانت اغلبها سوداء ولم يذكر الفرح فيها إلا بصفحات قليلة،
عليك أن تكون مدركاً لبعض الأمور ،

أولاً : ان الحياة لا تتوقف على احد فهي تسير بتسارع الزمان
والمكان الذي تعيش فيه ،

ثانياً : الخوف من الفشل هو أول مراحل الفشل لكن بطريقة تشعر
بها من داخلك دون ان تراك اعين الناس

ثالثاً : أن كثرة العثرات والأشواك في طريقك لا يعني بداية
الفضل ، بل ربما تكون بداية النجاح ، فالطفل الصغير عندما يبدأ
بمراحله الأولى بالمشي ، يتعثر كثيراً ويسقط ويستند على الأشياء
من حوله ويسقط مجدداً حتى يعتاد على السقوط فيجد نفسه
يمشي جيداً دون أن يتذكر مراحل سقوطه السابقة، فالفوز يمحي
كل مراحل الفشل

رابعاً : الإدراك هو العامل الأساسي للنجاح ، فأن تكون مدركاً لما
يدور حولك ، فهذا يعني انك قد حققت النجاح منذ البداية
خامساً : لا تستند على حييطان احد فأنت لا تعلم بأي الطرق قد
بنيت ،

سادساً : الأم هي دار السلام والأمان

سابعاً : مهما كانت الظروف صعبة أمامك استمر في القتال ولا
تستسلم ما دمت بكامل قواك
ثامناً : المحاولة لا تعني إعادة الفشل من جديد

تاسعاً : إذا كنت تعرف الحقيقة اعترف بها فالقانون لا يحمي
المغفلين

عاشرًا : إن هروبك من فشل ذريع ومحقق يعني انك حققت
نجاحاً مبهرًا